خطوة نحو أدونيس

حوار مع الشاعر والمفكر أدونيس

obeikandl.com

obeikandl.com

خطوة نحو أدونيس

حوار مع الشاعر والمفكر أدونيس

تقديم: د. طيب تيزيني

حوار

وفاء الخطيب

obeikandl.com

اسم الكتاب: **خطوة نحو أدونيس (حوار مع الشاعر والمفكر أدونيس)**

تقديم: د. طيب تيزيني

حوار: وفاء الخطيب

سنة الطباعة: 2013

كمية الطباعة: 1000 نسخة

الترقيم الدولي ISBN : 978-9933-22-004-4

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في :

دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة لدار رسلان

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: 00963 11 5627060

هاتف: 00963 11 5637060

فاكس: 00963 11 5632860

ص.ب: 259 جرمانا

www.darrislan.com

obeikandl.com

استهلال

"أعرف ما سيقول الرمل لشعري

وسأقبل ما سيقول وأبقى في صمت

لا أعرف كيف أحاور، كيف أرد، ـ حواري

غوص في ما أجهله، ورودي تشهد ضدي

أحوالي صمت يستنكرني، وأوافقه

ويوافقه شعري

عالجت أمور الشعر أمور النثر، وأجهل كيف أعالج أمري" [1]

حين التقيناه بعد تأجيل كررته أشغاله وأسفاره المضنية إلى مدن، ترك له التاريخ فيها أحب دفاتره [2]، غمرتنا هالة منارته، وارتبك بنا الصمت، وتاه السؤال.

لكن إشراقة ابتسامته الآسرة، وروعة استقباله وترحيبه في حديقة بيته الحالمة، بددتا الوجل والرهبة من التحدث إلى أديب عالمي، شكل شعره ظاهرة ثقافية عالمية فريدة، دأبت على تعديل ملامح الكون.

نسينا مشقة السفر إلى بلدته قصابين، المستلقية على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط في الشمال السوري. وسرعان ما توالد الحوار على أيدي أجوبته المشجعة المحفّزة لكل جديد.

obeikandl.com

أصغت الأشجار إلى حديثه الهادئ العفوي، وطار الحمام بدعواته لبناء سفن جديدة، ومن كتبه الحاضنة لبيوض التاريخ، خرجت حورية مزركشة بالخرائط. جرَّت الأفق فوق أمواج مجازاته، فعاودنا قلق السؤال، وعاوده حنين الكشف:

"وسأخرج من نفسي

لأرى نفسي.

تخرج منها أرضٌ كبرى

تجهل كيف تسير عليها، أو تسكن فيها

هذي الأرض الصغرى" (3)

برشاقة، وحيوية طافحة تتقافز قطعان المعاني الأدونيسية بين أحضان الطبيعة لتمتلئ بنواميسها البكر، قبل أن يسوقها نحو قمم اللغة، ويجدل لها أغاني الرعاة، حمالة لمبخرة أشعاره.

يغوص بحزنه في لجج الذات ـ الوجود، فترقص نجومُ مناجاته المنذورة لروح الأبد، وتهب من حقول العناد نسائم إبداعات جديدة، تُلبس الأنثى ثوبَ عرس جديد، وتبني لدمى الروح بيوتاً من الألفة:

"الطفل الذي فيَّ

مأخوذ أبداً بالتمرد على الشيخ الذي هو أنا.

وهو طفل يعتقد

أن العالم لا يزال مثله،

في المرحلة الأولى من طفولته" [4]

من الغبار أخذ حكمته، ومن الغيم خاط وشاحاً لذاكرته، فاحتجب الحنين، وانطلقت في سورة الكشف شهبُ النبوءة صوب أبخرة البراكين، ما جعله الشاعر والمفكر العربي الأكثر إثارة للجدل، والصخب، والدهشة:

"قس نفسك بالعاصفة..لا أمن للإبداع وللثقافة إلا في مجابهة الخطر".

شعرُه صادم كجنون الكشف. غامض كالحب. أبيّ كصنوبر الرفض. ولد القلق في حنجرته، وتعاصفت أمامه الحقائق. فسلَّم مفاتيح قلاعه للريح، التي لا توقع رسائلها.

كتب د. عادل ضاهر في كتابه (أدونيس أو الإثم الهيرقليطي): "إذا كانت المشكلة التي واجهها "كامو" هي كيف يتلمس طريقه في أجواء العدمية الأوروبية العكرة نحو ولو بصيص من الوضوح، فإن المشكلة الأساسية التي يواجهها أدونيس، بالمقابل، هي كيف يتلمس طريقه في أجواء وهم الوضوح الصافي نحو ضباب العدمية. ليست العدمية بالذات مطلبه، بل العدمية باعتبارها واسطة لزعزعة اليقين وتعكير صفو الوضوح".

حوَّل أدونيس شعره إلى أسطورة كي تتصادى مع منفاه الذي آخاه، منذ أن فكر بنزع عباءة اسمه "علي" مستبدلاً به اسم بطل أسطوري "أدونيس" مات شهيد الحب.

"إلى آخر من أسمائي، أكاد أنساه، من سيفهم أنني أعيش في جناحي يمامة وأطير في فخ؟" [5]

لذلك لم يخفف احتفاء كبرى المؤسسات الثقافية العالمية بشعره، ولا

الجوائز العديدة التي حصل عليها، من شعوره بمنفاه.

يتمرأى أدونيس في ماء اللغة، وفي شرارات قصائده المسافرة مع تشكيلات الغيم، مفجراً لغبار الطلع فضاءات أنثوية جديدة، تخصّب الوجود بحب جديد:

"*لمن الكلمة الأخيرة في ما وراء الحجاب، لسماء الرجل أم لأرض المرأة؟*" [6]

وهو ينكر جميع أشكال الإملاءات، لينفرد بمنظومة سجالية واضحة النبرة. قادرة على خرق المألوف، وتحليل الماضي بعين الحاضر، وعلى تمثّل المسائل المستجدّة من أجل إلحاقها بمشروعه الشعري.

وقد فتح بلغة تخصه وحده آفاقاً جديدة للبحث والنقد والتساؤل مشكّلاً بإنتاجه الغزير نهضة إبداعية نوعية ونادرة في التاريخ العربي. بذلك ساهم في خلق وعرض وتقديم المشهد العربي شعراً وفكراً رسماً وسياسة. ببراعة أهّلته لأن تصبح خطواتُه الـ"*حبلى بما لا يطيق المكان*" قادرة اليوم على تكييف طريقه. لهذا كثر مريدوه، كما كثر خصومه:

"*بأي خطى أتقدم نحوي وأنا الطالع من إشراق المعنى أجهل حتى وجهي؟*" [7]

إلى ذلك المجهول يصطحب أدونيس قارئه حيث المدن والأحداث والأشخاص، الذين تركوا تواقيعهم في لوحاته الشعرية السوريالية الغنية برموزها اللمّاحة. لتقرأها القلوب قبل العقول المحجبة بحجب ظالمة.

"*هكذا انسللت من لعنة الرأس إلى نعمة القلب*" [8]

وهو إذ يؤمن أن "*للذاكرة ماء لا تتسع له بحيرة الحاضر*" [9] وبأن الحاضر ابن

للمستقبل لا للماضي، يلاحق بإصرار عنيد ولافت، حروفاً سرية هاربة من الكتب المصلوبة، ليجدد حيرة يقينه، مجسّراً الشعر ما بين قلب مفكر، وفكر ينبض في صدر الكون، في دعوته لاستيهام أبجدية ثانية، تقطف زهور الأشجار المتكئة على الضوء، لتضيء صمتاً طال بين رأس اللغة، وجسم الصحراء: *"الزائل أجمل ما يملكه الأبدي"* [10]

من هذه الزاوية يعتب على بعض القراءات النقدية للشعر العربي المعاصر، التي تهمل دراسة الخصوصية الشعرية ـ أي بنيته الجمالية الفنية، وتكتفي بدراسة مضموناته أو اتجاهاته الآنية:

"تكون القصيدة تغييراً ، أو لا تكون إلا لغواً" [11]

"وأقول: الشرق غبار والغرب هواء مسموم،

أين الأرض؟ وأسأل: كيف تُغيّرُ تلك الصور؟

هل كتفاك نبوءة جسر

أهما أرض تأتي؟

هل أنتظر ؟" [12]

يمد أدونيس راحة شعره شاطئاً للمعاني، مبحراً بوحدة معيّة، على أنغام العزف الجنائزي لمتواليات الخيبات العربية، ولمآل الكتابة العربية التي لم تعد سفراً بين الهاوية والذروة [13] ليقينه أن *"الحقيقة لا تتكلم حقاً إلا في الشعر"*:

[(كيف أزيّن للغزالي أن

ينوّر عقله بضوء

نيتشه؟

مع ذلك، سأذكره:

منذ النشأة،

تسافر إلى العالم،

ولم تصل بعد)! [14]

هي لعبة المسافات، تدنو من مغامرة جديدة، لترسم بخفيها السحريين مدارات إضافية للحياة.

ـ في آذار ـ مارس 2008 التقيته على هامش الندوة التي أقيمت في غاليري أتاسي بدمشق بعنوان: "شعراء تشكيليون" إلا أنه اعتذر عن جميع المقابلات بسبب سفره.

ـ في 2008/8/9 التقيته ثانية في بلدته قصابين، التي لم تتسع لخطوات طفولته. وقد اتفقنا على إجراء حوار يتناول مواضيع كتبه الأربعة التي كانت تحت الطبع وهي:

- رأس اللغة جسم الصحراء ـ دار الساقي ـ بيروت ـ 2008.
- محاضرات الإسكندرية ـ دار التكوين ـ دمشق ـ 2008.
- ليس الماء وحده جواباً عن العطش ـ ديوان ـ إصدار مجلة دبي الثقافية ـ 2008.
- الكتاب الخطاب الحجاب ـ دار الآداب ـ بيروت ـ 2009.

ـ في 2009/8/18 أجريت معه الحوار المتعلق بتلك الكتب.

ـ في 2010/9/13 أجريت معه حواراً آخر تمحور حول مضامين كتبه التي صدرت لاحقاً. وقد تم الحديث بشأنها عبر اتصالات جرت معه، خلال وجوده في باريس وبيروت واللاذقية، وهي:

❖ مسرحية أشجار تتكئ على الضوء ـ دار بدايات ـ جبلة ـ سوريا، ط1، 2010.

❖ ديوان فضاء لغبار الطلع ـ مجلة دبي الثقافية ـ أيلول ـ سبتمبر ـ 2010.

❖ أبجدية ثانية ـ منشورات مواقف ـ بيروت ـ توزيع بدايات ـ جبلة ـ سوريا ـ 2008.

كما اتسع صدر الشاعر لأسئلة أعددتها من بعض كتبه السابقة، ومن حواراته وكتاباته اللاحقة في بعض الصحف، ومن وحي التغييرات العاصفة التي تشهدها المنطقة العربية.

شكري وامتناني وتقديري للشاعر والمفكر الكبير أدونيس الذي أتاح لي فرصة محاورته الجميلة والثمينة. مع يقيني بأن سيل الكتابة لن ينقطع لقرون طويلة قادمة، عن قامته الأدبية الشامخة، التي لا زالت منذ ستين عاماً تغيّر في قاموس الأدب العربي، و ترصف عتبة السمع لما يجري، وما سيكون. كما أشكر كل من ساعدني في إتمام هذا العمل. وأخص بالذكر شقيقته د. فاطمة اسبر في دمشق، وابن أخيه الشاعر والمترجم أسامة اسبر ، اللذين فرا لي سبل التواصل معه، وزوداني ببعض كتبه.

❖ ❖ ❖

مقدمة

بقلم: د. طيب تيزيني

قدمت إليّ السيدة وفاء الخطيب – وهي المحاورة المتمرسة – نصاً جميلاً يحمل عنواناً ذا دلالة ملفتة غنية للكتابة حوله تعليقاً أو تقديماً أو نقداً. والحق، إن هذا النص غني بإفراط بديع. فهو حوارية تحمل طابع الشمول، وتقدم نفسها بعنوان "خطوة نحو أدونيس – حوار مع المفكر والشاعر الكبير أدونيس".

ولا أشك أن السيدة الخطيب قد مارست دوراً محاوراً من الداخل، فأضافت إلى النص بعداً متوهجاً بالغنى الفكري والأدبي. فهي في تحاورها مع الشاعر الصديق، لم تبق على حدود الموقف، بل هي تكاد أن تكون قد شاركت في التحضير لظهوره، وهي - بذلك وبصيغة ما - شريكة له.

لقد سعت السيدة الخطيب إلى تقديم ما يقرب من لوحة شاملة حول أدونيس ومن الداخل، فأصابت مرتين، مرة حين أقدمت على هذه المغامرة العسيرة، ومرة حين استطاعت أن تضع يدها على تلك اللوحة التي جاءت قريبة إلى الكمال.

فكأنها قدمت في عملها هذا "سيرة" متكاملة ودقيقة وجميلة عن شخص أدونيس. فظهر ما فعلته في نصها الحواري هذا على أنه فعل مع شخصية أدونيس الفكرية والأدبية.

والحق، يمكن القول بأن الحوارية المقدمة لي ها هنا، تشي بجوانب من عالم أدونيس كانت مُستفردة خارج نص "السيرة"، وجاءت وفاء الخطيب فقدمتها من حيث هي وجه لا ينفك من الإنجاز الأدونيسي المرموق.

وقد كنت في قراءتي لأدونيس أقف أمام ذلك الإنجاز، لأجدني متوقفاً عند ما اعتبرته كلاماً فارقاً وفائقاً فيه، أي في الإنجاز المذكور، أعني مسألة الإبداع. فأدونيس أدرك بإحساسه الشعري المرهف، وبنباهته الفكرية المتوثبة أهمية المسألة إياها. بل خطورتها في التأسيس لأي عمل فكري وشعري خصوصاً. ونحن نعلم أن تمرّس أدونيس في الكتابة حول ذلك لم يُفصح عن نفسه في صيغة إبداعه الذاتي فحسب، بل ظهر كذلك في عمله التنظيري خصوصاً منذ الندوة التي شارك فيها تحت عنوان "ندوة التطور الحضاري العربي"، والتي انعقدت في الكويت في مطلع السبعينيات من القرن المنصرم.

واليوم، تأتي مناسبة جديدة جميلة تتيح لنا أن نواجه أدونيس متلبِّساً بما يمكن اعتباره "كلمة السر" في الإبداع الأدونيسي ذاته. ها هنا، تبرز أهمية الحوارية التي تقدمها وفاء الخطيب، فتكون بمثابة تحية دافئة منها لأدونيس باسمها وباسم أصدقائه وقرائه.

ها هنا وعلى الصفحة رقم /91/ من "الحوارية"، يعلن أدونيس قائلاً:

"بالنسبة إليَّ: وصل تاريخ الثقافة العربية إلى نقطة لا يستطيع فيها أن يقدم أي شيء، يضيء الإنسان في حياته، وفي مشكلاته. وبهذا المعنى أنا عدمي، أي أريد أن أنطلق من هذه النقطة. وأبتكر أشياء جديدة مختلفة. لكن ابتكار أشياء جديدة ومختلفة والتأسيس لها ليس مسألة سهلة، إنه أمر

يحتاج إلى وقت. هذه المرحلة هي مرحلة العمل. العدمية ليست سلبية. العدمية بهذه الدلالة نقطة إيجابية".

وكنت في كتابات سابقة للأستاذ أدونيس قد لاحظت شيئاً من هذا الموقف، الذي يطرحه الآن، حتى بات ربما الكثير من قرائه والأقل من أصدقائه يعتقدون بما يعلن هو نفسه عن نفسه، إنه عدمي، وقياساً على ذلك، إنه حريص على البقاء مبدعاً وقادراً على التأسيس دائماً لابتكار أشياء جديدة ومختلفة.

ومن موقع الحرص على ما أنتجه الشاعر المفكر على مدى سنين ليست ضئيلة – وهو منتجٌ إبداعي – أود الإشارة إلى أن ثمة ضرورة للقول بأن أدونيس، في ذلك، ليس عدمياً ولم يكن كذلك، بل كان وما يزال مبدعاً. أما المشكلة التي اخترقت الموقف لدى أدونيس فتتمثل – فيما أرى – في أن حدود العلاقة بين مستويي الموقف الذي يأخذ به، وأعني المستوى النظري التنظيري، والآخر الإنتاجي، تخترقها (أي الحدود) حالة من الاضطراب الاصطلاحي تُقصى بمقتضى هذا الأخير "لحظة الإبداع" ويتم ذلك في صيغة التعبير عن هذه اللحظة بما ليس بإمكانه أن يعبر عنها بمصطلح "العدمية". فحين يعلن أدونيس إن "العدمية" ليست سلبية، فهو يكون قد وضعها موضع ما يخنق إبداعه، إبداع أدونيس الحقيقي.

ولعل الانطلاق من جدلية المتصل منفصلاً والمنفصل متصلاً تنقذ الموقف. فالحدود هنا بين ما هو قائم بصيغة الانفصال لا تستقيم إلا إذا وُضعت في سياق الانفصال، وكذا الحال بالنسبة للماضي حاضراً والحاضر ماضياً.

وإذا سلكنا طريق "التراث" مصطلحاً وحالة، فلعل الأمر يغدو أكثر ظهوراً ووضوحاً على صعيد ما نحن بصدده. ها هنا، ينبغي أن نقوم بتعريف هذا المصطلح، لأن من شأن ذلك أن نضع يدنا على ما نحن باحثون عنه. فـ "التراث" هو - في التعريف المنطقي والتاريخي - الماضي مستمراً، أو في حال كونه مستمراً. أما التاريخ - وهو مصطلح متضايف مع المصطلح السابق - فيمكن تقديمه بالتعريف المنطقي والتراثي على النحو التالي: إنه الماضي متوقفاً عند خط المتاخمة مع الحاضر.

من هذا وذاك وذلك نستنبط فكرة فذة في الفكر الفلسفي عموماً، ومن ضمنه الفكر العربي. ها هنا، يعلن الفيلسوف العربي ابن رشد في معرض حديثه عن "العدم" إنه، أي هذا الأخير، إنما هو "شيء" وإذا كان العدم شيئاً، فإن القول بكونه "انقطاعاً وجودياً أو كفاً عن إنتاج الوجود أو عن محايثته" لا يعود له معنى. وبكلمة أخيرة، أن يكون الوجود غير متضمِّن لأشياء جديدة مختلفة، لا ينتزع منه "وجوديته". فهي - إذن - مسألة تتصل بالاصطلاح المستخدم. ولذلك، يمكن القول بأن ما قدمه الدكتور أدونيس في الحقل الاصطلاحي ها هنا قد يصح شعرياً، ولكن فلسفياً يصعب الأخذ به.

لكننا نقول أخيراً، إن الشاعر أدونيس من حقه أن يملك الحق في إعادة بناء منظوماته الاصطلاحية، حين تأتي ضمن نسيجه الشعري الرحب، مع العلم أنه تحدث عن "العدمية" بمثابتها "مفهوماً ملتبساً وغامضاً".

وإذا كانت الحوارية، التي نتحدث عنها هنا وننطلق منها، تحتوي كماً كبيراً وخصباً وفيراً، فإنها، بذلك تفصح عن روح منفتحة ونقدية، حتى باتجاه ذاتها، وهذا ما يشهد لأدونيس بالتفكير النقدي والإبداعي.

ويظهر ذلك خصوصاً في رؤيته الراهنة لكتابات سابقة، كتبها في ظروف تاريخية معقدة. وهذا يظهر خصوصاً في حديثه، الذي جاء في محاضرة له وقدمتها السيدة وفاء الخطيب في كتابها الذي حمل عنوان "خطوة نحو أدونيس" ونتعرض هنا لبعض الحوار الذي سجلته الخطيب معه.

تنقل المحاورة عن أدونيس رأياً يقول فيه (ص 202 من الحوارية): *"أنا أشعر بأنني لا أزال تلميذاً، وأن ما أريد أن أكتبه فعلاً لم أكتبه بعد"*. وهذا ما يظهر في حديثه عن مصائر كتابه "الثابت والمتحول"، الذي أصدره قبل أكثر من أربعين عاماً. فهو يكتب بلغة من فاته وأفلت منه ما كان عليه أن يأتي عليه. يقول: *"كنت سأنظر إلى ما حدث في سقيفة بني ساعدة بوصفه نقلة انقلابية سياسية دينية، من النبوة إلى النظام. كان قادة القرشيين، يتقدمهم الخليفة عمر بن الخطاب، يؤسسون الدولة، التي ستحل محل دولة النبي، أو ستخلفها"*. (ص 205 من الحوارية).

إضافة إلى ذلك، كان أدونيس سيقرأ النص القرآني *"بوصفه نصاً جامعاً للثقافات قبله، إلى جانب كونه نصاً لا تاريخياً، أعني نصاً مطلقاً، وسأحلل استناداً إلى ذلك، وبدءاً منه العلاقة بين كلام الله وكلام التاريخ"*. (المرجع السابق نفسه).

إن ذلك كله يمثل نقاطاً هامة في الموقف الأدونيسي وإضافات دقيقة إلى منجزاته في النشاط الفكري المنهجي المفتوح. ومع ذلك، بل بفضل ذلك الذي يعبر عن الإسهام العميق الذي قدمه في الفعل الفكري المنهجي، فإن أدونيس دفع ثمن إغفال تاريخية هذا الفعل، حين اعتقد أن ما جاء بعد كتابه "الثابت

والمتحول" الصادر قبل أكثر من أربعين عاماً، لم يضف شيئاً جديداً متفرداً . فهو يبقي على مصطلح الثابت والمتحول، ولكنه *" لن يقف عند الدراسات التي كتبت بعده، إلا لغاية واحدة، المعرفة"* ذلك أنها استناداً إلى معرفته بها *"لم تضف ما يتفرد، ويفرض هذا التفرد النقاش أو الحوار"*. (المرجع السابق نفسه).

وإذا بلغنا الآن غاية ما أردناه من هذه الكلمات في أدونيس، فإننا نبقى حريصين على تحية الصديق الشاعر والمفكر أدونيس. وعلى انتظار الجديد المتجدد.

❖ ❖ ❖

obeikandl.com

الله محايث للوجود:

يتجسد، ويتجلى في صور بلا نهاية

س: تقول: *"يضع "مولانا" جلال الدين الرومي، والمتصوفة أساساً للتمييز بين الإلهي، والديني والمقدس، وهو الأساس الجدير بأن يحدث في الإسلام ثورة نظرية كبرى"*،[15] لكنك لم توضح التمايز الذي قصدته، في ما بين الإلهي والديني والمقدس، ما الفرق بين هذه المفاهيم؟

ج: المقدس يمكن أن يكون دينياً أو أخلاقياً، أو تراثياً، أو مرتبطاً بعادات البشر وقيمهم.

- الديني هو المتعلق بالدين طقوساً وعبادة، أي كل ما يرتبط بالدين.

- والإلهي هو ما يتمثل في اللاهوت، وما يرتبط بفكرة الألوهة.

س: يقول جيل دولوز: *"الله المسيحي هو إذاً الله اليهودي، لكن الذي غدا كوسموبوليتياً"*،[16] هل بقي الله الإسلامي كذلك؟ ما التعديل الذي أجراه الإسلام على مفهوم الله؟

ج: الألوهة مختلفة بين شعب وشعب، صورة الله مختلفة بين دين ودين:

- الإله في الفكر اليهودي خاص بالشعب اليهودي دون غيره.

- الإله في الإسلام هو رب العالمين جميعاً. الإسلام أعطى البعد الكوني لله.

ـ الألوهة في الدين المسيحي تتمثل في شخص المسيح، الذي صلب وبعث.

ـ والألوهة في الكونفوشوسية مختلفة، وفي البوذية مختلفة. ذلك أن الدين فيهما ليس وحياً من السماء.

س: *"وسوف أكرر على سمع سان ماركو:*

يبدو أنه لم يبق من السماوات السبع إلا ثلاث:

واحدة انطفأت شموعها ولم تعد تعرف كيف تشعلها.

واحدة نذرت نفسها للملائكة بلا أجنحة،

والثالثة آخذة في احتضار يبدو أنه سيكون طويلاً وصعباً" [17]

هل تسمي تلك الديانات؟

ج: سمي أنتِ. أنا لا أسمي. هذا رأيي في جميع الأديان. دون تسميات. رأيي معروف.

س: *"يا دليلي التائه،*

ليس في جبتك إلا أنا" [18] ـ هل هذا جواب السؤال، عن ماهية الكون؟

ج: لا أعرف. في كل حال ليس الكون إلا مكاناً بلا نهاية لتيه بلا نهاية.

س: تقول: *"إن الله في الإسلام الأرثوذكسي متعالٍ وهو عند "مولانا" جلال الدين الرومي محايث"* [19] ماذا تقصد بكلمة مولانا؟

ج: يعني أن الله محايث للوجود: يتجسد، ويتجلى في صور بلا نهاية.

س: ما المقصود بكلمة "مولانا" ؟

ج: كلمة "مولانا" لقب. اسم. هذه الكلمة لصيقة باسم جلال الدين الرومي، كما حصل لبعض الألقاب التي التصقت ببعض الأسماء.

س: مثل كلمة " سيدي" الشائعة في المغرب العربي، مثلا"؟

ج: نعم، بالضبط.

س: عن المسيح يقول نيتشه: *"لقد لواه القديس بولس وحوله إلى مذهب أسرار وثنية، انتهى إلى التصالح مع كل التنظيم السياسي."*[20] وأنت تقول بأن اليهودية والإسلام أسسهما النص، ما علاقة النص بتأسيس اليهودية والمسيحية والإسلام؟

ج: اليهودية أسسها النص، والإسلام أسسه النص، أما المسيحية فلم يؤسسها النص، لا يوجد في المسيحية نصوص موحاة بل روت الأناجيل الأربعة حياة المسيح، وهي ليست مصدراً مطلقاً، وليست موحاة من الله. لا يوجد معيار نصي في المسيحية، بينما توجد في اليهودية والإسلام معايير تستند إلى النص المطلق، بوصفه وحياً من الله. ولذلك التعامل في الإسلام واليهودية أكثر صعوبة منه في المسيحية. لكن مع التطور حلت الكنيسة محل النص. إلا أن المسيحية تحررت فيما بعد ـ إجمالاً ـ وبنت مجتمعاً مدنياً، تم فيه فصل الكنيسة عن الدولة. وتساوى فيه الرجل والمرأة. هذا المجتمع المدني، صعب التحقق في الإسلام، واليهودية، أو لنقل إنه لم يتحقق بعد.

س: النص القرآني، نزل في حياة النبي محمد، أي أثناء تأسيس الإسلام، في ما كتب النص التوراتي بعد وفاة أنبياء اليهودية.

ج: هذا لا يغير في أن النص هو الذي أسس الديانتين اليهودية والإسلامية.

التوراة نصٌ مقدّس ومطلق كمثل النص القرآنيّ.

س: ألا يعتبر بولس الرسول بأنه هو الذي أسس المسيحية؟

ج: بولس الرسول هو الذي أعطى للمسيحية بعدها المؤسسيّ. بهذا المعنى ابتعد عن الحرية العظيمة التي يمثلها شخص المسيح، شخص المسيح أعلى من القانون، وبولس الرسول قونن المسيحية.

س: تقول أن عمر بن الخطاب هو الذي أسس الدولة العربية. صنع هيكليتها.

ج: عمر هو الذي أسس السقيفة. علي لم يكن حاضراً في السقيفة. وعمر هو الذي أسس الدولة، لكنه بناها على أساس قبلي. عمر اجتهد، واختبر، ولعلّه رأى بأن القبلية هي الأنسب. ربما، لو لم يفعل ذلك، لكانت أشياء كثيرة مغايرة قد حصلت.

س: استوقفتك في كتاب الفرنسي مارسيل غوشيه "زوال سحرية العالم" عبارة وصفت المسيحية بأنها *("دين الخروج من الدين" كونها تختزن الطاقات الحركية للقطيعة، وبكونها في الوقت نفسه "بؤرة للتناغم" بين الأطراف)*[21] ألم تحقق الرشدية، والصوفية هذا التناغم؟

ج: حققتا التناغم، على نحو ما، أكثر مما حققتا القطيعة.

س: كتبت أن مشكلة التأويل تخص الإسلام العربي، وتساءلت إذا كان السبب هو الاستعمار، أم الفكر الوهابي، أم النفط، لكنك وغيرك من المثقفين ركزتم في دراساتكم، واستنتاجاتكم، ومساءلتكم للجمهور،

على الفكر الوهابي. ألا نستطيع القول بأن هذا الفكر، هو نتيجة للسببين الآخرين؟

ج: أميز بين مستويين للإيمان في الإسلام، وفي أي دين، أياً كان:

المستوى الأول: هو الإيمان الشخصي للفرد، الذي له الحرية والحق في أن يؤمن بما يشاء، وعلينا أن نحترم خياره. إذا كنا مؤمنين بالحرية، يجب أن نؤمن بحرية الأفراد، وألا نكون طغاة.

المستوى الثاني: وهو أن يفرض هذا الفرد ما يؤمن به على جميع الأفراد الآخرين، أي أن يحوّل إيمانه الشخصي إلى مؤسسة اجتماعية وسياسية ودينية، وعلينا أن نكون ضد هذا السلوك.

بهذا المعنى أنا ضد الدين بوصفه مؤسسة، ولست ضده بوصفه إيماناً شخصياً.

س: معظم المفكرين العرب، وأنت منهم ينطلقون من بيعة "سقيفة بني ساعدة" منطلقاً للبحث في ظروف نشأة الدولة العربية الإسلامية، معتبرين أن هذه البيعة أُسست بانقلاب سياسي عنفي. هل جاء الاجتماع برأيك، ضمن سياق الضرورة التاريخية، التي حولت نظام المجتمع في الجزيرة العربية، من النظام العبودي، إلى النظام الإقطاعي، أم كان مجرد عودة للنظام القبلي، الذي كان سائداً قبل الدعوة؟

ج: إن تأسيس الدولة الإسلامية الأولى تم في اجتماع السقيفة، وهذا لم يدرس كفاية كما أشرت، لأن النص الموحى ألغى القبلية، وألغتها كذلك

الممارسة النبوية. في السقيفة تمت العودة إلى القبلية وفي السقيفة أقصي الأنصار، الذين وقفوا مع النبي وناصروه. لكنهم في السقيفة عزلوا عن الخلافة، وحصرت الخلافة في قريش.

س: يقول محمد شحرور بأن التاريخ عاد وفرض شروطه بعد السقيفة، وخرجت العلاقة من الإطار القبلي، وفقاً لمفهوم تنازع المصالح، وانتصرت حنكة معاوية بن أبي سفيان السياسية، على أخلاق ابن عم الرسول علي بن أبي طالب.

ج: تعرفين بأن معاوية قرشي أيضاً. صحيح أن مفهوم تنازع المصالح ساد، لكن الصراع تطور، والقبلية تطورت، صارت خلافة. المنطق القبلي الذي أسست فيه الدولة الإسلامية الأولى تحت السقيفة، لا يزال هو المنطق السائد إلى اليوم. حل الصراع داخل أبناء السلطة. قريش انشقت، وتقاتل أبناؤها، كما نعرف. الأمويون انتصروا على بني هاشم، العباسيون انتصروا على بني أمية وهكذا.

س: ما السر في بروز هذا العدد الكبير من الصحابة العظام، الذين ارتقوا بالدولة إلى قمم سياسية، وفكرية، وفلسفية، وإبداعية، في فترة زمنية قياسية؟

ج: السر هو في أنهم عاصروا الدولة الأولى، وكانوا بمعنى ما، من مؤسسيها. كانوا موجودين قبل المرحلة الإسلامية، خبروا المرحلة السابقة لنشوء الإسلام. كان للصحابة خبرة تاريخية واجتماعية. لكن، لم يكونوا

obeikandl.com

كلهم عظاماً.

س: لكنها فترة زمنية قصيرة.

ج: نعم، لكنهم خبروا مرحلة تشكل الإسلام، عاشوا مرحلة التحول.

س: قلت بأنك تحب التغيير على الطريقة "الغاندية"، وليس على الطريقة "الغيفارية"[22] هل كان عمر ـ منذ موقفه في اجتماع السقيفة ـ أقرب إلى غاندي، أم إلى غيفارا؟

ج: لا إلى هذا، ولا إلى ذاك.

س: سألت السماء همساً: *"لماذا أغلقت أبوابك، وأنت في أوج الطفولة؟"* وتمتمتَ في أذن الكنيسة القائمة على أنقاض هيكل في جبل "نيبو": *"مَنْ أولئك الذين يموتون لا لشيءٍ إلا لتمجيد الموت؟"*[23] أليس من مهمة الثقافة فتح أبواب جديدة، وعدم انتظار السماء؟ ألا يتحمل المثقفون وزر العبور الجماعي إلى الهاوية؟

ج: نعم، لكن دون تبشير، ودون تعليم. ودون نبرة تديّنية أو إيديولوجية.

س: *"ليس الإسلام إبداعاً عربياً، بحصر المعنى، وإنما هو دين إلهي، كوني"*.[24] ما رأيك بساعة مكة، التي اخترعها مهندس عربي، يثبت فيها أن مدينة مكة تشكل مركز دائرتي العالمين؛ القديم ـ آسيا، وأوروبا، وإفريقيا ـ والجديد ـ الكرة الأرضية ـ ؟

ج: حتى لو كان ما يقوله هذا السيد المهندس صحيحاً، فلن يغير في الواقع شيئاً. والأرجح أنه استيهام. غير أنه، ويا للأسف، "علمي"، هذه المرة،

أو يُعْلَنُ باسم العلم.

س: هل تؤيد ما ذهب إليه محمد شحرور، أن الروح هي سرّ الأنسنة، وليست سر الحياة. أي أن الإنسان لا روح له بل نفس تذهب وتجيء مع النوم وتغيب إلى الأبد وقت الموت؟ [25]

ج: النفس مسألة بسيكولوجية، مسألة ترتبط بالمشاعر والعواطف وبالحياة الداخلية للإنسان.

الروح طاقة محركة. الروح مسألة دينية "*يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي*" لم تفسّر. لم تشرح . الأفكار حولها مجرد تأويلات. الروح اسم لشيء أو مسمى لا أحد يعرف ما هو.

إذاً السؤال ليس أن نقرأ تأويلات بلا نهاية. السؤال هل هناك روح فعلاً كما تقول الأديان؟

نحن نخلق مفهومات وألفاظاً ثم نغرق في تأويلها. دون أن نسأل عن مشروعية خلق هذه المفهومات.

obeikandi.com

العالم هو أول الجسد

س: *"هذه الرئة التي تتسع قصباتها حتى للحجر. هذا الهبوب الذي لا يميز بين العُثة واليمامة، الغراب والغيب، ومن يقودني إلى الروح؟ ومن يضمن لي أن أخاطبها إنْ تيسر من يقودني؟"* [26] ما هي الروح بالنسبة لأدونيس؟

ج: كل ما لا يرى /رأي/ العين، ويلمس لمس اليد. وليست منحصرة في دلالاتها الدينية التقليدية.

س: "لماذا تظلين مختبئة وراء حجاب؟.. لماذا لا تحبين أن أراك، ولو ليلاً؟ مرة واحدة ـ رجاء، قبيل الغروب؟"[27] لم استدعيتها؟

ج: استدعيتها لكي أشكك فيها.

س: *" لا يُعرفُ الجسدُ إلا بالجسد"*

"إن كانت الروح تكره الجسد فلماذا لا تقيم إلا فيه؟" [28]

يحتفي شعرك بالجسد، الذي تصفه بأنه الكون كله في شهيقٍ واحدٍ، وزفيرٍ واحد.

لكن هل يحيا الجسد بلا روح؟

ج: الجسد هو الوجود الكلي المادي أو الوجود الطبيعي للعالم. العالم هو أول الجسد. الطبيعة هي أول الجسد. الإنسان يخرج من رحم أمه جسداً. العقل والفكر وما يسمى الروح، مسألة تكتسب مع النمو.

obeikandl.com

وما نسميه روحاً هو الطاقة التي تحرك هذه المادة التي تسمى جسداً. هذه الطاقة موجودة في الحيوانات كلها دون استثناء، موجودة في الحشرة، وفي أبسط أنواع الحيوانات، إذاً لا يجوز أن يتميز الإنسان بهذه الطاقة، لأنه يتساوى مع بقية الكائنات بها . المهم كيف نطور هذه الطاقة عند الإنسان إلى المسألة المعرفية أو إلى ما يسمى روحاً.

إذا كان لا جسد بدون روح، فلا روح بدون جسد. إنما الوجود الأول الأساسي المباشر هو الوجود المادي. أي وجود الجسد. وعلى هذا الأساس يجب أن يعاد النظر بالجسد. الجسد مرذول وكأنه لا شيء، مع أن الجسد بحسب الخلق المستقل وبحسب الأديان، هو المادة التي لمسها الخالق. ولا أعرف كيف تكون هذه المادة التي لمسها الخالق، وجبل منها الإنسان مرذولة إلى هذه الدرجة؟

س: هل تتناسخ طاقةُ الإنسان الروحية والعقلية في الأجساد؟

ج: لا أومن بالتناسخ.

س: البعض يوعز أسباب نشوء الأديان إلى القدر. والبعض يوعزها إلى صدفة تاريخية. والبعض إلى موهبة الأنبياء. ما رأيك؟

ج: ربما، هذه كلها مجتمعة.

س: يقول محمد شحرور بأن الحيوان غير قادر على التجريد، لهذا خالف نظرية "داروين" حول النشوء والارتقاء، في أن القدرة الإلهيّة هي وراء الطفرة ـ القفزة، التي أتت بالإنسان، هل تؤيده؟

ج: علينا أن نتحاور ونتباحث مع داروين نفسه.

س: كتب الكوني في مجلة دبي الثقافية ما معناه أن البيت - من بات أو نام - سجن للروح، التي تجد حريتها بعد الموت: *"زاوج أهل التصوف منذ القدم بين الحرية والموت. من هذا الإيمان نبع اليقين الكانطي، الذي لا يورد كلمة الحرية إلا للتدليل على الموت"* هل الحرية مرهونة بالموت؟

ج: كل شيء للموت. الموت مبتذل وعام. لذلك لا أرى أن المشكلة هي الموت. على العكس أرى أن الحياة هي المشكلة الكبرى.

س: ما رأيك بكتاب مثل أحجار على رقعة الشطرنج؟ لمؤلفه وليم غاي كار؟

ج: لم أقرأه. عمّ يتكلم؟

س: عن جماعة أسماها النورانيين. لم يصرح الكاتب بخلفيتهم الدينية أو الإيديولوجية، إلا أنه ساق أحداثاً وأرقاماً تشرح وقوف هؤلاء وراء معظم أحداث التاريخ: ثورات. حروب. استعمار. أزمات مالية...

ج: لم أقرأه. آسف.

س: تصدر كتب كثيرة تشكك ببعض الكتب المقدسة.

ج: هذا النوع من الكتب لا يعنيني كثيراً. لأن هذا كله يدخل في باب التأويلات، والمحرك وراءه محرك سياسي. يهمني ما هو فكري، وما هو فني وما هو جمالي.

كلام البابا سياسي، أكثر مما هو ديني

س: ما رأيك بتصريحات البابا بندكس بأن يهود العالم، والمسيحيين الكاثوليك، متفقون[29] وهو الذي لم يعتذر، أو يلوح باعتذار، عن تصريحه بأن الإسلام دين عنف، وبأن الرسول محمد لم يأت بجديد، سوى أنه فتح البلاد بالسيف؟

ج: كلام البابا سياسي، أكثر مما هو ديني. إذاً، هو كلام قابل للنقاش.

س: هل إقفال باب الاجتهاد، كما قال المفكر محمد أركون هو الذي ابتعد بالفكر الإسلامي عن المنطق والعقلانية؟

ج: ربما. كان للتاريخ السياسي العربي ضغط قاتل لحركية الفكر. ولا يزال هذا الضغط يتواصل، بطريقة أو أخرى.

س: *"أحب الآن، في هذه اللحظة، أن أسأل الكتب المقدسة: في أي منخل نخلت كلمات الآلهة"؟*[30] *"أصبح مفهوم الله نفسه سجين الكتابة، وخارج السؤال"*[31] لماذا؟ هل في ذلك دلالة على قوة الوحي، أم ضعفه أمام الشعر؟

ج: كيف يعاش النص، سواء كان دينياً أو أدبياً: تلك هي المسألة.

وعلى هذا المستوى اختزلنا نحن العرب، نصوصنا في تشريعات وتعاليم ومعايير. فتقلصت وسجنت.

س: لماذا عجز الإبداع برأيك، عن تحرير الدين من رقبة الكتابة؟

ج: هذا العجز ليس عجز الإبداع، بحصر المعنى، وإنما هو عجز المؤسسة الدينية السياسية ـ الاجتماعية.

س: في الشرق تمت كتابة الوحي، وخسر الشعر جمهوره، وفي الغرب، تقدم العلم، ومن ثم الدين. هل تظن بأن تفوق الوحي والعلم على الشعر ظاهرة آنية في تاريخ البشرية، أم دائمة؟

ج: إذا انتهى الشعر، انتهى الإنسان. الظاهرة إذاً، آنيّة.

س: ما تبريرك لفشل أخناتون وهو الفرعون في نشر ديانة التوحيد، بينما نجح في ذلك أنبياء عاشوا ظروفاً صعبة: النبي موسى، والنبي محمد...؟

ج: هذه أشياء من الصعب تبريرها. لماذا نجح جينكيز خان في اجتياح العالم؟ لماذا نجح أتيلا في غزو الغرب وروما؟ هذه أسئلة ظرفية تابعة للظروف التاريخية. لماذا كان العالم مفتوحاً أمام الإسلام؟ الإسلام انتشر بالفتوح لا بالتبشير الديني. لم تذهب بعثات وتتصل بالناس كما فعلت المسيحية التي أدخلت الناس إليها عن طريق التعليم والتبشير، وإنما انتشر فاتحاً بالسيف وغزا العالم. لماذا؟

س: يقول نيتشه *"إن الأقدام الخفيفة ربما كانت من بين صفات الألوهة"*[32] لماذا تكون الجبال موطن الآلهة، بينما يكون الشعر في الأودية، على الرغم من مكانته العالية في الأذهان؟

ج: أظن بأن للشعر مثل الدين بعداً اختراقياً، يمكّنه من اختراق كثافة المجتمع. الشعر يخترق الكثافة، كثافة الواقع وكثافة المجتمع.

س: لكن لماذا ارتبط الشعر بالأودية؟ وادي "عبقر" مثلاً؟

ج: ـ مبتسماً ـ ذروة جبال الألومب في اليونان كانت للشعر. أعتقد بأن السبب يعود إلى انتشار الأودية في الصحراء، ثم لا أودية دون جبال.

س: *"اللحظة الأولى للدخول في سر الكتابة هي لحظة الارتطام بين كلمتين تتألفان من حروف واحدة: (الشرع والشعر)"*[33] أنت تنتقد التأويلات الدينية إجمالاً. إلا أن نقداً دينياً يصدر أحياناً دون اطلاع مؤهل لذلك، كنقد الكاتبة البنغالية "تسليمة نسرين" الذي اعترض عليه نصر حامد أبو زيد، لعدم مصداقيته ـ العدد الأول من مجلة جدل السورية ـ ما رأيك؟

ج: الحق مع الأستاذ الصديق الراحل نصر حامد أبو زيد. يفترض النقد معرفة واسعة وعميقة بما ننقده. فكيف إذا كان الدين موضوع نقدنا؟ من ينتج فكراً في ثقافة معينة، عليه أن يبدأ أولاً بنقد المسلمات.

س: كتبت حول قرأنة السلفيين للحياة، ولاحظ شحرور كيف يتحرك الواقع نحو النص، لذلك قرأ القرآن والقصص القرآني قراءة معاصرة. من ذلك قصة إبليس، وقصة خلاف قابيل مع أخيه هابيل حول أخته الجميلة "جارية البطن".

ج: إجمالاً لي ثلاث ملاحظات على المباحث التي تتصل بالدين، أو لمناسبة هذه الكتابات:

ـ الملاحظة الأولى هي أن الدين حاجة فردية إنسانية، ولا يجوز نقدها أو رفضها، بوصفها حاجة إنسانية، لكن عندما تتحول الحاجة الإنسانية

الفردية إلى مؤسسة سياسية واجتماعية واقتصادية، تفرض على مجتمع بكامله، حينذاك يجب أن تعارَض بوصفها كذلك. وهذا ما أشرت إليه سابقاً في حوارنا.

- الملاحظة الثانية هي أن الإسلام، بوصفه ديناً، يتحول اليوم إلى إيديولوجية سياسية عنفية في الغالب. ومثل هذا التحول، يتحول بدوره إلى عدوان على حقوق الإنسان وحرياته.

هكذا يصبح الدين استعباداً للجميع، بدلاً من أن يظل تجربة روحية فردية.

- الملاحظة الثالثة هي أن جميع الذين يكتبون عن الدين، ينطلقون من مسلمات. والمشكلة مع الدين، هي هذه المسلمات. أحترم وجهة نظر الدكتور شحرور، والأساتذة الآخرين الذين يدرسون النصوص الدينية، بوصفها مسلمات. إنما لا أوافقهم على النظر إليها بوصفها كذلك، لأن من ينتج فكراً في ثقافة معينة، عليه أن يبدأ أولاً بنقد المسلمات. ولا أجد حتى الآن، أحداً يبدأ هذه البداية. لا يهمني تفسير النص الديني أو تأويله، بوصفه مسلمة. ذلك أن المشكلة الفكرية العميقة كامنة في النص ذاته.

س: لكن لهذه التأويلات التي درسها كثيرون، ثقلها في الواقع، وهي التي توجه ملياراً وثلاثمئة مليون مسلم في العالم. وقد كتبتَ: *"الإسلام هو، اليوم، المادة الأولى في سياسة العالم. شرقاً وغرباً. شمالاً وجنوباً. العقدة، وردة الرياح الحربية، في هذا كله، هي فلسطين"*. (34)

ج: هذه مسألة سياسية واجتماعية. على المستوى النظري شيء، وعلى المستوى العملي، السياسي والاجتماعي، شيء آخر.

وعندما ندرس فكراً دينياً علينا أن ندرسه أساسياً، في مستواه النظري. من هذه الزاوية، ليست المسألة أن نؤوّل النص الديني اليوم، وإنما المسألة أن نطرح أسئلة على هذا النص. وإذاً ليست المسألة مسألة إصلاح ديني، لأن الدين في ذاته لا يمكن إصلاحه. مهما كان المفكر مؤولاً بالمعنى الإيجابي. لا يمكن أن يفيد في تغيير الحياة السياسية الاقتصادية والاجتماعية. وليست هذه مهمته. مهمته أن ينقد رؤية دينية في ذاتها للإنسان وللعالم، وليس أن يؤولها بحيث تنطبق على كل زمان ومكان كما يقول بعض المسلمين.

هذا النقد للنص الديني في ذاته بوصفه نصاً، هو المطلوب من المفكر الحقيقي، ومن الفيلسوف الحقيقي. وما عدا ذلك إذا انحصرت المسألة في التأويل وحده، فهذا يعني أن الهدف سياسي اجتماعي، وليس هدفاً فكرياً، أو معرفياً.

س: العقدة و وردة الرياح الحربية هي فلسطين، هل تُرجع السبب إلى بروتوكولات صهيون؟ أم إلى الإسلام الأرثوذكسي؟ ما سبب هيمنة الفئات الدينية على بعض صناع القرار في الغرب؟ ولماذا هذا الإقبال على الإسلام؟

ج: أسئلة أجاب الواقع عن بعضها، فلماذا تكرار الأجوبة؟ أما "الإقبال على الإسلام" فمسألة تحتاج إلى تدقيق كبير. وليست جواباً عن مشكلات الإسلام. وليست دليلاً إيجابياً بالضرورة.

س: هذا يقودني إلى سؤال حول عبارتك: *"أعلنت حرباً لا تنتهي بين اللانهاية والله"*[35] هذا يعني أنك لا تخاف الجحيم ولا تخاف الشيطان.

ج: في ما يتعلق بالجحيم والشيطان بوصفهما نصاً، هما بالنسبة إليّ مدعاة سؤال. لا أقف منهما موقف الشخص الذي يؤمن بوجودهما، ثم يفسر هذا الوجود بشكل أو آخر. المسألة بالنسبة إليّ: أهناك شيطان حقاً؟ أهناك جحيم حقاً؟ هذا هو السؤال.

س: يقول "غوته" على لسان فاوست بطل مسرحيته "د. فاوست":

"ولا أخاف الشيطان أو الجحيم!

ولكنني بالمقابل حرمت بهجة الصفاء والسرور".

ج: فليتناقش، أو فليتحارب مع ذلك الكائن الذي حرمه من هذه الطمأنينة.

س: كتبت: *"ففي هذا الماضي بدءاً من حروب الردة، مروراً بأشكال الاضطهاد والقتل.. ما يشجع هذا الحاضر على المضي قدماً في اضطهاد المخالف أو قتله".*[36]

و *"يجب أن نعترف أن كثيراً مما يمكن أن يسمى في علم النفس بـ"شهوة القتل والإلغاء" مصحوبة بما يسمونه بـ" طبائع الطفولة" ظاهرة شديدة الحضور عند كثير من الجماعات التي تتكون منها المجتمعات العربية."* [37]

ألا تشكل هذه المراجعة للتاريخ العربي استفزازاً للقوى الأصولية المتأسلمة؟ ألم تحضر "شهوة القتل والإلغاء" بقوة في التاريخ الغربي؟

ج: حضور هذه الشهوة في الغرب لا يجوز أن يتخذ عذراً لحضورها عندنا. أخطاء الآخر لا يجوز أن تدفعنا إلى ارتكاب ما يماثلها.

س: *"نعرف جميعاً أن العقل هزم، وأن النقل انتصر.. لا يمكن فهم الحرية بوصفها تحرراً سياسياً، إلا بوصفها تحرراً من سلطة الدين في المقام الأول."* [38]

ما رأيك بالمشاريع الإسلامية المقدمة من قبل البعض: مشروع الدكتور محمد شحرور مثلاً، لاسيما كتابه "الكتاب والقرآن قراءة معاصرة"؟

ج: لم أطلع ـ للأسف ـ على جميع المشاريع. أما مشروع د. شحرور، فهو مشروع جيد، لكنه أتى من داخل الإسلام .. جميع المفكرين ظلوا ضمن هذا الإطار.

أحترم المتدينين، لكنني أفصل بين الدين من جهة، والثقافة والدولة من جهة ثانية.

obeikandl.com

القرآن لم يبتكر لغة جديدة

س: تساءلت: *"كيف للغة وثنية أن ينطق بها وحي آلهي جاء نقضاً للوثنية؟ وكيف تتحول من ثم إلى لغة آلهية بقواعدها الوثنية ذاتها؟"* [39] لكن جميع الأفكار الكبرى طرحت بلغة الأفكار السابقة لها. فإحدى الآيات القرآنية تبتدئ بـ"واللات والعزى"، كما أن الإسلام لم يسمح بالقفزات الفجائية. وتكلم نيتشه عن قناع القوى السابقة.

ج: ليست هناك في العالم لغة نطق بها "اللّه" بألفاظها وقواعدها، إلا العربية، كما يؤمن المسلمون. اللغات الأخرى ليست آلهية، وإنما هي أرضية ـ بشرية.

س: *"من قال: "الشاعر لا يدخل السماء إلا محروساً بالجحيم؟"*

سؤال لا يزال طرفة بن العبد، يطرحه على أبجدية العرب" [40]

إلى أية درجة ساهم الشعراء الجاهليون في نشر مرويات أهل الكتاب، وفي التبشير بولادة ديانة جديدة في الجزيرة العربية؟

ج: يعرف المسلمون أن اللغة التي نزل بها القرآن هي اللغة التي كتب بها امرؤ القيس، قبل نزوله بحوالي خمسمئة سنة، على الأقل. هذا كل ما يمكن أن يقال. القرآن لم يبتكر لغة جديدة. وإنما نزل بلغة كانت قبله. وهذا دليل على عظمة اللغة العربية.

س: *"ليس هناك شعر إلا إذا كان مشحوناً بالفكر.. وكان كذلك في الشعر الجاهلي."* [41] هل تؤيد ما ذهب إليه "أحمد أمين" في كتابه "فجر الإسلام" من أن جلّ الشعر العربي يتصف بالمبالغة، ويقتصر على المدح والهجاء، والتعصب

للقبيلة، وأن العربي لم ينظر إلى العالم نظرة عامة شاملة كما فعل اليوناني؟

ج: هذه قراءة للشعر العربي تقليدية، وغير دقيقة. ولا تنم عن معرفة عميقة بهذا الشعر العظيم.

س: *"هنا، عندنا خصوصاً، على البحر المتوسط الأقصى وهل يمكن أن تلغى الجمعة من أيام الأسبوع، ونضع مكانه يوماً آخر باسم آخر؟ وهل يمكن أن نلغي كذلك السبت أو الأحد ؟"*[42] هل يدخل حذف مسميات تلك الأيام في إطار الممكن إطلاقاً؟

ج: لم لا؟

س: ما السبب - برأيك - الذي جعل اليهود قادرين على تنفيذ مخططاتهم منذ بروتوكولات صهيون حتى اليوم؟

ج: لماذا البحث عن الأسباب، ما دامت النتائج ماثلة أمامنا؟ المسألة هي: ماذا نعمل نحن؟ وكيف نفكر؟

س: يقول نيتشه: *"وهذا الشعب اليهودي ذاته، الذي وجد شروط وجوده، في لحظة من تاريخه، في الكاهن، هو اليوم الأقدر على إنقاذ أوروبا وحمايتها من نفسها، عن طريق اختراع شروط أخرى جديدة"*[43] لماذا؟

ج: علي لكي أجيبك، أن أسأل نيتشه، أولاً.

س: هل تؤيد ما ذهب إليه الدكتور "عبد الوهاب المسيري"، بأن إسرائيل ستنتهي بعد خمسين عاماً، لأسباب متعددة، أهمها التركيبة المورفولوجية لسكان فلسطين؟

ج: جوابي سؤال هو: ما رأيك بمن يقول إن العالم كله سينتهي؟

العقل الميت لا يمكن أن تكون لغته إلا ميتة

س: "بعد سقوط بغداد 1258، أخذت حيوية الإحداث والتجدد والتطور في تجلياتها السياسية والثقافية تتلاشى" [44]. وهذا ما يحصل اليوم بعد سقوط بغداد الثاني 2003، هل شهد العرب برأيك، انفراجاً بين السقوطين؟

ج: كان يمكن أن يشهدوا هذا الانفراج، لو أدركوا معنى القطيعة، ومعنى التواصل بدءاً من هذه القطيعة. كانت الظروف الموضوعية قائمة، غير أنهم، لسبب أو آخر، لم يروها.

س: غوته. بوشكين. تولستوي. برنارد شو ... اطلعوا على بعض أوجه الإسلام. وتنبأ بعضهم بانتشاره.

لماذا لم يتنبأ المفكرون العرب بانتشار الإسلام على هذه الصورة التي نراها، كما فعل مفكرو الغرب؟

ج: لسنا بحاجة لتنبؤات من هذا النوع. استيقظ المفكرون العرب ورأوا الإسلام منتشراً. ثم إن العرب يؤمنون بأن في القرآن أجوبة عن جميع الأسئلة، وفيه جميع العلوم. ألذلك لم يبتكروا أي علم؟ أم لأسباب أخرى. اسأليهم لماذا.

س: ماذا يعني لك نشوء ثلاث حضارات كبرى في منطقتنا العربية: الحضارة الفرعونية، والحضارة السومرية ـ البابلية، والحضارة الإسلامية العربية. من أصل عدد قليل من الحضارات التي صنفت على أنها الحضارات الأكثر فاعلية في التاريخ البشري؟

ج: جميع الأديان الوحدانية من بلدان العرب، الإسلامية والمسيحية واليهودية،

جميعها نشأت في البلاد العربية، وغزت العالم كله. فهذه المنطقة مبثوثة في قارات العالم كلها. ماذا يعني ذلك؟ هذه الأرض التي تسمى العربية، وبعضهم يسمونها الشرق الأوسط، أو سورية، نشأت فيها الأديان الوحدانية الثلاثة، وهي تقود العالم بكامله، ما عدا العالم الآسيوي. تؤثر فيه بشكل كبير. لكن ماذا يعني ذلك؟ هذا هو السؤال الذي ينبغي أن نفكر فيه، ونحاول أن نجيب عنه.

س: مصادفة؟

ج: مصادفة تاريخية، ويمكن أن نضيف، جغرافية.

س: كتبتَ في أبجدية ثانية: *"يبقى أن نعرف كيف نحول الريح إلى نرد صائب"*.

وقد منح نيتشه نفسه الحق الشعري والفلسفي بأن يحلم بآلة إثبات الصدفة. وتأليف العدد الذي يرجح رمية النرد .. باختصار الآلة النارية الهيرقليطية[45] هل هو الخيال العلمي؟ وهل يمكن تحقيق ذلك مستقبلاً؟

ج: لا أعرف.

س: تزدحم العبقريات أحياناً في زمان ومكان محددين، لماذا برأيك؟

ج: مصادفة تاريخية وإنسانية عظيمة، لا أعرف كيف أحللها، أو أوضح أسبابها.

س: لماذا كانت القدس، والمنطقة العربية، رحماً لجميع الأديان السماوية؟ هل تؤيد ما يقال من أن البيئة الشعرية هي القاعدة التي انطلقت منها الأديان؟

ج: يصح هذا على الأقل، في البلدان العربية.

س: ازدهر الشعر في اليونان، دون أن يستغرقه الدين، الذي تحول عندنا

إلى إيديولوجية واحدية، هل يعود السبب إلى أن شعوبنا هي التي اخترعت الكتابة، ووثقت الدين؟

ج: ربما.

س: استشهدت بقول رولان بارت *"إن طاقة التغيير في الكتابة، لا تكمن في التزامها أو في "مضمونها" وإنما ترتبط بمدى قدرتها على خلخلة سياقها المعرفي، فكرياً وفنياً."* (46)

هل أنت راض عن عملية "تبيئة" المصطلحات المعرفية؟ وهل تؤيد المطالبين بحل مشكلة اللغة العربية تقنياً، من حيث تبسيط قواعد نحوها وصرفها؟

ج: اللغة، أياً كانت، هي في استخدامها وفي طرق هذا الاستخدام. وهي إذاً، تابعة للعقل.

العقل الميت لا يمكن أن تكون لغته إلا ميتة، المشكلة في العقل لا في اللغة.

obeikandl.com

ليس أمامنا إلا المجهول، وإلا المشكلات

س: *"لا تجيء الكتابة العظيمة إلا من الذروة أو من الهاوية"* [47]

"سأعطي أذني، هذا المساء

لموسيقى تطلع من الخراب".

ونحن نسمع اليوم موسيقى تطلع من الخراب العربي.

فهل تسمع ذات الموسيقى التي تحبُّ سماعها؟

ج: نعم. لكنها لا تزال خافتة.

س: لكن ماذا عن الخراب الكوني؟

ج: صارت موسيقى الخراب العربي قديمة، لكن الخراب كوني، بشكل أو آخر، قليلاً أو كثيراً. الفرق أن العالم يصغي، والعرب يرفضون الإصغاء.

س: بأي حقبة تاريخية يشبّه أدونيس الزمن الذي يعيشه العرب؟

ج: هذه الحقبة العربية الراهنة فريدة بتمزقها وانهياراتها وتخلفها. كنا ننهار في عصور التخلف، أما اليوم فإننا ننهار في عصور التقدم.

س: كتبت *"الحوار لا يجد قوته وضرورته إلا في اعترافه بعجزه"*. *"في التسامح نظرة استعلاء."* [48]

ما تعليلك لظاهرة تنظيم المؤتمرات الدولية لاسيما في دول الخليج، التي تتخذ من كلمتي الحوار والتسامح شعاراً لها؟ هل لكل عصر ملمح فكري

obeikandl.com

وفني معين، يخدم مصالح المروجين له؟

ج: تظل اللقاءات والحوارات مفيدة - شريطة أن تندرج في مشروعات، ومخططات، ورؤى.

س: لقد احتفى بكم الغرب، وساعدكم على اكتشاف أنفسكم، وعلى البحث في كنه الوجود وصيرورته.

الآن، بعد احتدام الصراع بين المسلمين والغرب، أين مرفأ المبدعين الذين شردتهم عواصف الأنظمة العربية؟

ج: أشعر أنه ليس أمامنا إلا المجهول، وإلا المشكلات.

س: تثق بأن *"الأرض العربية، لا بد أن تخرج من سباتها ومن ثبوتها، وبأن أفق التفاؤل العربي يتعذر انفتاحه، إلا أفق اليأس من الراهن."* [49]

هل تنظر بمنظور شعري تنبؤي؟ أم هو واقع التراكم المعرفي لهذه الأرض؟

ج: لا أقول ذلك عن تنبؤ، بل عن ثقة بالإنسان. الإنسان الذي صنع الماضي البشري العظيم، قادر على صنع مستقبل عظيم أيضاً، أو أكثر عظمة، وفي جميع الميادين الشعرية والعلمية وغيرها.

س: كيف تتقاطع تخطئتك للجمهور العربي، مع كل من مقولة أينشتاين: *"تحطيم الذرة أهون من تحطيم الأفكار العنيدة"*. والحديث: *"كما أنتم يولى عليكم؟"*

ج: قد يكون هناك تقاطع بين هذه التخطئة وهذه المقولات.

س: قلت أن الفكر في المغرب العربي متمثلاً في أركون وعبد الله العروي ومحمد عابد الجابري وهشام جعيط وغيرهم، أكثر عمقاً وغنى، مقارنة بما هو موجود في المشرق.

هل سيبقى الفكر عميقاً وغنياً بعد وفاة أركون ومحمد عابد الجابري؟ أم قصدت الحركة الفكرية المغاربية بالمجمل؟ كيف تنظر إلى مستقبل الحركة الفكرية في المشرق العربي؟

ج: إجمالاً، أجد الحركة الفكرية المغاربية، أعمق وأغنى وأكثر حيوية من حركة الفكر في المشرق العربي. ولا أستطيع أن أتنبأ بالمستقبل.

س: رأى البعض بأن انتشار الكتابة في بلاد الشام، دليل على رؤية جماعية، مناقضة للرؤية الواحدية، التي كانت منتشرة في الحضارات الفرعونية، وحضارات ما بين النهرين. ما رأيك؟

ج: وجهة نظر أحترمها وأقدرها. لكن لا بد من أن تطرح حولها بعض التساؤلات.

س: *"كنت ألاحظ كيف يغط البشر أقلامهم في محابر الموت، ويكتبون سيرة العصر."* [50]

هل أنت راض عن توثيق الكتّاب العرب لراهن العصر؟

ج: بعضهم قدم أشياء مهمة وموحية وخلاقة.

opelkandi.com

ابن رشد حاضر في الثقافة الأوروبية،

أكثر مما هو حاضر في الثقافة العربية

س: كتبتَ عن نابولي: *"جسدي فيها مسكون بالغرب والشرق. وها أنا قوس قزح يرسم الضفاف."* [51]

وعن اسطنبول: " *شعرتُ أنني كمثل هذه المدينة: أواجه الكون ـ خداً للشرق، وخداً للغرب."* [52]

ألم يلتق الشرق والغرب في الأندلس، التي زرتها؟

ج: كتابة القصائد لا تبرمج. تأتي بحسب الظروف، وبحسب الإلهام والمشاغل. أنا لا أبرمج. لا أقول إنني سأكتب قصيدة كذا وكذا عن هذه المدينة، أو عن هذه القضية. لا أستطيع.

س: قصدتُ أنك لم تشر إلى الحضارة العربية التي ازدهرت في الأندلس. هل تلاشى أثر تلك الحضارة فيها؟

ج: بالطبع. لا يوجد أي أثر لهذه الحضارة في أوروبا والغرب. إلا في العمارة، وقليلاً في اللغة. الأوروبيون أخذوا العلوم العربية وتمثلوها وأفادوا منها وتجاوزوها. هذا الأثر انتهى. أصبح يمثل جزءاً من الثقافة الأوروبية. مع الأسف كان ابن رشد حاضراً في الثقافة الأوروبية أكثر مما هو حاضر في الثقافة العربية.

openkandil.com

س: في الأندلس اصطحبت لوركا. لم تصطحب أياً من الشعراء أو الفلاسفة العرب، الذين عاشوا في الأندلس.

ج: لسبب أساس هو أن لدى لوركا ما أقدر أن أتحاور معه. ما يقدر أن يطرح عليّ أسئلة في طريقي المعرفي والجمالي، وما أقدر أن أطرح عليه من أسئلة في هذا الطريق. بينما إمكانية تبادل الأسئلة وتبادل الأجوبة، لا أجدها عند أي مفكر عربي، أو شاعر عربي. نحن نبحث عن الشعراء. لا أجد عند أي شاعر عربي في الأندلس مثل هذا الإمكان، لهذا اخترت لوركا. وفي الشعر هذا الذي يربطنا بالهوية. يمكن أن تجدي قرابة بينكِ وبين لوركا أو مایاكوفسكي، أكثر مما تجدينها بينك وبين حسان بن ثابت، أو أحمد شوقي أمير الشعراء. وهذا يؤكّد أن الهوية عند الفرد الخلاق هي ابتكار، وليست شيئاً منجزاً مسبقاً.

س: هل الإنتاج الفكري في مستوى تسارع الأحداث؟

ج: ليس من الضروري أن يتسارع الإنتاج الفكري بتسارع الأحداث. الاستجابة السريعة للحدث فاشلة غالباً، فكرياً وفنياً. لا بد من مسافة بين الحدث والكلمة.

س: *"يا لذلك الخبز السري... تأكله الجرذان الإليكترونية".*

ألا يحتم التسريع التكنولوجي للأحداث العربية، تسارعاً في الإنتاج الفكري؟

ج: ليس بالضرورة. الفكر صوت لا صدىً.

س: *"الساحات العامة مصنع الدراما البشرية، والشوارع مداجن ينكسر فيها بيض التاريخ"*. كتبتَ عن نابولي في مسرحية "أشجار تتكئ على الضوء" هل تَصنع ثوراتُ المدن العربية دراما بشرية جديدة؟ بيضَ أيِّ تاريخ تكسره مداجنُ شوارعها؟

ج: لا بُدّ، كما يبدو، من الانتظار.

س: كتبتَ في كتابك " الكتاب الخطاب الحجاب" عن القارئ الناقد المبدع، وقلت أن الجمهور فنياً لا معنى له، وبأن تدني الشعر تكشف عنه في المقام الأول، كثرة جمهوره. [53]

هل يصل شعرك إلى المتلقي العربي، بالطريقة التي تتوخاها؟

ج: كلا.

س: خضت في ديوان الشعر العربي عام 1962 "معركة الذاتية والوجود"، و"معركة الذائقة"[54]، وكنت مقتنعاً بأن التجديد في الشعر والفكر، يقوم على اكتشاف اللغة، وعلى افتتاح أفق آخر للكتابة وللفكر، هل كان لتوضيحاتك صدى في الكتابة الشعرية والنثرية اللاحقة، هل أنت راضٍ اليوم عن الإنتاج الشعري والفكري؟

ج: نعم، في ما يتعلق بالشق الأول من السؤال، كما أظن. أما عن الشق الثاني، الرضا، فإن الخلاق لا يرضى حتى عن نفسه.

obeikandl.com

لا حتميات في العالم،

لا في التاريخ ولا في غيره

س: قال ابن خلدون أن للأمم أعماراً محددة كالناس. إلا أن دولاً تنفض عنها غبار التخلف وتعود إلى ميدان السباق الحضاري، كالصين مثلاً. هل العرب من هؤلاء؟

ج: في الأفق المنظور، في الواقع العملي، في الرؤية والممارسة، جوابي هو: كلا.

س: ألم تعبّر ثورات المنطقة العربية مؤخراً عن حيوية الشعب العربي، وقدرته على مواصلة البناء؟ أم هي الفوضى الخلاقة؟

ج: لا أسميها ثورات. هي، بالأحرى تمردات. لم تكتسب بعد هويتها الفعالة، التأسيسية.

س: *"متفوهاً باسم القاهرة.. ثمة راقدون تحت أحزانهم في ما يشبه الغضب".*

تونس، مصر، ليبيا... اليمن، البحرين.. تمطر دون غيوم. هل كانت سرعة التغيير مفاجئة بالنسبة إليك، كما كانت للكثيرين؟ هل ستختلط الأوراق جرّاء هذه السرعة؟

ج: ما حدث مهمٌ جداً رغم كل شيء. وآمل أن يأخذ بُعده التاريخي، المغيّر حقاً والتأسيسي.

س: *"خرج الحاضر من أسمائه."* هل لهذه الثورات طابع عربي؟ ما مصير

obeikandl.com

العروبة ـ بتقديرك ـ على ضوء ما يجري؟

ج: الغموض والتعثّر.

س: *"الابنُ، عند العرب أب بالولادة، المجتمع العربي مجتمع آباء"*

هل يشبه الأبناء آباءهم في مجتمع ما بعد الثورات العربية؟

ج: لا. على مستوى الظاهر، المباشر. المهم هو أن يحدثوا القطيعة. على مستوى البنية العميقة.

س: أدين ابن خلدون من قبل بعض المفكرين العرب: طه حسين ـ أحمد أمين ـ سلامة موسى.. لأنه لم ينصف العرب، إلا أن بعضاً منهم اتهم المستشرقين باجتزاء وتحريف كتاباته التي اكتشفها مستشرق فرنسي عام 1806[55] ما رأيك؟

ج: الهرب أو الخوف من نقد الذات يخفي ضعفاً كبيراً، يتحول أحياناً إلى نوع من المرض. وتلك هي حالتنا نحن العرب. نحن مرضى بمدح الذات. حتى حين نهجو، يكون هجاء الآخر نوعاً من مدح الذات. ابن خلدون في كل ما قاله موضع نقاش لا موضع قدح أو ذم.

س: *"للأساطير التي تحضن أيامي وللحلم الذي يحنو عليّ*

أغسل التاريخ ـ ما قال، وما أنكرَه

بالإشارات التي يرسلها الفجر إليّ" [56]

نبه البعض إلى تداعي الإحساس بالتاريخ، في ما رآه البعض مصدر إزعاج، ودعا آخرون إلى إعادة إحياء دوراته. وأنت وصفته بأنه جائع يلتهم نفسه،

وتحدثت عن أعواد الثقاب التي تبحث عن أصولها المتجمدة في جباله".

هل تنتقد التاريخ العربي، أم تأريخه؟

ج: ننتقد التأريخ، أو كتابة التاريخ وطرق هذه الكتابة. والنتائج التي يصل إليها. أما أن أنتقده نقداً بحيث أنفيه أو أنفي ضرورته، هذا لم أفعله، ولا أفعله. بهذا المعنى عندما أنظر إلى تاريخنا العربي، خصوصاً تاريخنا الراهن. وأعتقد لست وحدي في هذا، ربما أكون أكثر حدّة أو أكثر جرأة ـ لست حاداً إجمالاً ـ فقد أكون أكثر جرأة في قول ما يجب أن يقال.

س: "ولتضحك أسنان المشط: الناس، الأشياء، سواء في حبر التكوين". [57]

هل سارت أحداث التاريخ تبعاً لترابط جدلي في ما بينها، كما يرى مفكرون مؤمنون بحتمية الجدلية التاريخية؟ أم أن مفاجآت وانعطافات كبرى غيرت في ملامح أحداثه؟

ج: لا حتميات في العالم، لا في التاريخ ولا في غيره. لو كانت هنالك حتميات فعلاً لما استطاعت الثورة البلشفية ـ على سبيل المثال، أن تطيح بالقياصرة. التاريخ مفاجآت وانقطاعات وبناء يؤثر فيه عمل الإنسان . من أجل ذلك تحدث التغيرات الفجائية. التاريخ عمل إنساني، لكنه عمل متقطع ولا يسير بمنحى واحد، لكنه ينحرف بحسب الإبداعات البشرية.

س: *"في ظني أن الكذب هو آدم التاريخ، وأن التاريخ العربي هو بين أبنائه الأكثر حظوة."* هل التأريخ الأوروبي أكثر مصداقية من التأريخ العربي برأيك، أم العكس؟

ج: تقصدين التاريخ المكتوب؟ أكيد أنه أكثر صدقاً، لأنه أكثر دقة

وإحاطة، وأكثر موضوعية. كتابة التاريخ العربي قامت، مبدئياً، على انحياز سياسي وديني ـ مذهبي. إضافة إلى الذهنية الخرافية التي توجهها. التاريخ عندنا شكلٌ من أشكال الحكاية.

س: *"من الأسمال ينسج بُرد التاريخ."* [58]

النص التاريخي ينقل الحدث ويصفه، والنص الشعري يخترقه ويستشرفه. مَنْ يوجه مَنْ: النص الشعري، أم الذاكرة؟

ج: في ما يتعلق بالذاكرة الشعرية، أسترجع ما ورد في التاريخ العربي من أن شاباً سأل أحد العارفين الحكماء، كيف السبيل لأن أصبح شاعراً؟ فقال له: *"احفظ ألف بيت من الشعر ثم انسَها تصبح بعدها شاعراً"* أما في ما يتعلق بذاكرة العائلة والأصدقاء، والذاكرة الشعبية، فالأمر مختلف.

س: كتبت: *"تنصب الذاكرة، كل يوم، أمامي فخّاً من تفاصيل أيامي الغابرة"*.

ما درجة تأثر الذاكرة الشعرية بالذاكرة الشعبية، وذاكرة العائلة والأصدقاء؟

ج: هناك تأثر أكيد. لكن لا أعرف كيف أحدد مستواه ودرجته.

س: تحدثت عن ناطحات السحاب الأمريكية في قصيدتك "قبر من أجل نيويورك" وتساءلت: *"ما العصر؟ ما الحداثة؟ أهي ناطحات السحاب التي تزرق عليها الغيوم المهاجرة؟"* [59] ما رأيك بناطحات السحاب العربية؟ برج دبي مثلاً الذي يقرأ جزر بحر العرب؟ وكنت قد عبرت عن إعجابك بمزيج دبي البشري - مجلة دبي الثقافية - .

ج: كمظهر عمراني، دبي مدعاةٌ لإعجاب كبير بوصفها مدينة توحد بين الصحراء والبحر، بحسّ مدني وعمراني، أو بحسّ هندسي عالٍ جداً. لكن ما مستقبله؟ لا أعرف.

س: لم نكتشف نحن العرب، الثروات الكامنة في أعماق أرضنا. الأجنبي هو الذي اكتشفها. هل اكتشاف القدرات الإبداعية العربية يتطلب أيضاً خبرة أجنبية؟

ج: القدرات الإبداعية العربية بحاجة إلى مؤسسات. لأن العالم أو المجتمع لا يتقدم إلا بمؤسساته. لا يتقدم بعدد أفراده المتعلمين. لو كان مقياس العدد الفردي هو مقياس التقدم، لكان لبنان أكثر بلدان العالم تقدماً. الذي يلجم حركة التقدم في لبنان هو المؤسسة الدينية والمؤسسة السياسية.

لذلك يقاس تقدم المجتمع بمدى تقدم مؤسساته. وهذا ما يحتاج إليه العرب. العرب حتى الآن لم ينجحوا في بناء المؤسسات، لأن هاجسهم ليس بناء المؤسسات، بقدر ما هو بناء السلطة، بناء الهيمنة السلطوية.

س: تدعو إلى ضرورة تحرر الثقافة من سلطة المال والسلطة. هل تخشى أن يتم تصنيع الثقافة العربية، وفقاً لرسائل ملحقة ببيانات النفط؟ وهل تتنبأ بعودة دور مدن المتن الثقافي التقليدية –بيروت، القاهرة .. خلال مدة منظورة؟

ج: هذا التصنيع قائم، وفعال. ومن السهل على كل واعٍ أن يراه. والخشية هي أيضاً قائمة. أما عن الاستعادة التي تشيرين إليها، فمن أين لها أن تتم في أفق هذا التصنيع؟

الديمقراطية لا تكون إلا في مجتمع مدني

س: تستشهد بقول ماركس *"لا تطرح الإنسانية على نفسها إلا المسائل التي تستطيع أن تحلها"* في ما يدعو مثقفونا شعوبهم لممارسة الديمقراطية، مع العلم أنه إذا تم إجراء اقتراع جماهيري في أي بلد إسلامي، فإن الدين لا شك هو الذي سوف يفوز.

ج: هذا صحيح. لكن الديمقراطية لا تكون إلا في مجتمع مدني. بغير ذلك تبتلع العلاقات القبلية والدّينية كلَّ ما عداها. ليست هنالك ديمقراطية في ظل هذه العلاقات.

س: لكن ألا يحتاج المجتمع المدني إلى تأسيس مجتمع سياسي، ينتج الآليات والأطر اللازمة، كي لا يتم اختراق مشروع التغيير من الداخل والخارج كما يرى طيب تيزيني؟

ج: هل يمكن لتظاهرة تخرج من الجامع باسم السياسة، أن تبني هذا المجتمع السياسي تمهيداً للمجتمع المدني؟ شخصياً، لا أظنّ.

س: تقول في كتابك أبجدية ثانية: *"يمكن لزهرة من الكلام أن تخفي غابة من القتلى"* وإن بعض المطالبات ـ لا سيما الخارجية ـ تستبق الأمور، ولا تنتظر ريثما تتم تهيئة الأطر اللازمة للمجتمع المدني، وبناء القاعدة اللازمة له.

ج: صحيح. وهذه سياسة تندرج غالباً في خطط الإحراج والإرباك.

س: كتبت: *"أتيح للنصوص الدينية اليهودية والمسيحية عقول خلاقة وحرة تعيد قراءتها وتأويلها في ضوء الشغف الإنساني إلى المعرفة والتقدم."* [60]

لكن بعض الشعراء والمفكرين تخطوا مرحلة إشباع شغفهم الإنساني إلى المعرفة والتقدم، ووظفوا أعمالهم في خدمة السياسات العنصرية.

ج: تسألين. لكنك تجيبين في السؤال ذاته.

س: هل تؤيد من يقول إن الطبقة الوسطى هي الحامل الثقافي للمجتمع. وهل شكّل غيابها عاملاً أساسياً في تدني مستوى الثقافة في بعض البلدان العربية؟

ج: يجب أن نعيد النظر في مفهوم الطبقة، وفي مدى صلاحية هذا المفهوم في مجتمع لا يزال في بنيته العميقة، قبَلياً دينياً، كالمجتمع العربي الإسلامي.

س: *"لا أسمع في الواقع العربي المحيط إلا حمحمة خيول يقودها الموت."* [61]

ثمة نبرة يأس واضحة تجولت بين صفحات كتبك الأخيرة، على الرغم من "شهوة الأمل " الموجودة لديك. إلى أين يفضي الطريق، الذي يشكل الإسلام مداراً وداراً للحرب الكونية الثالثة كما تقول، هل يتراءى لك الحل عبر بطولة فردية، أم جماعية؟

ج: إن كان هناك حلٌ، فلا بد من أن يكون جماعياً، يؤسس له الأفراد.

س: *"هل الأصابع المقطوعة هي وحدها التي تعرف كيف تلتحم أوصالُ التاريخ؟"*

طالبتْ شعارات الثورات العربية في كلٍ من تونس ومصر وليبيا بعلمانية الدولة، وقد سمعنا عن مطالبات لبنانية بإلغاء المؤسسات الطائفية. ما رأيك؟

هل ستُرفع شعاراتٌ جديدة تليق بالأحداث التاريخية التي نشهدها؟

ج: يجب أن نأمل ونعمل.

س: *"المرض فاتك، والعلاج الذي يوصف أشد فتكاً".*

"ها هو الزمن يبلل أطرافنا بموجه الأسود" [62]

"وقود العالم يهرب من خزانه" [63]

ألا يرتبك الشباب العربي عندما يقرؤون كلاماً عن حتمية قدوم الكارثة؟ ألا يطلب من المبدع الإشارة إلى مكامن القوة في المجتمع؟

ج: الارتباك والهلع هما مما ينقصنا ـ وهو كثير. لعلّ في الارتباك والهلع ما يدفعنا إلى مزيد من حسن التأمل، وحسن التفكير، وحسن البحث.

س: *"ما يكون الموقف من تاريخ كل من الإسكندرية والقاهرة؟ نعرف أن عمرهما العربي ـ الإسلامي ـ لا يمثل إلا جزءاً من عمرهما الطويل قبله، فهل نمحو هذا العمر؟"* [64]
ألم يؤسس الفاطميون مدينة القاهرة؟

ج: كانت مصر موجودة قبلهم.

س: في حديث للدكتور "طه حسين" منشور في دبي الثقافية تكلم عن "أبو الطيب المتنبي" بأنه متكلف، وكثير الاعتداء على الشعراء السابقين وعلى الفلاسفة أيضاً.

ما رأيك بشخصية طه حسين، الذي كتب "في الشعر الجاهلي" مشككاً بمصادره، والذي قبل ألا يتم التحدث في بيته، إلا باللغة الفرنسية نزولاً عند طلب زوجته الفرنسية؟

ج: هذا لم يحدث معي. فقد تحدثت مع طه حسين في بيته، وفي حضور زوجته الفرنسية، باللغة العربية. يظل كتابه هذا، مهما قيل فيه، مهماً جداً. طه حسين رائد كبير.

س: لماذا يقلل بعض المثقفين والمفكرين العرب: طه حسن ـ سعيد عقل ـ رياض نعسان آغا .. من شأن المتنبي برأيك؟

ج: لأنهم لا يفهمونه، شعرياً . يسجنونه في الحادثة، وينظرون إليه بعين هذا السجن.

obeikandl.com

الهوية بعد فكري وليست كينونة

س: نظرت إلى الهوية على أنها لا تُلتمس في المُشترك العام السياسي، الاجتماعي، وإنما تُلتمس في الخاص الإبداعي، وأنها لا تخلو في جميع الأحوال من بعض النزوع العنصري[65]. وهذا ما ذهب إليه بعض المثقفين العرب، الذين عاشوا في الغرب: أمين معلوف ـ إدوارد سعيد الذي يقول بأن الهوية هي من صنع صاحبها في النهاية، ومحمود درويش، الذي تكلم عن هوية الروح، في حين نظر إليها من عاش داخل الوطن برؤية مغايرة، فهل يملي المكان رؤيته؟

ج: الهوية بعد فكري وليست كينونة. أتساءل: هل أنا حر، هل أتمتع بحقوق الإنسان؟ مجرد كوني عربياً، مثلاً، أمر لا يعني شيئاً. فما يعني هو "مضمون" عروبتي، هو "معنى" كوني عربياً.

س: لماذا تقوم الدنيا، ولا تقعد إذا تعرض حاملو هويات بعض الدول للأذى، على عكس الآخرين، الذين لا يشكل موتهم إلا أرقاماً؟ ألا تندرج الخلفية الجمعية لشخص ـ لاسيما في أوقات الحروب ـ في مقومات هويته؟

لماذا يشعر أبناء الحضارات العريقة، ورعايا الدول القوية بالاعتزاز بهوياتهم، كالفرنسي والأمريكي.

ج: الفرنسي يعتز بما فعل، من إنجازات حضارية، على صعيد حرية الإنسان. الهوية قيمتها بمضمونها. الإنسان، بوصفه كائناً مستقلاً، "حراً"،

سيد نفسه ومصيره، لم يوجد عندنا بعد. الموجود هو "الأمة". والإنسان الفرد "ذرة" ذائبة في هذه الأمة. لا "حقوق" له. "حقّه" هو أن "يذوب" لا أن يتفرّد.

س: مستوى الشعور بالانتماء الذي تتحدث عنه، نجده لدى النخب الفكرية. أما على المستوى الشعبي، الأمر يختلف. كذلك تقول بأن أرض فلسطين هي فاتحة المنفى بالنسبة للفلسطيني، تجاه الآخر، الذي تقبله، مع أن الفلسطيني ممنوع من دخول أية دولة بسبب هويته.

ج: الهوية عندنا نحن العرب، حجاب وسجون وطغيان. هذا الواقع هو الذي أدى إلى أن يكون الفلسطيني، على الصورة التي تذكرينها. مع ذلك، أنا حريص على المجيء إلى بلدي.

س: هل غاب عن بالك وأنت في الصين، أنك في بلد ذي حضارة عريقة، وإن في هوية الذين التقيتهم، ظلالاً من تاريخ الصين؟

ج: قلت وأكرر: هوية الإنسان الحقيقية ليست في مجرد انتمائه الوطني العام وإنما هي في إبداعه. بهذا المعنى وعلى هذا المستوى قلت وأقول إن الهوية بالمعنى العميق هي ابتكار متواصل ودائم. يبتكرها الفرد في ما يبتكر فكره وعمله.

س: تفتقر بعض الشعوب إلى تاريخ ومرجعية ثقافية، فتخترع لذاتها أوهاماً وأساطير، تؤسس بها هوية، تضمن لها لحمتها. وسفينة "مايفلاور" الأمريكية مثال على ذلك.

ج: كل هوية جماعية لا تقر بهوية الإنسان الفرد، الحر، المستقل، إنما

هي هوية عمياء، كما يعبر أمين معلوف وغيره كثيرون.

س: ماذا عن الهوية القسرية الإسرائيلية المفروضة على بعض الفلسطينيين؟

ج: إسرائيل كلها "قسر" فكيف لا تفرض هويتها قسراً؟

obeikandl.com

المجتمع المستعبد في الداخل

لا يمكنه أن يقاوم استعباد الخارج له

س: تكلمت في كتابك عن تجربة الحزب السوري القومي الاجتماعي في المقاومة[66]، يتأسس في المنطقة فكر مقاوم، أم إن ذلك مجرد طفرة؟

ج: كل مقاومة إذا لم تقاوم أولاً نواقص المجتمع الذي تنطلق منه، وأشكال تخلفه، على جميع المستويات، مقاومة لا تجدي شيئاً. لا يمكن التغلب على الباطل في الخارج، إذا لم يتم التغلب عليه في الداخل. المجتمع المستعبد في الداخل لا يمكنه أن يقاوم استعباد الخارج له.

س: كتبت: *"إذا أخذت فكرة الوحدة العربية منذ خمسين سنة .. لماذا لا نعترف أنها انتهت ونبتكر طريقة جديدة للتفكير؟"* و *"دخلت القومية متحف التاريخ .. دخلته من زمان حتى لما كان يحكي باسمها ويقتلون باسمها. القومية عندنا مفهوم إيديولوجي وأنا ضد المفهوم الإيديولوجي أياً كان"*[67] لكن الشعور القومي هو الذي وضع خارطة العالم السياسية، وبالتالي الاقتصادية والفنية.

ألا تظن بأن فكرة القومية العربية ظُلمت ولم تُعط فرصتها الكافية، كما يرى البعض؟

ج: ماذا فعلت القومية العربية منذ خمسين سنة؟ ومرة أخرى: ماذا أسس عبد الناصر؟ انظري إلى ما يجري في فلسطين، وإلى السياسات العربية. أين الحرية؟ أين

حقوق الإنسان؟ أين نحن من المجتمع المدني؟

س: وهل مرور خمسين عاماً على الأداء القومي العربي، كاف للحكم على الحضارة العربية، التي صمدت مدة 1500 عاماً؟ ألا يرسخ انهيار جدار برلين، وإعادة تشكل دول الاتحاد السوفييتي السابق، مفهوم القومية في العالم؟

ج: المجتمع يعود إلى الخلف. منذ خمسين عاماً كنا لا نسأل عن الطائفية، مثلاً. يجب علينا أن نستفيد من تجارب الماضي. أن نشدد على الحريات، وعلى القيم الأخلاقية، وعلى بناء المجتمع المدني .. لماذا يذهب شبابنا وشاباتنا، مثلاً، كي يتزوجوا في بلد صغير مثل قبرص؟ تكون الدولة مدنية، أو لا تكون إلا "قبيلة". يجب الانتهاء من حكم "القبيلة".

س: كتبت: *"لننظر كيف كانت إسرائيل منذ خمسين عاماً وكيف أصبحت؟ لننظر بالمقابل كيف كانت فلسطين وكيف أصبحت؟"* [68]

لكننا نعلم أن نواة دولة إسرائيل، بدأت بالتشكل منذ مئات السنين، منذ مؤتمر بال بسويسرا عام 1897 على ما أعتقد.

ج: مع ذلك، يظل ما أتساءل حوله أمراً يدعو إلى التأمل وإلى الاعتبار.

س: ما رأيك بقول د. عزمي بشارة *"لم تشكل المواطنة بديلاً عن القومية التي هي ضرورية للدولة القطرية .. عندما قيل فرعوني وفينيقي وبابلي .. ظهرت الطائفية وحربها"*؟

ج: لم تكن لها فاعلية إيديولوجية، سياسية، كما نرى الآن.

س: ألا تهيئ الظروف في الوقت الحاضر لبروز ناصر جديد؟

ج: لا أحب التنبؤ خاصةً في كل ما يقوم على التخطيط والعمل والممارسة.

س: تقول في مقابلة لك في مصر: *" المثقف في حالة تأمل، مراجعة، نقد. بعد أن ولّى زمن المشروع .. والثورة"* هل ستطول حالة التأمل التي يعيشها المثقف العربي؟ متى برأيك يخرج من حالة الغفلة التي تسببت بها الصدمات الأخيرة؟

ج: التأمل حالة دائمة، لا يجوز أن تنتهي. أما الخروج من حالة الغفلة، فآمل أن يتحقق قريباً.

س: الشارع يقود النخب، وليس العكس، كما يُفترض. كيف يمكن للمثقف العربي أن يخرج برأيك ـ من حالة التأمل والغفلة، على وقع الثورات الأخيرة؟

ج: لكلٍ طريقته الخاصة في هذا الخروج.

س: تحدث كثير من المفكرين، عن العنف المؤسس في بلادنا منذ ملحمة الخلق البابلية، التي هي عنف مؤسس متفق عليه بين مجموعة الأبناء للقضاء على القديم. وقالوا بأن هذا العنف غامض، وأشبه بالمرض المعدي بـ "ذباب الجريمة". هل لذلك علاقة بالبعد الأنثروبولوجي للشعوب، الذي تحدث عنه المفكر "أركون"؟

ج: في كل تأسيس عنف، بمعنى ما، من حيث أن التأسيس "يغيِّبُ" شيئاً، و"يُظْهِر" مكانه شيئاً آخر. ويفقد التأسيس معناه إذا وصل هذا "العنف" إلى درجة القتل والإبادة والمحو: يصبح جريمة ضد الإنسان، وضد الحضارة.

لا شيء يغير إلا العمل

س: إيقاع الشعر يسبق معناه. هل يذهب الوزن ببعض من طاقة المعنى؟ أم أن أشعة الفكر تبعثر جمالية الوزن؟

ج: الشعر قبل الوزن. من هذه القاعدة تحديداً، ينظر إلى الشعر. فهو لا ينحصر في أي شكل. يتخطى الأشكال كلّها.

س: *"الشعر قلب ينبض داخل الرأس، ورأس يتأمل داخل القلب."*

أنت مفكر وشاعر عالمي كبير. أين يلتقي أدونيس الشاعر، مع أدونيس المفكر؟

ج: أنطلق من وجهة نظر لا تفرق بين الفكر والشعر. كل تجربة شعرية عظيمة هي تجربة فكرية عظيمة. عبر التاريخ ليس هناك شاعر عظيم لم يكن مفكراً عظيماً. منذ هوميروس، مروراً بدانتي، غوته، المتنبي، وامرئ القيس. كلهم كانوا مفكرين. الحقيقة الشعرية والحقيقة الفكرية وحدة متكاملة.

الإنسان كائن مركب من عواطف، وفكر، وعقل. ليس هناك معيار في جسم الإنسان يقول: هنا يبدأ عمل المشاعر، وهنا يبدأ عمل العقل. عندما يكتب الإنسان يفكر ويشعر. لا يوجد شعور دون فكر. الشعور فكر، والفكر شعور. الدين هو الذي فصل بين الفكر والشعر. وقد تكلمت في

ذلك مراراً. لأن الشاعر كان قبل الإسلام يفصح عن الحقيقة،كما يراها. الإسلام أكد على أن الشعر يجب أن يظلّ في معزل عنها، وأن ينحصر في مجال العواطف.

س: لكنك تقول *"ليس على الشاعر أن يغير، بل يوجه، ويقيم"* فهل بريد الفكر ـ في عملية التغيير المجتمعي، أسرع من بريد الشعر؟

ج: الشعر مثل الفكر، يفتح آفاقاً، ويطرح أفكاراً، لكن الذين يعملون هم الذين يغيرون. ليست وظيفة الشعراء، والمفكرين أن يغيروا المجتمع، بالمعنى العملي، هم يضيئون، ويبحثون. يقلقون، ويزلزلون الأسس التي يرونها، ضد أي تقدم وتطور، لكن لا شيء يغير إلا العمل.

س: تقول تكون القصيدة تغييراً، أو لا تكون إلا لغواً، ما هي مجالات التغيير التي تحدثها القصيدة؟

ج: التغيير ليس خارجياً، التغيير داخلي ـ في الرؤية، في طرق المقاربة والتعبير، في البنية اللغوية ـ الفنية ـ الجمالية، في قدرة القصيدة على افتتاح آفاق جديدة للحساسية والفهم.

س: من الحروف السرية التي تناثرت بينك وبين جابر عصفور، ابتكرت قميصاً آخر ليوسف وامرأة العزيز وأضفته إلى جسد التحول[69] أليس باستطاعة المثقفين العرب بناء مؤسسة فكرية مستقلة؟

ج: لا يستطيع المثقف العربي إنشاء مثل هذه المؤسسات التي أنشأها مثقفو الغرب في مجتمعاتهم المدنية. هذه المؤسسات المدنية، الحرة غير موجودة في

مجتمعاتنا.

س: هل فكرت بالمساهمة في بناء مؤسسة ثقافية عربية؟

ج: هذا مشروع تغييري كبير، يجب أن تشترك فيه جميع الفئات. غير أن تاريخنا العربي قائم على الهرمية السلطوية. السلطة فيه لا تأتي من الأسفل ديمقراطياً بالانتخاب الحر. الشعب لا يشارك في بناء السلطة. بل يشارك في الانتخاب، أو في الولاء للسلطة التي تأتي، بطريقة أو بأخرى. لكن غير ديمقراطية. وهذا هو تاريخنا كله. العادة في التاريخ العربي، أن الإصلاح دائماً أو التقدم دائماً، يصدر بأمر من فوق .

الله هو الذي يغير. والسلطة عندنا هي التي تغير. إذا كان رأس السلطة حسناً تمر البلاد بمراحل حسنة. إذا كان رأس السلطة سيئاً تمر البلاد بمراحل سيئة. الشعب لا قدرة له. لأنه معزول، ومجزأ. لم تُبن حياته بناء ديمقراطياً.

س: هل تظن أن تغير الأنظمة الذي تشهده الساحة العربية، يتم بصورة ديمقراطية؟

ج: لا أظنّ.

س: جزء من الثقافة الغربية بني على مبادرات فردية.

ج: المقارنة صعبة. الغرب قام بثورات عظيمة. قام بثورة ضد الدين، ضد الكنيسة. فصل الكنيسة عن الحياة المدنية. ثم قام بثورة معرفية. فصل المعرفة الدينية عن المعرفة العلمية. ثم قام بثورات مدنية ديمقراطية. أسس لمدنية ديمقراطية، ضد الملكيات، وضد الطغيان. ثم قام بثورة صناعية. لقد

قام بثورات حقيقية. العرب لم يقوموا بمثل هذه الثورات. إن أقصى ما قام به العرب هو تحركات جماهيرية لدعم هذا الشخص ضد هذا الشخص، ودعم هذه السلطة ضد هذه السلطة. لكنهم لم يقوموا بثورات اجتماعية ـ فكرية.

س: الشعوب يلزمها طليعيون.

ج: الطليعيون جزء من البشر، المفكر يضيء طريق العمل.

س: يعتبر شعرك مكتبة كونية، لأنكَ شاهد جسور على الواقع العربي والعالمي بالمجمل، ومن المفكرين العرب القلائل الذين تجاوزوا مهمة تثوير المجتمع نحو دفع الإنسان لكي يثور على معارفه، ولكي يبحث عن ذاته وعن علاقته بوجوده، وعن ارتباط كل ذلك بمسيرة الإنسان الفكرية، لذلك يعوَّل عليك السعي لبناء مؤسسة ثقافية، أو تأسيس مشروع أدبي وفكري على مستوى حيوية شعوب هذه المنطقة.

ج: (مبتسماً) آمل أن أكون عند حسن الظن. لكنني لست واثقاً بأنني أتميز بكل هذه الصفات. ربما يأتي هذا. لدينا وقت للقيام بذلك.

obeikandi.com

نحتاج إلى زعزعة الأسس

التي يقوم عليها المجتمع العربي

س: يجب تفكيك التاريخ والماضي، من أجل إعادة قراءة التراث، يجب النظر إلى الهوية من زاوية المتغيرات. لا بد من نقد العقل العربي، وتحليله. المحاور نفسها لخطاب نخبوي، تردد ويتردد منذ "الثابت والمتحول" في أعمال معظم أصحاب المشاريع الفكرية الكبرى: تيزيني، العروي، أركون، صادق العظم، شحرور، عابد الجابري ..

ج: الفن ليس نخبوياً. إنه طاقة حسّية - معرفية يمكن أن يمتلكها الإنسان أياً كانت طبقته. خذي الطبيب، أو المهندس، أو التقني، أو الفيزيائي، أو الكيميائي .. الشعب لا يفهم ثقافتهم، وهناك فئات تعنى بالرسم والموسيقى والشعر. هذه ليست شعبية أو جماهيرية، الإبداع ليس شعبياً. الفن، العلم إجمالاً يحتاج إلى كفاءات معينة. فحتى يصبح الإنسان طبيباً، مثلاً، يجب أن يمر بمرحلة علميّة خاصةً، وحتى يصبح مهندساً يجب أن يلم بعلوم الهندسة، وهكذا .. ليس مطلوباً من الجميع أن يفهموا علوم الطب والهندسة. وليس مطلوباً منهم أن يحبوا الشعر، أو الرسم، أو الثقافة إجمالاً. ولهذا يجب أن يعاد النظر في مفهوم "النّخبة"، ويحل محلها مفهوم المعرفة، والخبرة الفنية. إذا زالت هذه المعرفة، أو هذه الخبرة، وإذا زالت النخبة من المجتمع، زال الفن وزال العلم أيضاً.

س: الطبيب يحمل محفظته ويداوي البسطاء.

ج: والمفكر يجتمع مع الناس ويحاضر ويعلم في الجامعة، لكن، هل يقرأ جميع المسلمين القرآن الذي يخاطبهم، هل يفهمونه؟ الفكر طاقة خلاقة، ويستحيل أن تكون هذه الطاقة الخلاقة متوفرة لدى جميع البشر.

س: هذه الطاقة الخلاقة غيرت الغرب.

ج: غيرت الغرب بوصفه بنية اجتماعية سياسية. لكن لا يقرأ الشعر، ولا يحبه كذلك جميع الناس. تحبه "نخبة" ـ لكي نستخدم كلمتك.

س: المثقفون في الغرب ساهموا في تغيير البنى المجتمعية في بلادهم. الفكر في الغرب غير بعض أطر الدولة.

ج: نعم تغيرت الأطر، الفكر يساهم في تغيير الأطر. يمهد لهذا التغيير، يدعو له. لكنه لا يغير. الشعب هو الذي يغير.

س: من الذي صنع الأطر الجديدة؟ يقال بأن "فيكتور هيجو" تخفّى في ثياب امرأة قبيل الثورة الفرنسية. وكتب "كافكا" لصالح يهوديته، المسخ، وبنات آوى، والأحد عشر ابناً. وقايض الكيميائي "وايزمن" لصالح إسرائيل..

ج: تأكدي أن الذين قرؤوا، ويقرؤون فيكتور هيجو، وكافكا، نسبة ضئيلة من الشعب، وليسوا هم الذين غيروا. الثورة هي التي غيرت البنى الاجتماعية، والاقتصادية للمجتمع، المثقفون ساهموا.

يجب أن نطالب المثقفين العرب بإبداع فكر يفتح الطرق لتغيير البنى

الأساسية للمجتمعات العربية. تلك هي المسألة.

س: روبسبير، ميرابو. هؤلاء خطباء الثورة.

ج: في كل مكان يوجد خطباء، عندنا عبد الناصر كان خطيباً، وقد توافرت له ظروف التغيير، كما لم تتوافر لأحد في العالم. لكنه لم يغير. الشعب الذي غير في الغرب، هدّم أولاً الأسس الدينية القديمة في المجتمعات الغربية. ماذا هدّم عبد الناصر من هذه الأسس القديمة في المجتمع الذي قاده؟

الفرق بين مفكرينا ومفكري الغرب، هو أن مفكري الغرب لامسوا الأسس. ثاروا على الكنيسة، وفصلوا الكنيسة عن الدولة، على عكس المفكرين العرب، الذين لم يخرجوا من الإطار الديني.

لم يلامس مثقفونا الأسس، التي يجب أن تتزعزع، لنهوض فكر مدني جديد ينشر التعليم، ويبني المجتمع من جديد.

لا أحد عندنا ينتقد المؤسسة الدينية. لا أحد ينتقد المؤسسة السياسية القائمة على أسس دينية. الفكر العربي فكر مصالح. والفن العربي فن مصالح، الإصلاح لا يغير. الفكر المصالح، يتحول إلى تعليم، وتبشير، وتفسير. نحن لا نحتاج إلى التعليم، ولا إلى التبشير، ولا إلى الإصلاح، ولا إلى التفسير. نحتاج إلى زعزعة الأسس التي يقوم عليها المجتمع العربي. وهي في العمق أسس دينية، واقتصادية، وسياسية، وعلى ذلك لن يغير المثقفون المجتمع، إذا لم يزلزلوا الأسس الدينية والاجتماعية والثقافية.

تقاس عظمة الدولة

بعظمة الثقافة التي تنهض عليها

س: قلت *"الشخصية العربية منذ القدم لديها حنين غامر إلى البطولة، تحلم بالبطل الفرد، وتصنعه أحياناً."*[70] في حين يرى البعض، أن الشرق بأكمله يميل إلى تقديس وتبجيل الفرد - الصين، واليابان، والهند. كذلك برز أبطال عالميون: بسمارك، غاريبالدي، نابليون، لينين، غاندي، غيفارا ..

ج: ارتبطت صورة البطل عندنا بصورة المخلص المنقذ. لكنه لم يُخلّص، ولم يُنقِذ.

س: لماذا التف الألمان حول بسمارك، والإيطاليون حول غاريبالدي؟

ج: هؤلاء لم يكونوا أبطالاً بالمعنى الموجود عندنا. هؤلاء الذين ذكرت أتوا في سياق نهضة عامة، وأكملوا ما كان الشعب قد قام به. كانت شعوبهم قد تحررت من السلطة الدينية، قبل أن يتولوا قيادة شعوبهم. الفرق أن بسمارك، مثلاً، غيّر أسس الدولة. بسمارك نقل المجتمع من مرحلة إلى أخرى. أبطالنا لا يغيرون. لقد التف الشعب العربي حول جمال عبد الناصر، كما لم يلتف شعب حول قائده من قبل كما أشرت. لكنه ذهب دون أن يترك شيئاً. لأنه لم يؤسس أية مؤسسة جديدة. والمفكرون العرب يشتغلون في السياسة. يحابون السلطة. يتطلعون لامتلاكها.

س: البعض تراجع عن أفكاره.

ج: لكي يصلوا إلى السلطة عن طريق الجماهير. هم يهتمون بالجماهير لأنها توصلهم إلى السلطة، وهذا خطأ. الفكر يجب ألا يعبأ بالسلطة. المفكر لا يفكر في مثل هذه الأمور. عليه أن يطرح الأسس التي يبني عليها المجتمع المقبل. خطأ الفكر العربي أنه يعنى بالسلطة في المقام الأول.

س: هل يشاطرك بعض المفكرين العرب آراءك هذه؟

ج: لا أحب أن أتكلم عن نفسي. أنا مجرد شخص يحاول مع مجموعة من المفكرين والكتاب والشعراء، أن يقولوا ما يقولون بإخلاصٍ وصدق، وبرؤية للحياة العربية، جذرية وشاملة.

س: تستحضر العصر العباسي، الذي جرت فيه حوارات في منتهى الجرأة، حول طبيعة الهوية القرآنية. دون أن يكفر أحد من الشعراء والفلاسفة، الذين هيأت لهم الدولة القوية مناخ الحرية، فاستطاعوا أن يقدموا العقل على النقل، وأن يفرضوا رؤيتهم على الجميع، بما في ذلك الدولة التي استقوت بهم.

ج: لكن معظم هؤلاء نُبذوا، بشكلٍ أو آخر. وبعضهم أحرقت كتبه: "ابن رشد، مثلاً". وبعضهم قُتل: "الحلاج، مثلاً".

س: تقول *"على الثقافة العربية أن تدخل في نسيج الثقافة الكونية، ففي تاريخنا لم تنهض الثقافة العربية إلا باتصالها بالآخر"* لكن الاتصال بالثقافات الأخرى، لم يحدث كذلك، قبل قيام الدولة. ألا يشكل بناء هيكلية الدولة أولوية،

للانطلاق نحو فعاليات أخرى؟

ج: لا معنى لأية دولة إلا إذا نهضت على الثقافة. الثقافة هي التي تبني الدولة. لا العكس. الدولة نتاج ثقافي. وتقاس عظمة الدولة بعظمة الثقافة التي تنهض عليها.

س: *"لا تزال السماء فتية فوق بحر العرب،*

والأرجح أنها لا تهرم"

هل يأتي يوم تشيخ فيه سماء العرب الذين نخلت كتبُهم المقدسة كلماتِ الآلهة؟[71]

ج: شيّخت سماء العرب منذ زمان طويل، غير أن أرضهم لا تزال فتية.

س: *"يوماً ستثار الكلمات من كتّاب*

حمّلوها أفكاراً لا تليق بالأبجدية

وسأل قدّاس:

ما اسم هذه الشرارة التي تخرج الآن من تلك الغيمة العربية،

وهل البرق أب لها أو نسيب؟

شرارة تذكّر بذلك المساء عندما غسلت حواء نهديها

بضوء هلال في يومه الأول" [72]

هل هي شرارة الشعر أم شرارة حواء؟

ج: شرارة مزدوجة، واحدة. "في البدء كان المثنى"، كما تقول خالدة

سعيد.

س: *"هل ترون كيف يتحول البحر الأحمر*

إلى هرم تنام فيه اللغة؟..

وكانت الحداثة خاتماً

يتلألأ في عالم

يتحول إلى إصبع إلكترونية

في يد نيويورك" [73]

هل تدعو في قصيدتك "غيمة فوق نيويورك" إلى ثورة عالمية، احتجاجاً على قوانين شريعة الغاب التي تطبق في المدينة الأممية نيويورك؟ أم هي احتجاج على اللغة النائمة في هرم البحر الأحمر؟

ج: لا يمكن أن نحصر قصيدة كهذه القصيدة في فكرة أو فكرتين، القصيدة انفجار في جميع الاتجاهات. انفجار ضد طغيان السياسة، وضد سياسة الطغيان، على المستوى الإنساني الكوني ـ لكن في قلب هذه المدينة، نيويورك: بوصفها رمزاً سياسياً وتقنياً لهذا الطغيان، وبوصفها مقراً له، وآلة لصناعته.

obeikandi.com

مفهوم الشرق

س: *"أهو الشرق أم هو الكيان الذي أفلت من يد الخالق دون أن يكتمل آثر أن يظل عالقاً بشهوة البدء؟"* هل أفلت الشرق قبل اكتماله، ظناً منه بالاكتمال، أم بسبب تعلقه بشهوة البدء؟

ج: لا يزال مأخوذاً بشهوة البدء.

س: كتب د. صادق جلال العظم بأنك تتنصر لروحانية الشرق. وبأنك تمثل الاستشراق المعكوس، وذكر رفضك للقومية، والعلمانية، والاشتراكية، والماركسية، والشيوعية، والرأسمالية. بسبب مصدرها الغربي، وتأثيراتها السلبية على الإسلام.(74)

ج: الدكتور صادق جلال العظم صديق، إلا أنه لم يفهم وجهة نظري تماماً. الاستشراق، كمثل الاستشراق المعكوس يصدر عن وجهة نظر تقوم على تأويل سياسيّ. الاستشراق بهذا المعنى التأويلي عبارة يجب أن يعاد النظر فيها.

س: ما البديل لهذه العبارة؟

ج: هذه العبارة عمومية. وكل عبارة عمومية تتضمن أخطاء كثيرة جديدة. وكل مفهوم يجب أن يتم البحث به خارج العموميات. يجب أن ينظر إلى كل مفكر على حدة. هناك مستشرقون هم ضد الاستشراق، يوجد مستشرقون فكروا عربياً، أكثر من المفكرين العرب أنفسهم. مثلاً "جاك بيرك" كان

opeikandi.com

مستشرقاً، لكنني أعدّه مفكراً عربياً خدم العرب بشكل يفوق ما قدمه كثير من المفكرين العرب. ويمكن القول إن المفكر العربي "ابن خلدون" على سبيل المثال، كان بلغة الاستشراق مستشرقاً، لأنه انتقد بعض الممارسات أو التقاليد العربية. الخطأ هو الإلحاح على المسألة السياسية في النظر إلى الاستشراق. ونحن عندما نلح على المسألة السياسية في الفكر، نشوه الفكر. المسألة هي مسألة سياسية وأعتقد بأن الفكر عندما يسيس لا يعود فكراً.

س: كذلك ما رأيك برأي د. حسن حنفي حول الاستغراب المعكوس، وبدعوته المفكرين، من أجل وصف جديد لمسار الروح بين الشرق والغرب؟

ج: إذا صح الاستشراق والاستغراب، يكون كل ما في الحياة العربية اليوم غربياً. حياة العرب اليوم غربية، كل شيء فيها غربي. الآن تختلط الأشياء، إذ توجد دول غربية في الشرق، والعكس صحيح. علاقة الغرب بالشرق يجب أن تدرس في أفق آخر يتجاوز مفهومَيْ الاستغراب والاستشراق.

س: يتناوب الشرق والغرب، بعد زمن من السفر، فيغدو الشرق غرباً، والغرب شرقاً، ما تعليلك لثبات الروحانية المشرقية، والعقلانية المغربية؟ هل تتنبأ بتبادل الأدوار مع الزمن؟

ج: الغرب مفهوم جغرافي. لكل بلد جهاته، تلك مفهومات جغرافية، ونحن لا نتحدث عن ذلك. لكن تمكن الإشارة إلى أنواع كثيرة للغرب، داخل الغرب. الغرب في روسيا شيء، والغرب في أمريكا شيء، والغرب في فرنسا شيء. هناك أيضاً مستويات عديدة للغرب في الغرب نفسه. وكذلك في

الشرق. الشرق في الهند الإسلامية، غيره في سورية ومصر المتوسطية. والشرق العربي بالإجمال، غير اليابان وكوريا. وإذا درس العرب بشكل عميق يخرجون من مفهوم الشرق. فلا يوجد أي وجه للمقارنة بين الشرق العربي، واليابان وكوريا، مثلاً. يجب أن نبتكر أسساً جديدة لما نسميه غرباً، وما نسميه شرقاً، تتخطى جميع المفهومات الاستشراقية، والاستغرابية، كما أشرت.

س: *"لا سلطان للزمن إلا على اسمه*

أم إنني أحاول أن افتح زمنا آخر للكتابة؟

"غرقت رقعة الزمان"

"لماذا إذا لا يجلس الزمن إلى جانبي؟"

"وقلتَ السفر؟ لا رفيق للطريق التي أسيرُ عليها، اليوم، إلا قد ما فصلٍ غامض، كأنه فصلٌ خامس". يلحظ القارئ أن الزمن في إنتاجك الإبداعي الشعري، يتشكل في صور متعددة، وأحياناً يتشظى، أو ينكسر.

ج: الزمن شبكة، شجرة، تمتد أغصانها إلى الأعلى، وإلى الأسفل، وإلى جميع الاتجاهات. لا في اتجاه واحد. الزمن ليس رياضياً.

س: *"غيوم يتحرك فيها المكان كأنه الزمن نفسه. أو لعل السفر، كمثل الخيال، يخلق أمكنة متحركة، محولة المكان إلى شكل من أشكال الزمن"* [75]

"كيف حدث أن صار الوقت

يشنق المكان، متى شاء، وكيفما شاء؟" [76]

ما علاقة الزمان بالمكان؟

ج: المكان لا معنى له إلا إذا تزمّن. المكان هو بيتي مثلاً، البيت يزمّن المكان. حياة الإنسان هي نقطة اللقاء بينهما.

س: *"كانت القدس تجدل شعرها*

لكي تتسلق الكواكب..

في القدس، كدت أن أتبرك بحجر

يتحول إلى جبين للكون،

بجدار يصير سلماً للفضاءات" [77]

القدس، مكة، دمشق، بغداد، الإسكندرية، غرناطة، بيجينغ .. مدن تاريخية. مهما تقادمت، يقبل عليها الناس، ويجددون لها البيعة. هل لذلك صلة بثأر الأمكنة، أم بثأر الأزمنة برأيك؟

ج: بل بثأر الأزمنة. البيت حجارة. الذاكرة هي التي تعيد له الحياة. كذلك المدن. مدينة القدس، مثلاً، تمارَس فيها الطقوس الدينية ماضياً، وحاضراً، ومستقبلاً. تأخذ حضورها من قوة الذاكرة الدينية.

س: عندما تنظر إلى المكان في قصابين تشعر بأن الأرض لها شكل مختلف. [78] كم تكلفك رحلة العودة بالزمن، عندما تدخل منزل أخيك المبني فوق أنقاض المسكن الطيني الذي ولدت فيه؟ هل تفرح أم تحزن؟

ج: أحزن.

obeikandl.com

أنا معجب بإبراهيم الكوني

س: الإحساس هو مصدر الفن، والفكر هو مصدر العلم، وأنت تقول "*لا يمكن فصل الشعر عن الفكر والفلسفة.*"[79] هل الفلسفة هي الجسر الممتد بين العلم والإبداع الفني؟

ج: تجوّزاً، يمكن القول إن الفلسفة هي هذا الجسر. تجوّزاً أيضاً يمكن القول إن الشعر جسر بين الفلسفة والعلم.

س: تتحدث عن الطبيعة التي "*لا تتفتح شفتاها، ولا تنطبقان إلا على التكرار*"[80] وعن الريح التي لا توقع الرسائل التي تكتبها. فيما يرى د. فائز فوق العادة أن الموسيقى الرفيعة تتميز بموازنة دقيقة بين الكم المعلوماتي والتكرار. كيف تتحقق شروط التجاوز برأيك؟ هل التجاوز هو الطفرة؟

ج: التجاوز تنوع، والطفرة شكل من أشكال التنوع. الفنان يبتكر صوراً وعلاقات جديدة ولا يبتكر أشياء جديدة. فما دمت تكتبين في لغة عمرها 3000 سنة، أنت داخل هذه اللغة. شئتِ أم أبيتِ. المبدع مثل الطبيعة يكرر. لكن عبقريته تتجلى، في أنه عندما يكتب، تبدو لغته كأنها لغة ثانية داخل اللغة: كأنها ابتداء .. بإمكاننا أيضاً استحضار الحب العظيم، الذي يتجلى بصور متعددة.

س: كيف يسعف الجناس الكاتب العربي دم/دمع ـ دين/دين ـ آلة/إله ـ بدن/بادية ـ تفكير/تكفير ـ العقل/المعتقل ـ هل تتصادى موسيقى الحروف

مع معاني الطبيعة، هل لذلك علاقة بما ذهب إليه الكاتب الليبي "إبراهيم الكوني" من أن لغة الصحراء هي أم اللغات؟

ج: أنا معجب بالكوني. معجب به كشخص صديق، جميل ونبيل. ومعجب به ككاتب. لكنني لا أريد أن أقول في الأطروحات التي يقدمها رأياً قاطعاً. لأنني أتردد في قول أشياء، لست واثقاً بها ثقة كاملة. أتردد، إنما أصغي إليه.

س: ما أهمية الزمن عندك؟

ج: يقول متصوف لا يحضرني اسمه *"الوقت هو ما أنت فيه"* بهذا المعنى، أرى أن الوقت هو أعظم رأسمال للإنسان. يجب أن أفكر كيف أعيش وقتي؟ كيف أتعامل معه؟ ماذا أنتج فيه؟ هذا هو موطن الإنسان، "الزمن" بهذا المعنى هو أيضاً مكان الإنسان.

س: *"ومتى سيجيء الموج الذي يعرف كيف/ يلطم خد الصحراء؟ / والمدينة؟ ماذا يحدث للمدينة؟"*[81] مَن أقدر على الثبات، ومقاومة اللطمات، المدينة أم الصحراء، التي بزغت فيها جميع الأفكار الكبرى؟

ج: ماذا تقصدين بالمقاومة؟ مقاومة الظروف الجديدة، والأصوليات. ليس من السهل إعطاء جواب مطلق حول ذلك، هذه مسائل مرتبطة بالظروف التاريخية، والاجتماعية، والاقتصادية. هذه جميعها تلعب دوراً حاسماً في الثبات ومقاومة اللطمات. أحياناً تكون المدينة هي الأقدر على الثبات، وأحياناً تكون الصحراء. التحديد صعب. عليَّ أنا على الأقل.

س: *"لا تسألوني، إذاً، لماذا أعشق الجانب البدوي البدائي في هذه اللغة الفاتنة ـ لغة العرب."* [82] *"للسماء خيول لا تعرف أن تركض إلا في الصحراء."* [83]

ج: شعرياً أنا معها، لكن الشعر لا يكون في العراء. الشعر لا يقوم بذاته عارياً. يحتاج إلى جسد، أعتقد أن المدينة هي الجسد. المدينة هي الجسم الأكثر قوة كما أعتقد. الصحراء، مثل البرق .. شرارة .. ضوء .. لكن هذا يحتاج إلى مناخ، إلى جسد لكي يصبح غيماً ويمطر، ولا نرى هذا إلا في المدينة. المدينة ابتكار إنساني عظيم لكنه مشوه، مريض. هذا موضوع آخر. المدينة هي المكان الذي يستطيع الإنسان أن يختبر فيه قدراته، علاقاته، تفتحه، وتمدنه، وحريته بقبول الآخر. في المدينة بشر مختلفون، لذلك هي مكان للتعدد والتنوع، وتحقيق المساواة، المدينة مختبر بشري هائل لا توفره الصحراء.

س: لكن معظم المفكرين تاريخياً والعظماء عاشوا في الصحراء. هل هو التأمل؟

ج: أظن بأنهم عاشوا أيضاً في المدن، كلنا بحاجة إلى هذه العزلة، لكي نبني المدن. وحدتنا مرتبطة بتنوعنا.

س: هل حين اغتسلت القصيدة العربية في مياه الأندلس، كما قال نزار قباني، أصبحت أكثر رقة وطراوة. هل يكون تأثير البيئة المناخية واضحاً، على شكل الشعر أم على مضمونه؟

ج: البيئة الأخيرة الحاسمة للشاعر هي أعماقه الداخلية، في ارتباطها الحميم بأبعادها في المكان والزمان.

دمشق مؤهلة لأن تكون بين المدن التي تبني العالم

س: كتابها المقبل: *"كيف عشقتُ جنياً اسلم على يديّ"*

يمكن أن يكون الغبار في دمشق بيتاً للشمس.

زمن أعمى يتوكأ على عكاز مليء بالعيون"

السحر والعلم هنا مسحوقان يقيمان في زجاجة واحدة على رفّ واحد.

أهو الوقت يتسلح ضدها؟" (84)

كيف يمكن لدمشق أن تكون بهذه الصفات، وهي المرشحة لأن تكون حكماً في المنطقة، كما صرحت مؤخراً؟ (85)

ج: الواقع والمثال شيء، و"الترشيح" شيء. دمشق، بطاقاتها العديدة والمتنوعة، مؤهلة لأن تكون بين المدن التي تبني العالم. لكن دمشق، واقعاً وممارسة غير ذلك.

س: قلت: *"دمشق سرة ياسمين*

تمد أريجها سقفاً

وتنتظر الجنين". ما ملامح هذا الجنين؟

ج: لو كنت أعرف، لكانت مفاتيح الحلول تكاثرت بين يدي.

س: *"إن صح قولها: للكتابة شياطين، فأهوالها هي هذه الشياطين" "لا تحيا دمشق*

obeikandi.com

إلا إذا أعادت بناء السماء."[86] وقد قال ابن خلدون لا يستحق العرب الملك إلا بالنبوة.

هل تعيد دمشق بناء السماء، بأبجدية رسولية جديدة، أم بأبجدية سفيانية تروّض شياطين الكتابة، أم؟

ج: لا بهذه ولا بتلك. بأبجدية الحرية والإبداع. بأبجدية الإنسان والأرض.

س: هل تتنبأ بدور دمشقي جديد، يحول وردة الرياح الحربية، إلى وردة نزول بيد الألوهة؟

ج: لا أدعي أي شكل من أشكال النبوة. ولا أَتنبأ.

س: *"أكتبي دمشق، من جديد، تاريخَكِ على عسيب النخل، وعلى أكتاف الإبل، طريقي فيك وعرة، وحافياً أمشي."*

"دمشق، ظلك لابس قامتي، وأبوابك محيطة بي. هبط سرُّك إليّ: لا يسكن الفرح إلا الثنية والطيّة والزاوية."[87]

هل فتحت بهذا السر أبواب دمشق؟

ج: نعم. لكن ...

س: ماذا شعرت وأنت في حضن أبجدية ثانية في دمشق بعد غياب؟

ج: شعرت كأنني أكتشفها من جديد.

لا أومن بالملك على أي مستوى

س: *"تلك الليلة في نيويورك*

كنت في أية نافذة نظرت،

أو من أية زاوية،

أرى إلى القدس، كأنني أراها

تحت سماء لا وطن لها" [88]

"تايم سكوير - أهو المكان الملائم لكي أرسم في ذهني خريطة للأمكنة الأكثر اضطراباً في العالم؟

خفية، تقدر أن تضع اسم فلسطين بين هذه الأمكنة" [89]

لماذا تتذكر القدس حين تكون في نيويورك، التي وصفتها بجهنم الفكر وجنة الحواس؟

ج: أتكلم هنا عن القدس بوصفها رمزاً، كذلك أتكلم عن نيويورك. نيويورك كرمز لقوة سياسية عسكرية في العالم هي الأولى في العالم. أما القدس فرمز ملتبس في صراع عربي إسرائيلي. في العمق يتحول شيئاً فشيئاً إلى صراع ديني. لذلك لا يمكن رؤية نيويورك دون حضور قوتها في العالم. هذه القوة الرمزية التي تمثلها نيويورك بدل أن تعمل على أن يكون العالم كله جامعة إنسانية عادلة، تقوم على تأمين مطالب الإنسان وحقوقه، تحول العالم إلى ثكنة عسكرية وتصبح طرفاً مع جهة ضد أخرى. بهذا الإطار

obeikandl.com

أذكر دائماً القدس ونيويورك كرمزين. وأنا طبعاً أقف إلى جانب القدس.

س: تحارب نيويورك القاعدة الموجودة في أماكن كثيرة في العالم: أفغانستان، الصومال، العراق، اليمن .. إلا أن وجودها في فلسطين محدود.

ج: القاعدة انفجار في وضع مهيأ لها. كانت موجودة قبل الاحتلال الأمريكي للعراق، قبل ذلك بكثير وستظل موجودة في المجتمع. لأن هناك قاعدة أساسية اجتماعية دينية تاريخية، تهيئ لمثل هذه التنظيمات. ظهرت في مرحلة لدى الإخوان المسلمين بشكل ديني أو حركات دينية. والآن ظهرت بشكل عنفي مسلح عسكري. ولذلك المشكلة ليست في القاعدة بحد ذاتها، إلا من حيث العنف الذي تمارسه. المشكلة في بنية المجتمع، التي تفرز مثل هذه التنظيمات. إذا لم تعالج هذه البنية، ستظل هناك ظواهر تشبه القاعدة، حتى ولو دمرت القاعدة. تدمر القاعدة فتنشأ قواعد أخرى، بشكل أو بآخر.

س: *"يشبه لي، أيها الهاتف الطيب، أنني أرى خبزاً سرياً ينضج في تنور التاريخ".*

ما مصدر هذا الهاتف الطيب، الذي زارك، أثناء رحلتك إلى اسطنبول؟ وما مكونات هذا الخبز؟ هل هو هاتف أتاتورك الذي أوقد تنور الإسلام الوسطي الذي نجده اليوم في تركيا؟

ج: في كل حال، تركيا "الإسلامية" اليوم، أفضل حالاً من أي بلد عربي - إسلامي. أفضل حالاً حتى من مصر.

أما الهاتف، أليس موجوداً فيكِ، وفي معظمنا؟

س: تحدثت عن الجزر الهامشية، التي تعمل على تأجيل حالات الانفجار

المتأتية عن علاقة الدين في إيران. [90]

هل احترقت جناحا ايكاريوس في أصفهان إيران؟

ج: إيران المدن ستظل جميلة. وأصفهان قد تكون من أجمل مدن العالم. لأن الفضاء الموجود في أصفهان لا تجدينه في أي مدينة في العالم. أتحدث عن إيران. لا أعني المدن أو الأرض. أتحدث عن النظام، عن العقل الذي يقود هذه الطاقة البشرية الموجودة في إيران. ولا أظن أن النظام السائد يقود إيران إلى مزيد من القوة، ولا إلى مزيد من الجمال والمعرفة، وإنما يقودها إلى مزيد من المشكلات، وإلى مزيد من المتاعب. يبدو كأنه نظام لتهديم الذات أكثر منه نظاماً لبناء الذات.

س: *"بدأت السياسة في نابولي، وفي الغرب كله، ترفض السير إلا على أربع قوائم"* [91]

"خيل إلي، فيما كنت أعبر هذه الساحة في اتجاه الشارع الملكي، أن للسيكلوب الآن في البحار الأوربية عينين" [92]

ألا يسهم إرثُ أوروبا الحضاري، إلى جانب حيوية شعبها في تسريع إعادة إحياء الدور الأوروبي مع الأفول المرتقب لنجم أمريكا؟

ج: لا أظن. أوروبا تزداد شيخوخة. وأمريكا، مع مشكلاتها الكثيرة المتنوعة، لا تزال شابة.

س: قلت في براغ عاصمة التشيك:

"مهما كانت يمينُ المعنى باذخة،

فأنا أفضل الجهة اليسرى من فردوس الصور." [93]

ج: براغ مدينة جميلة. أنا يساري. يساري إلى درجة أني لا أومن بالملك على أي مستوى. على الإطلاق.

ولكن حين تتحول اليسارية أو الاشتراكية أو الشيوعية إلى مجرد وسيلة من أجل السلطة، أكون ضد هذا النوع من اليسارية أو الاشتراكية أو الشيوعية. أعتقد أن أزمة اليسار في الشرق وفي الغرب تكمن في شهوة السلطة . بحيث أصبحت الثورة التي كانت هدفاً لتحرير الإنسان وإطلاق حرياته إلى ما لا نهاية، وسيلة من أجل الاستيلاء على السلطة. و بهذا المعنى انهار الاتحاد السوفييتي. ولم يكن السبب الأساسي لانهياره هو الاستعمار ومحاربته، وأمريكا ورؤوس الأموال. انهار الاتحاد السوفييتي لأنه فرغ داخلياً من مشروعيته الثورية. حوّل الثورة إلى أداة للاقتتال على السلطة.

مع ذلك أبقى يسارياً. اليسار الذي أعنيه إنما هو رفض للقيود والحواجز من أية جهة جاءت. أما اليمين فتعاليم وحواجز. اليسار حركة متواصلة باتجاه المستقبل.

س: لكن النموذج الاشتراكي زرع زرعاً في أفغانستان واليمن الجنوبي. فأتى بنتائج عكسية.

ج: هذا موضوع آخر. موضوع سياسي – عسكري.

obeikandi.com

أصبحت الاشتراكية الآن أكثر جاذبية

س: هل اندثرت الاشتراكية مع انهيار منظومتها؟

ج: كلا. وربما أصبحت الآن أكثر جاذبية، وأصبح الإنسان أعمق حاجة إليها. أصبحت أكثر ضرورة.

س: هل الحياة في طريقها إلى مشاعية جديدة، أم أن الليبرالية واقتصاد السوق الحر هو نهاية المطاف، كما نظّر فوكوياما وآخرون، أم؟

ج: من أين لي القدرة على الإجابة عن هذا النوع من الأسئلة؟ ما يهمني بشكل مباشر هو أن نعمل ضد كل ما يحوّل العالم إلى مجرّد سوق اقتصادية. إلى مجرد ثكنة عسكرية، كما تفعل أمريكا.

س: *"ما أشد بطش هذه المدينة.*

لا تتوقف، بآلاتها وصلواتها،

عن تنكيس رايات المعنى

... لن أنسج للبندقية منديلاً للوداع" (94)

إلا أنك عدت إليها في ديوانك "فضاء لغبار الطلع". هل لأن الشعر في البندقية يضحك متلألئاً برفقة صديقيك "روتيللي" و"يانغ ليان"؟

ج: ربما. و"العود أحمد"، كما يقال.

س: *"كنتُ عرفتُها في نهايات القرن الماضي 1980 تحديداً وكنت قرأت في وجهها*

كيف يعاد ابتكار العالم؟ ولم تكن الحرية حرة بعد، ولم تكن للأفق شهقة المحيطات". هكذا رأيت في ديوانك العاصمة الصينية بيجينغ، حيث *"الماضي نفسه يخرج من ذاته، شوقاً إلى أن يصبح حاضراً."*[95] عن أي ماض تتحدث؟ عن الشيوعية الماويّة، أم عن الحضارة الصينية القديمة؟

ج: الماوية نقلة ضخمة على الصعيد الاجتماعي الاقتصادي. خلقت صيناً أخرى. لا علاقة لها بالعالم القديم. لكن هذا على الصعيد المؤسسي، على صعيد الحياة اليومية الجارية. نرى شنغهاي مدينة أخرى تشبه نيويورك. إذا لم تتفوق عليها. في حين يمكن أن نفهم نمو نيويورك طبيعياً. أما أن تنشأ في قلب أقدم حضارة في التاريخ، الصين، مدينة أخرى تشبه نيويورك، فهذا أمر يدعو إلى التساؤل. وإلى الإعجاب. بهذا المعنى نقول إن الماركسية الماوية قامت بنقلة نوعية هائلة. هذا لا يعني أبداً إن الفرد تغير. كي يتغير الفرد يلزمه وقت طويل جداً. ولا يستطيع أن يتغير في ذاته وحده. يجب أن يتغير جاره. يجب أن يتغير أبوه. يجب أن يتغير ابنه. يجب أن تتغير العلاقات الاجتماعية، حتى يتغير هو. يمكن مثلاً أن تبنى مدينة لا عهد لسوريا بها. لكن هذا لا يعني أن الذين يسكنونها سيكونون في مستوى هذا التغيير الشكلي. هناك ناس تعرفينهم وأعرفهم يسكنون قصوراً، لا يعرفون كيف يسكنونها أو كيف يستخدمونها، إذاً تغيير الحياة اقتصادياً واجتماعياً وعمرانياً، لا يؤدي بالضرورة إلى تغير عقلية البشر الذين يستخدمون هذا الاقتصاد، أو يسكنون هذه القصور.

س: بهذا المعنى تقول:

"إنها شنغهاي. الرأسمال في كل مكان، واضعاً على رأسه قبعة الإخفاء"؟

ج: نعم.

س: *"تأخذني أحلام اليقظة. هل سيكون العصر المقبل قيثاراً صينياً؟"* [96]

ج: كيف يتنبأ الإنسان؟ أمامه العالم كخريطة. انظري إلى الخريطة. ترين هذه منطقة جامدة، وهذه منطقة متحركة، وأكثر من متحركة. لديها إنتاج، لديها مشروعات. وكل مشروع هو نوع من الفتح، نوع من الهجوم. فإذا قرأت هذه الخريطة الكونية سترين أن الحركة والطاقة والإنتاج والهجوم على مزيد من الافتتاح، أسواقاً واتصالات. إذا نظرت إلى الخريطة من هذه الزاوية، فأنتِ مضطرة إلى القول أن أعظم بلد يتحرك الآن هو الصين. يغزو، أم لا يغزو. ينتصر أم لا ينتصر. هذا سؤال آخر.

س: *"أقيم فيه كأني الصاعقة التي ترجه أبداً*

قل لنا إذا أين يطوف عقلك؟

في الأطراف القصوى، في لجج ما يختمر ويتكون، بعيداً عما يسود ويهيمن." [97]

وقد تساءل صادق جلال العظم في كتابه ـ ما بعد ذهنية التحريم: *"هل نشهد بروز أدب عالمي حقيقي جديد يتجاوز التراثات الأدبية المحلية والوطنية والقومية؟"*

هل يؤثر التفوق الأدبي في قرارات مراكز القوى؟

ج: أجل. لدينا أدب عالمي طريف. ليس في المركز فقط. أصبح هذا معروفاً. لدينا أدب كبير عند العرب، وأدب كبير في إفريقيا. وأدب كبير في آسيا، وأدب كبير في أمريكا اللاتينية. يكاد يكون أدب الأطراف أكثر أهمية

من أدب المركز في بعض المناطق. مثلاً لو قارنا أدب أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة) مع أدب أمريكا الجنوبية، سترين أن الأدب في أمريكا الجنوبية أكثر أهمية من أدب أمريكا الشمالية.

وهذا ما يصح قوله في بقية الأطراف.

س: في مسرحيتك " أشجار تتكئ على الضوء" التي عرضت في مدينة نابولي الإيطالية عام 2008 استحضرت أشخاصاً كانوا فاعلين في التاريخ الفكري والفني في إيطاليا وأوروبا. إلا أنك لم تستحضر أياً من رجال الدين.

ج: رجال الدين يأخذوننا دائماً إلى ما مضى، وأنا مأخوذ بما يأتي.

س: ما هي ثمار الأشجار التي تتكئ على الضوء؟

ج: الضوء.

س: هل من شخصية مركزية في هذا العمل، تشبه شخصية المتنبي التي كانت محور كتابك "الكتاب" بأجزائه الثلاثة، الذي وصفته بأنه كوميديا أرضية؟ [98]

ج: لا. هذا عمل خاص بنابولي المدينة، ونابولي الثقافة، ونابولي الحلم والعمل. لم أتحدث فيه إلا عن نابولي، وعن رموزها الثقافية.

س: هل تفكر في كتابة مسرحية عربية، تستحضر فيها شخصيات عربية، كما فعلت في مسرحية "أشجار تتكئ على الضوء"؟

ج: لا أعرف. ربما.

نجد فقرات نازية وعنصرية وضد الإنسان،

حتى في بعض الكتب المقدسة

س: كيف يوفق أدونيس بين زهد جلال الدين الرومي، وبين الإنسان الأسمى النيتشوي؟

ج: جلال الدين الرومي شاعر كبير وصوت كبير. وأعتقد أنه كان إنساناً كبيراً. نحن لا نعرفه ولا نعرف حياته .. بل استندنا إلى مرويات. نحن نحكم على أعماله ونصوصه أكثر مما نحكم على حياته. ليس هناك أية علاقة بين جلال الدين الرومي ونيتشه أبداً على أي مستوى. جلال الدين الرومي يبني عالمه في سياق إيماني، وفي سياق ماض نوراني. أما نيتشه فهو يفتت العالم، يفتت الفكر، ويشعل شرراً حيثما ذهب وحيثما نظر.

س: كيف وفقت بينهما؟

ج: على افتراض أنني وفقت بينهما. فقد وفقت بين الدفعة الخلاقة لدى كل منهما. بهذه الدفعة الخلاقة يلتقيان من حيث أن لكل منهما رؤية خاصة للعالم. وهذه الرؤية ملازمة لكل خلاق وشاعر كبير.

س: يُتَّهم أدونيس بالعدمية. هل تدق العدمية الأبواب العربية؟

ج: العدمية مفهوم ملتبس وغامض. إذا أخذنا مسألة التاريخ العربي ـ حتى لا نقع في التجريد ـ نهاية التاريخ التي يحكى عنها، هي نوع من العدمية.

يصل تاريخ شعب، أو تاريخ ثقافي إلى مرحلة، لا يعود فيها الإنسان قادراً على تقديم أي شيء جديد. يرتفع سدٌ بين الإمكان الجديد، والعالم المتواصل الذي نسميه عالماً قديماً. النقطة التي نرى فيها انعدام القدرة على ابتكار أشياء جديدة، هي نقطة عدمية. هذا هو العدم، الذي سمي مؤخراً نهاية التاريخ. وقبل فوكوياما تحدث عنها فلاسفة كثيرون. لكن ظهر فوكوياما إعلامياً، كأنه هو الذي قدم هذه الفكرة. يحضرني الآن من هؤلاء الفلاسفة "هنري لوفيفر" الفرنسي. و"نيتشه" قال الكلام نفسه؛ وصلت المسيحية، أو المسيحية اليهودية إلى نقطة، لم تعد قادرة أن تضيء الإنسان في أي شيء. ثم أصبح مفهوم العدمية نوعاً من تكرار تلك المقولات بشكل متواصل. تلك هي العدمية.

بالنسبة إليَّ: وصل تاريخ الثقافة العربية إلى نقطة لا يستطيع فيها أن يقدم أي شيء، يضيء الإنسان في حياته، وفي مشكلاته. وبهذا المعنى أنا عدمي. أي أريد أن أنطلق من هذه النقطة. وأبتكر أشياء جديدة مختلفة. لكن ابتكار أشياء جديدة ومختلفة، والتأسيس لها ليس مسألة سهلة. إنه أمر يحتاج إلى وقت. هذه المرحلة هي مرحلة العمل. العدمية ليست سلبية. العدمية بهذه الدلالة نقطة إيجابية.

س: يقال بأن هايدجر ونيتشه، وبقية العدميين شكلوا نواة النازية.

ج: هذا كله كلام من باب التأويلات. لا أشارك القائلين به رأيهم لأنه لو كانت المسألة اجتزاء فقرة من آثار هؤلاء العظماء، لوجدنا فقرات نازية وعنفية، وضد الإنسان، حتى في الكتب المقدسة. لذلك لا يجوز أخذ فقرة أو

جملة وتعميمها على فكر بكامله. دون ذلك نقع في عبث لا معنى له. وأكرر: حتى في الكتب المقدسة يمكن أن نجد جملاً تدل على أن الكتب المقدسة ضد الإنسان، وضد الحقيقة وضد الحياة. لكن حين ندرس مفكراً أو شاعراً أو كاتباً أو تياراً فكرياً، يجب أن نأخذه في منحاه العميق الأخير. لا في بعض التفاصيل. أو بعض الجمل.

س: "صفر الدلالة" تعبير أطلقه "جون أليس" على المنهج العدمي، هل توافقه؟

ج: هذا أيضاً تعبير جميل في وصف العدمية.

س: تركز في كتاباتك على الفرادة. وقد كتبت مؤخراً في دبي الثقافية عن الشخصانية. حتى الحكمة بالنسبة إليك فكر مشترك، رخو ومبتذل. ما علاقة الشخصانية بالتعاون البشري، والتراكم المعرفي؟

ج: العزلة بالنسبة إليّ، مرتبطة بالتعاون، بالتعدد، والتنوع. أنت تجلسين أمام البحر، وتتأملين الموج. كل موجة تختلف عما سواها. لا يمكن أن تكون هناك موجة تشابه أخرى. هذه الأمواج جسد واحد. البحر يبقى كما هو. الفرادة أن تكوني خارج الكل، وداخله في آن. أن تكوني متميزة في المجتمع، وفي الوقت نفسه جزءاً منه، متوحدة، لكن واحدة مع الجميع، منفصلة لكن مرتبطة. أنا لا أتحدث عن الفرادة كانعزال أو انقطاع.

س: يقال بأن الشعور بالفرادة والشخصانية، أنتج في الغرب جيلاً لا منتمياً، شغل ويشغل الأدباء والمفكرين والساسة.

ج: قبل أن ننتقد اللامنتمين، يجب أن ننتقد ما فعله المنتمون. ماذا قدم هؤلاء المنتمون الذين ينتقدون اللاانتماء؟

س: نبه "ليفي شتراوس" إلى صعوبة فك دلالات الأسطورة، من حيث أن بنيتها ليست بنية إفصاح بل بنية انزياح.

بماذا تنصح الكتاب لكي يتجنبوا إقحام ذواتهم في توظيف الأسطورة؟

ج: *"الأسطورة بنية انزياح"*. أحياناً يعجز العقل عن الإجابة. الإنسان يبحث عن أجوبة باستمرار. وهذا دليل ضعفه. لأن قوة الإنسان ليست في الأجوبة، قوته في طرح الأسئلة. لم يعد النطق هو الذي يميز الإنسان عن الحيوان أو عن الآلة. أصبحت الآلة تنطق، وبعض الحيوانات تنطق. ما يميز الإنسان عن الكائنات الأخرى، هو أنه قادر على طرح أسئلته على الوجود. بمعنى أن يقيم مسافة بينه وبين العالم، وبينه وبين الأشياء، وأن يطرح عليها أسئلة، لكي يفهمها ويسيطر عليها. أحياناً العلم أو العقل لا يقدر أن يقدم أي جواب. حينذاك يتدخل الشعر وتتدخل الأسطورة. تخلق له الأسطورة استيهامات وفرضيات وظنوناً تساعده في الكشف عن أشياء يبحث عنها.

أهميتها كمثل يد خفية تفتح نوافذ لكي يطل منها الإنسان، بعد أن رأى أن نوافذ العقل لا توصله إلى أي فضاء يرتاح إليه.

س: يقال بأن القدرة الباراسيكولوجية للإنسان انحسرت مع التقدم العلمي. هل سنشهد عودتها، مع وصول العلم إلى طرق مسدودة أمام أسئلة الإنسان غير المنتهية؟

ج: أولاً، من قال أن لدى الإنسان قوة باراسيكولوجية؟ من أثبتها؟ وكيف أثبتوها؟ كيف تم إثبات أن للإنسان قوة باراسيكولوجية؟ إذاً يجب أن نسأل عنها أولاً إذا كانت موجودة أم لا. هناك مدلولات وألفاظ ومسميات انتشرت في الأفق الديني بعوامل التوهم وعوامل الخرافة، وعوامل كثيرة. هذه المفهومات يجب أن نعيد النظر فيها، لئلا نعيش في أوهام. أحياناً نخترع وهماً ثم نصدقه، ثم نعيش فيه. ثم كيف نتخلص منه؟ لا أعلم.

س: لكن معارفنا ليست جميعها عقلانية. هناك معارف تتأتى لنا عن طريق الأساطير، وبطرق سحرية لاعقلانية.

ج: هذا موضوع آخر. هناك معرفة عقلية، وهناك معرفة لا تأتي عن طريق العقل، وإنما تأتي عن طريق القلب، عن طريق الحدس وعن طريق الحلم. هذا موضوع آخر.

س: *"وأنت أيها الشعر، ألم توسوس للجنون حتى يعيد اكتشاف العقل؟" "لا علة لجنون هجرتي غير العقل."* وقد كتب أدباء كبار عن الجنون: دوستويفسكي، فوكنر، نجيب محفوظ، وقال نزار قباني: إن الجنون وراء نصف قصائدي، كما أصيب نبي الفلسفة نيتشه بالجنون قبل وفاته، وكذلك تلميذه فوكو، كيف يخدم الجنون، الكشف الإبداعي؟

ج: الجنون يتخطى الرقابة العقلانية. إنه ضوءٌ يخترق العالم، إلى معناه العميق. هذا الضوء يسيطر على الجسم الذي يتحول إلى نور، يصبح مبثوثاً في العالم، يكتشف أسرار العالم.

تزول كثافة الجسد الذي يتوحد مع العالم. هذه هي المعرفة ـ الجنون.

العقل حجاب على القلب. يجب تمزيق هذا الحجاب أي تخطي الحدود التي يرسمها العقل. هذا توكيد على التحرر من هيمنة المجتمع ومحدوديته الضيقة بروح السلطة، وعقل السلطة، لأن المجتمع يجب أن يكون متنوعاً ومختلفاً.

س: هل القوة فضيلة؟

ج: إذا كانت القوة تخدم الضعف. القوة المحدودة داخل الذات نفسها. القوة من أجل أن ينهض الإنسان إلى مزيد من المعرفة، وإلى مزيد من اكتشاف العالم، داخل إطاره الفردي، تكون مزية. لكن القوة التي تمارس العنف والقهر سيئة ومرذولة.

oberkandl.com

الصوفية ثورة معرفية مستقلة

داخل الإسلام

س: *"اليوم، صرت على العكس أحب الجلوس بعيداً من النافذة. أهي بداية الهبوط إلى الداخل؟ إلى "القبر" تبعاً للتقدم في السن، نحو الشيخوخة؟ كأنما "الظاهر" لا يعود مغرياً في هذه السن، وكأنما "الباطن" على العكس، يصبح في مختلف دلالاته، نقطة الغرابة والجاذبية."* (99)

هل جاءت الحركات الباطنية في مرحلة شيخوخة الدولة العربية الإسلامية؟ هل الميل إلى الباطنية هو علامة نضوج للفرد وللجماعة؟

ج: الشيخوخة هنا تعني النضج ـ خصوصاً على الصعيد المعرفي. و"الباطنية" بهذا المعنى الفلسفي ـ الرؤيوي، تحديداً، علامة نضوج.

س: نلاحظ حضوراً لافتاً لظاهرة الصوفية، في الحياة الاجتماعية والفنية ـ الأدبية، وحتى السياسية، وأنت كتبت واستلهمت أفكار المتصوفة.

ج: بالنسبة لي شخصياً، وفي إطار حديثنا، أرى بأن للصوفية أهمية مزدوجة:

1 ـ جميع المتصوفين كانوا ضد السلطة، كانوا يعتزلونها. من أقوالهم مثلاً: *"إذا رأيت عالماً يلوذ بباب سلطان، فاعلم أنه لص".*

2 ـ أحدث المتصوفون ثورة معرفية داخل الإسلام، غيروا مفهوم الله. ففي الإسلام مثلاً، شكل مفهوم الله قوة مهيمنة، تجريدية خارج العالم. التصوف

قال لا، اللّه قوة حية، وقائمة في صميم العالم، وفي صميم الوجود، واللّه يمكن أن يكون إنساناً، والإنسان يمكن أن يكون إلهاً. ومن هنا قالوا بمفهوم وحدة الوجود، أي وحدة اللّه، والعالم، والبشر، والطبيعة.

الصوفية ثورة معرفية كبيرة مستقلة داخل الإسلام الذي رفضها، كما رفضها أيضاً بعض المفكرين.

من هاتين النقطتين المهمتين أختصر: الصوفية ظلت في إطار الرؤية الشعرية العربية. وظلت إذاً مفتوحة على المستقبل، بحيث أن الحقيقة لا تؤخذ من النص، ولا تؤخذ من الماضي. وإنما تؤخذ من التجربة أي من الحياة. وبهذا المعنى، الحقيقة تأتي من المستقبل، وليس من الماضي، والعالم مفتوح إلى ما لا نهاية.

س: ألم يتسبب الشطح الصوفي، واستيهاماته، وانشطاراته، في ابتعاد الفكر العربي عن العقلانية؟

ج: لا، العقلانية شيء مهم جداً في الطبيعة وضروري. لكن لا يجوز أن يعمم ويطبق على التجارب الذاتية، ولا على الرؤى الفردية، وبخاصة الشعر والفنون بعامة. العقلانية ميدانها الطبيعة والتقنية، ولا يجوز أن تهيمن على تجارب الإبداع الشخصي.

التصوف حرية وتجربة خاصة في الحياة والمعرفة والوجود. إلى جانب التجربة العقلانية الخاصة بميادين أخرى. تجربتان يجب أن تتعايشا، ففي ذلك إغناء للإنسان، وتوسيع لحدود المعرفة. لماذا الإصرار على نفي إحداهما

للأخرى؟

س: يقال بأن كلاً من ابن المقفع، وابن الجوزي، وابن حزم، والجاحظ، وغيرهم، وضعوا معايير لقيم الصوفية، وقد حملت إبداعاتهم النثرية، بذور الرواية العربية التي تنتشر اليوم مع الانتشار الصوفي الملحوظ. فهل الصوفية أكثر قرباً للرواية منها إلى الشعر؟ [100]

ج: الصوفية، بالنسبة إليّ، أكثر قرباً إلى الشعر منها إلى الرواية .

س: يتحدث أدونيس عن صوفية المنهج لا صوفية الإيمان الديني. في حين يشبّه البعض الصوفيين بالجماعات "الهيبية" في أوروبا.

ج: الصوفية رؤية خاصة للعالم. وهي رؤية غير عقلانية أو غير منطقية، بالمعنى الفلسفي. وهذه ميزة، بالنسبة إليّ. وهي رؤية غير شرعية، لا تتقيد بالشرع الديني، ولا تتقيد بالعقلانية. هي نوع من تخطي الحاجز الديني التقليدي، وتخطي الحاجز العقلاني، ومحاولة للوصول إلى المعرفة، بطريقة إشراقية، أو بطرق حدسية. اليوم لا يوجد مثل هذه الصوفية عندنا. أحياناً يحل محلها الشعر، وأحيانا يحل محلها الفن.

س: هل رافقت الصوفية الحضارات كافة؟

ج: دائماً كانت الصوفية موجودة. كل محاولة للوصول إلى اللامرئي، أو إلى المجهول بطرق غير تقليدية أي بطرق غير شرعية دينية، وبطرق غير عقلانية منهجية، تندرج ضمن إطار التجربة الصوفية.

التجربة الصوفية تقوم على المخيلة، تقوم على الحدس، وعلى نوع من

الاستبطان. تقوم على قهر الجسد، أو السيطرة عليه. بحيث يتوهم صاحبه أنه أصبح نوراً محضاً، أو روحاً محضاً. وعندما يصبح نوراً محضاً يتغلغل في جسد العالم، ويكتشف ما وراء هذا العالم.

س: أيسمى هذا عند الفنان السوريالي كشفاً؟

ج: نعم. شيء من هذا القبيل.

س: *" ضع جسدك في غير جسدك*

انذر نفسك لجسد آخر، واصرخ

من يريد أن يكون السابق ويتتوج برأسي؟

هكذا يعرِّش عليك الدهر!؟"

هل ظروف انتشار الصوفية اليوم، تشبه تلك التي وصفها ابن خلدون: "فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني الهجري، وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية، والمتصوفة"؟ (مجلة الرافد مارس 2008).

ج: تفسير ثاقب، وإن لم يكن شاملاً.

س: كيف توفق بين الزهد الصوفي المتمثل في قهر الجسد، وبين تمجيدك للجسد؟

ج: الصوفي شهواني جداً.

س: كيف إذ يقهر جسده؟

obeikandl.com

ج: يقهر جسده معرفياً. بمعنى أنه يسيطر على الحواس.

المعرفة لا تجيء عن طريق الحواس. الحواس لما هو مرئي. يقول المتصوف: ما نراه ليس شيئاً، إذا قارناه بما لا نراه. من أجل ذلك تكون للحلم أهمية. في الحلم مثلاً تشاهدين عوالم متعددة في ثانية واحدة. إنها القدرة على إنامة "الوعي الحاجب"، وإيقاظ "الوعي الكاشف".

هناك من استخدم المخدرات من أجل هذا الكشف كالسورياليين مثلاً. وهناك من يستخدم نوعاً من الدوران، نوعاً من الرياضة التي يميتون فيها الوعي، أي يميتون الحواس، يعني الجسد. بحيث يتحول الإنسان إلى طاقة روحية محضة، إلى نوع من النور.

س: أين الشهوانية في ذلك؟

ج: هذه لحظة. عندما تغيب هذه اللحظة، يتغيّر الصوفي . الصوفي شهواني في حياته اليومية. لذلك يعشق. الجسد عند الصوفي، حر كليّاً.

س: أحياناً تنتشر الدَّرْوشة. ما علاقتها بالصوفية؟

ج: الدروشة صوفيّة شكليّة.

س: يقول نيتشه، وأنت تقره: بأن البوذية تتقدم بصمت في كل أوروبا، لماذا؟

ج: ليست البوذية ديناً سماوياً، بل هي دين أرضي، دين أخلاق ومناقب. وهي ليست رسالة موحاة، لذلك يوجد فرق أساسي جداً بينها وبين الأديان

السماوية. فالدين في الإسلام مثلاً دين حقائق مطلقة. أما البوذية فهي مناخ للحرية، حرية الإنسان في فكره وفنه وحياته، وفي علاقاته مع الآخر، ومع الطبيعة والوجود.

س: هل من علاقة تربط البوذية مع الصوفية؟

ج: طبعاً. التأمل، الحرية، الانفتاح، واللاعنف .. إلخ.

س: ما الفرق بين البوذية والصوفية من حيث التقارب الإنساني؟

ج: البوذية حركة منظمة جماعياً. وهي لذلك أكثر حضوراً، وأقوى تأثيراً. الصوفية تجربة شخصية، حرة ومستقلة.

س: *"في الفلسفة الطاوية يبدو الوجود صديقاً قريباً للإنسان كأنه نوع من الجواب.*

أما في الفلسفة الغربية فيبدو أن الوجود "بعيد" أعني أنه سؤال". [101]

أنت أقرب إلى السؤال منك إلى الجواب. هل يعني هذا أنك تفضل الفلسفة الغربية، على الفلسفة الطاوية؟

ج: الفلسفة الغربية ليست واحدة. هي فلسفات متضاربة أحياناً، ومتناقضة. أفضّل دائماً الفكر الذي يحرّك فيَّ التساؤل والحيرة. على الفكر الذي يحاول أن يبعث الإيمان والطمأنينة.

س: *"أخذ الجرح يتحول إلى أبوين والسؤال يصير فضاء*

يذهب الجسد وتبقى شريعته، فماذا تفعل أيّها الحبّ؟"

ما الفرق بين الطاوية والبوذية؟

ج: لم أدرس الطاوية، ولا البوذية الدراسة الكافية، التي تمكنني من إيجاد نقاط الالتقاء بينهما، أو نقاط الاختلاف.

س: واءمت بين بوذا، وجلال الدين الرومي، ونيتشه، والمتنبي، ونسجت بعض خيوط هؤلاء في سجادة ضوئك المشرقي، لكن موشور أفكارك الكونية، غيَّب ظلال القضايا العربية، هل لأن المفهوم العربي للحزن وللسعادة، لا يتصادى مع مفهوم هؤلاء له؟

ج: القضايا العربية سديم يسبح في فضاء سياسي ليس هو الآخر إلا سديماً. بشر أنهكهم الطغيان والفقر والركض وراء المصلحة والمال. الفرد العربي يختزل أو يحاصر في "حاجته" المادية. فقضيته هي حاجته.

س: *"هل نصل إلى مرحلة ثقافية يتوحد فيها المكتوب المقروء، والشفوي والمسموع. فتصبح الكتابة عملاً يشترك فيه الجسد كله، لمساً وسمعاً وبصراً شماً وذوقاً؟"* [102]

ج: سؤال أنتظر أن يجيب عنه المستقبل.

الحب عشقياً هو نوع من السفر الحميم

س: في حديثك إلى جريدة الوطن السورية قلت: "*تربيت تربية طهرية وأضعت فرصاً عظيمة جداً.*"[103] ما رأيك بالأفكار التي طرحها صادق جلال العظم في كتابه "في الحب والحب العذري"؟

ج: الحب الذي نقرأ عنه في الكتب، والذي يتحدثون عنه خصوصاً في الروايات وفي الدراسات السيكولوجية وفي العلاقات بين الرجل والمرأة، هذا الحب الكتبيّ لا يعنيني. هناك حب أي علاقة محددة بين رجلٍ وامرأة. هذا ما يعنيني في المقام الأول. الحب القائم بين رجل وامرأة لا يعمم. لا يمكن الحديث عنه بشكل تعميمي أبداً. لكل علاقة بين رجل وامرأة حالاتها الخاصة وطبيعتها الخاصة ونظامها الخاص. ولا يمكن تعميمه على علاقة ثانية أبداً. إنما هذه العلاقة المحددة بين رجل وامرأة يمكن أن تكون أعظم ما في الوجود. ولأنها أعظم ما في الوجود تكون هشة. كل ما هو جميل وعظيم هش ومهدد باستمرار. كل شراكة فيها مشكلة. هذه طبيعة الأشياء الجميلة. لكن لا تقاس هذه العلاقة المحددة بمدة زمنية. لا تقاس العلاقة بمدة زمنية، لأنه من المستحيل أن يعيش جسدان مدة أربعين عاماً مثلاً في النشاط ذاته، وفي النشوة ذاتها، وفي الحيوية ذاتها، وفي الجمال ذاته. تطول مدة الحب أو تقصر، ليس هذا مهماً. المهم هو كثافة الحب وعمقه والغنى الذي يتولد عنه. وكما قلت الحب لا يعمم. لا يستطيع أحد أن يبني أحكاماً عليه. لا يستطيع الرجل أو المرأة تقديم النصح للآخرين حول تجربته في

الحب. وأحياناً تحكم العادات والتقاليد العلاقات بين الجنسين. هناك رجال عاشوا طويلاً مع نساء، ولم يعرفوا مع ذلك أن يكتشفوا أجسادهن. قضايا الحب قضايا عميقة ومعقدة جداً. وما يكتب عنه يختزل أخيراً بالحديث في مسائل الحرية الجنسية. هذه مسائل ثانوية بالنسبة لي. عندما يكون الحب عميقاً، لا يوجد حدود للحرية، كل شيء يصبح حياً وصريحاً وواضحاً. لا توجد حياة عظيمة خارج هذه العلاقة، مهما كانت هشة. وإذا انكسرت يمكن أن تتجدد بعلاقة أخرى. لكن هذا الشيء نادر الوجود في حياتنا وظروفها القائمة على أنواع من النفاق وأنواع من الكذب والرياء، لأن القوانين الاجتماعية والدينية والطائفية لا تزال تتحكم. وهي لا تتحكم على المستوى الشرعي الاجتماعي وحده، وإنما تتحكم أيضاً بلاشعورنا. منذ ألف وخمسمئة سنة نعيش في ثقافة دينية، من الصعب الخلاص منها، حتى لو شئنا. الخلاص منها نوع من النضال. نضال داخل النفس، ونضال خارج النفس. ماذا يعني الحب العذري؟ الحب العذري ندرسه استناداً إلى أخبار معينة. يمكن أن تكون هذه الأخبار كاذبة، يمكن أن تكون مجتزأة. لذلك جميع الدراسات التي تتناول هذه النوع من القضايا كلها توهمات وأحكام اعتباطية. يمكن أن تكون فيها أشياء جميلة، لكن لا تتخذ كمرجع يقيني يقودك إلى حقيقة نهائية. الحب مثل الشعر، اختبار متواصل. افتتاح متواصل الاكتشاف. الحب عشقياً هو نوع من السفر الحميم، لاكتشاف هذه القارة التي اسمها الجسد. قد تفشل، أو قد تنجح جزئياً. وأظن أنها نادراً ما تنجح بالمعنى الكامل. لأن الحب بخلاف الشعر مثنى. الاثنان معاً هما اللذان يخلقان الحب. المرأة وحدها لا تستطيع أن تعيش حبها

كما تحلم، والرجل كذلك لا يستطيع أن يعيش حبه كما يحلم. البحث في هذا الموضوع بحث معقد جداً.

س: فاجأت بعض طلبة جامعة "ميتشيغن" بقولك: *"الإنسان المضطهد هو المرأة لكن المستعبد الحقيقي هو الرجل ويجب على المرأة مساعدته كي يصبح حراً"* [104]

هل عنيت المجتمع العربي أم مطلق مجتمع في هذا العالم؟

ج: لا المجتمع العربي وحده، بل العالم كله.

س: *"في جسد المرأة نشيد أرضي تقرؤه السماء بلا نهاية"*.[105] وقد انتهى الفنان "موندريان" بالتجريد إلى تلخيص الكون بخطين، عمودي وأفقي، العمودي هو المذكر وهو الروح، والأفقي هو المؤنث وهو المادة.[106] لماذا الأنوثة وليست الذكورة هي طريق الوصول إلى المعرفة وإلى الألوهة؟ ألا تمنح الذكورة الحياة؟

ج: هذا سؤال يوجه إلى الأنوثة لا إلى الذكورة. الجسد بالنسبة إلي، واحد ـ ذكورة، وأنوثة.

س: كتبت في جريدة الحياة: *"إن الأنثى عندنا لا تولد بالضرورة امرأة، ولا تصير امرأة إلا بالحرية."* لكن أليست الأنوثة جميلة بحد ذاتها؟

ج: كل أنوثة حقيقية جمال، وكل ذكورة حقيقية جمال.

س: هل في جهل المرأة بالحياة وبجسدها أنوثة من نوع ما؟

ج: ربما. لكن إذا لم يكن الجسد حراً، لا تكتمل أنوثته.

س: في مؤتمر صحفي في أسبوع ماراليان الثقافي في حمص قلت: *"تكاد الكتابة النسوية العربية اليوم أن تلخص بقول المرأة للرجل أنا لك .. وأحبك لكن عليك أن تحبني كما أنا أريد وهذا رد فعل وليس فعلاً. عدا أنه تبسيط واختزال".*

ج: هناك نساء عربيات بديعات جداً. حرات في كلامهن، وحرات في أجسادهن. لكن كما أشرت سابقاً هذه مسألة تظل في إطار محدود، وفي إطار علاقة بين شخصين ولا تعمم. هناك نساء لا يمكن أن يتحررن، وضد الحرية. وكذلك رجال لا يمكن أن يتحرروا، وضد الحرية. هذه أمور لا تبحث إلا تجريبياً. الحب تجربة معيشة لا تجربة تنظيرية.

س: يشيرون في أوروبا إلى الحب العربي على سبيل الدعابة.

ج: لأن هؤلاء يعرفون الحب العربي كما قرؤوه في الكتب. لكن لو أنهم عاشوا في المجتمع العربي "تجريبياً" وشاهدوا كيف يعيش الناس، وكيف يحبون ويتزوجون بحكم عاداتهم، يمكن أن يغيروا رأيهم. صحيح أن المرأة العربية احتفظت بأنوثتها أكثر من المرأة الأوروبية. لأنها تملك نوعاً من الغموض، نوعاً من الحياء، نوعاً من الخفاء. يمكن أن تكون مغرية للرجل، لأنها تولد له لذة الاكتشاف. لكن ذلك إذا لم ترافقه الحرية، ولم يرافقه احترام الآخر، يكون عبئاً كبيراً. لذلك يمكن هنا البحث عن الغيرة، وعن الجهل، وعن عدم تقدير الأشياء لدى المرأة العربية أيضاً. المرأة العربية تغار كثيراً، وجاهلة إجمالاً، وتحب التملك ... إلخ

س: لك رأي مختلف في مؤسسة الأسرة، ما هو الوضع القانوني للأولاد، الذين يولدون خارج نطاقها؟

ج: الحل هو في المجتمع المدني.

الحجاب مجرد شكل خارجي

س: تتحدث عن الحجاب الذي يصبح هو نفسه الوجه:

"الحجاب يغير وظيفة العين،

ويغير العين نفسها ،

ويغير النظر" [107]

"الحجاب هو أن تتفتح المدينة

كمثل بيضة تتفتح في مقلاة عائلية

هو أن تطبخ المرأة، كما يطبخ طعام نادر" [108]

ج: نتحدث هنا عن الحجاب في إطاره الإسلامي. وجد الحجاب في الماضي. كانت المرأة المسيحية تدخل الكنيسة وهي تضع غطاء على رأسها. يجب أن نبحث الحجاب في إطار وظيفته، ودلالته وسياقه الاجتماعي. الحجاب عند المسلمين، هو عملية مادية. هو عملية قسر للمرأة وعزلها عن الآخر. وبهذه العملية القسرية العزلية، يتم تحويلها إلى نوع من أنواع الملك الخاص بالرجل باسم الدين. هذا النوع من الحجاب يجب أن يحارب، لأن هذا حجب للعقل، وحجب للطاقة، وعزل للكائن البشري عن حياته السوية.

وإذا كانت العملية عملية تعفف، أو عدم جعل المرأة عرضة للآخرين، فالمرأة قادرة أن توجد لها حجاباً رمزياً على حياتها، دون أن تتحجب حجاباً مادياً. هناك حجاب داخلي عند كل من المرأة والرجل. الحجاب بالمعنى

obeikandl.com

الشائع لدى المسلمين هو عدم ثقة بالمرأة، وتحجيم لدورها في الحياة، وتقزيم لكينونتها، وتحويلها إلى مجرد شيء، وإلى مجرد ملك.

س: وماذا إذا كان الحجاب بإرادة المرأة؟ تكلمت عن ذلك عندما زرت إيران. في كتابك "رأس اللغة جسم الصحراء".

ج: هذا يندرج في إطار الدفاع عن العبودية. لدينا نحن العرب ميل لكي ندافع عن عبوديتنا. وهذا النوع من الحجاب بإرادة المرأة، هو نوع من أنواع الدفاع عن عبوديتها. لو لم تكن هنالك مبادئ دينية، لكانت المرأة أكثر حرية. فإذا هي تطيع المبادئ والتشريعات التي يطالب بها الذكر. هذا نوع من أنواع القسر المسبق، نوع من العنف المفروض مسبقاً.

س: *"لماذا هذه الأرض الأم لا تقبلني بين أحضانها إلا محجبة؟"* [109]

تقبل النساء على ارتداء الحجاب، كما لم يفعلن في السابق.

ج: نعم، لكن هناك بالمقابل نساء يستخدمن الحجاب لفعل شيء آخر يحرمه "فقه" الحجاب نفسه. الحجاب مجرد شكل خارجي. في جميع الحالات، الحجاب لا معنى له.

س: *" أريد أن أسأل المسيح المحجّب*

بماذا يتنبأ الحجاب؟" [110]

ما رأيك بانتشار الحجاب بين فئات شابات صغيرات، يعشن في مجتمعات منفتحة وغير متعصبة للدين على العموم؟

ج: نوع من لبس الجينز.

س: *"ما أصعب أن نمزق الحجب التي تطمس الدهشة في هذا العالم"* [111]

"النور، في سطوعه الكامل، يتحول إلى حجاب، غير أنه الحجاب الوحيد الكاشف" [112]

ماذا عن الحجاب الإبداعي؟

ج: أشير هنا إلى الحجاب الرمزي ـ المعرفي. حجاب المرأة "مادي" ويفرضه الشرع الديني، ضد الحرية وضد المعرفة.

س: *"وأكاد أن أقول: الجمال .. يحول الزمن كله إلى لحظة تتوقف فيها الحركة، وتتوقف الصيرورة"* [113]

"الإبداع هو هذه اللحظة التي تضع الكائن كله في الزمن كله" [114]

"الأبواب في نابولي مستطيلة

إلا اثنان: باب الحب، وباب الفن" [115]

ما العلاقة بين الإبداع، والحب والجمال؟

ج: هناك علاقة لا شك. لكن، ما هي وكيف، فمسألة لا يجاب عنها بسهولة. غير أن الجمال هو الذي يجعلك تعشقين العالم. هو الصورة التي تعطي للوجود معنى.

س: هل الحب مثل الإبداع يستلزم ظروفاً خاصة حتى يتفتح؟

ج: طبعاً. فالحب هو أيضاً إبداع. وهو معرفة أيضاً.

نهضة إبداعية نسائية،

لا سابق لها في التاريخ العربي

س: يتحدث البعض عن ضرورة رسم مسارات "إضافية"، لتحرير المرأة، تكون محايثة، ومواكبة لمسارات تحرر المجتمع بالمجمل. لأن الضغوط على المرأة مضاعفة.

ج: المرأة تعيش في مجتمع. لا تستطيع أن تتحرر بمفردها. وكذلك الرجل. يجب أن يكون التحرر ثنائياً، مزدوجاً. معاً يتحرر الرجل والمرأة. لكن كمرحلة أولى، على المرأة أن تثبت شخصيتها واستقلاليتها.

س: في كتاباتك تلازم للمقايستين، الروح والجسد، الأرض والسماء، وقد كتبت:

"نساءٌ يقطّرن كلام الأرض بين أثدائهن، ويسرن

محفوفات بكتب خفية،

غيّري أمكنتك، إن شئت. المائدة رحبة، وفي القلب

مكان يسع السماوات والأرض" [116]

كيف ترسم المرأة، كخلفية لهذه البانوراما؟ وكيف تربط بين امتهان المرأة وبين امتهان العقل والإبداع؟

ج: وضع المرأة في المجتمع العربي وليد رؤية دينية وثقافية للإنسان والكون

والمعرفة، ولن يتغير وضعها إلا إذا تغيرت هذه الرؤية.

س: هل تعتقد بانتشار نموذج د. "نوال السعداوي"، أم سيظل تاريخنا "مزخرفاً" ببعض الأسماء النسائية: حتشبسوت، كليوباترا، زنوبيا، بلقيس ..

ج: شخصياً أتفق مع السيدة نوال السعداوي في نقاط كثيرة. لكن لا أعتقد بأن تحرر المرأة يتم خارج نطاق تحرر الرجل. المرأة تتحرر عندما يتحرر الرجل، الرجل مستعبد في أشياء كثيرة، كالمرأة المستعبَدة. يجب أن يتحرر الرجل والمرأة معاً. معاً يتحرران، لأنهما معا يخضعان للعبودية.

س: لكن ظروف المرأة لا تمكنها من إثبات شخصيتها، ومن الحصول على استقلاليتها، إلا إذا تبنى الرجل موقفها، وهذا لا يحصل إلا نادراً. معظم النساء مهمشات ومغلوبات على أمرهن. هل تتمتع المرأة بحرية الخروج من منفاها، في عالم وصفته بأنه كرة تدحرجها الذكورة؟

ج: لا بد من النضال. لا شيء يعطى للإنسان وهو جالس أو صامت أو ينتظر. يجب أن تناضل. نضالنا ضعيف. صحيح يوجد معوقات أمام هذا النضال، لأن المؤسسة الموروثة الدينية، والسياسية، والاجتماعية، لا تقدم إلا العوائق أمام التقدم والتحرر. إلا أن مجتمعات كثيرة وشعوباً كثيرة عرفت مثل هذه العوائق. فإذا كان الغرب تحرر، لماذا لا نتحرر نحن؟ وإذا كانت المرأة في الخارج تحررت، لماذا لا تتحرر المرأة العربية؟

س: لمَ لم تظهر نساء مبدعات على مدى التاريخ؟

ج: بلى ظهرت.

س: أسماء قليلة.

ج: نعم، نسبياً، أسماء قليلة. لأن الإبداع يتطلب عزلة، ونوعاً من الانقطاع، وعزلة عن الحياة الاجتماعية، للتأمل، والقراءة، والبحث. هذه مقتضيات إبداعية، لا بد منها لنا جميعاً. لكن ظروف المرأة التاريخية، حالت دون توفر هذه الأشياء، لأنها انهمكت في أعمال البيت، وتربية أطفالها. ولم يتبق لها الوقت الكافي والضروري، لكي تثقف نفسها، ولكي تبحث، وتنتج. متى أتيح للمرأة مثل هذه الإمكانيات، أظن بأنها تبدع. وأظن بأنها بدأت تبدع. يوجد اليوم نهضة إبداعية نسائية، لا سابق لها في التاريخ العربي. كمّاً، ونوعاً.

س: هل كانت بعض المجتمعات القديمة "أمومية" وليست أبوية؟

ج: نعم، وجدت بعض المجتمعات التي هيمنت فيها المرأة. ففي مجتمعات ما قبل الإسلام - التي يسمونها خطأ مجتمعات جاهلية - كان للمرأة حضور أكثر من اليوم. وإذا كان الرجل اليوم يتزوج أكثر من مرة، فقد كانت المرأة في ذلك الوقت، تتزوج بأكثر من رجل، وتطلق. ولم يكن أحد ينتقد، ولا أحد يمانع. لم تكن المرأة تعيش في الفراغ، ولا تتزوج أو تطلق في الفراغ. بل في مجتمع تسود فيه أحكام أخلاقية معينة. إذا كان هذا المجتمع المتحرر موجوداً في الماضي، فلماذا لا يوجد في الوقت الحاضر بشكل أغنى وأعمق؟ لكن هذا يحتاج إلى ثقافة جديدة، وأسس جديدة. إذا لم يكن المجتمع متفتحاً بعلاقاته وأفراده، ومتقدماً، يصعب على الرجل وحده، أو المرأة وحدها، بناء علاقات بينهما متحررة من القيود.

س: قصدتُ المجتمعات القديمة "الأمومية" التي تحدث عنها بعض الباحثين. ومنهم د. نوال السعداوي في كتابها "الأنثى هي الأصل"؛ كيف كانت المرأة في هذه المجتمعات مهيمنة، بينما معيار القوة العضلية هو الذي كان مهيمناً؟

ج: في بعض المجتمعات، وبعض أوقات التاريخ، حكمت المرأة. أروى كانت امرأة مهمة جداً في اليمن، وكانت شجرة الدر. كانت هناك نساء يحكمن من وراء الستار أيضاً. للمرأة دور كبير. لكن طمسته الذكورة والهيمنة الذكورية لأسباب متعددة.

س: *"الهبوط أجمل وردة في يد الألوهة."*[117] هل نستطيع أن نقارن بين هذه الوردة، وبين وردة التصافي والحب التي يقدمها الرجل للمرأة؟

ج: المرأة مضطهدة منذ القدم. قيل لنا أن المرأة خلقت من ضلع الرجل، وكأنها جزء منه. وفي التقليد الديني أن المرأة لم تخلق على صورة الله، آدم وحده خلق على صورة الله. بهذه اللحظة، بهذا القول، تأسس اضطهاد المرأة. طبعاً، مع التطور التاريخي، أصبح هناك تأويلات تحدثت عن التسامح مع المرأة، وبأن لها حقوقاً. إنما لم يُعَدِ النظر بهذا الأساس، نحن بحاجة إلى إعادة النظر في أساس العلاقة بين الرجل والمرأة. المرأة والرجل، كيانان منفصلان. كل منهما مستقل عن الآخر. وكل منهما يقرر العلاقة الثنائية بحرية كاملة، وبإرادة شخصية كاملة.

أقف شخصياً، ضد كل من يقف ضد المرأة

س: يقال أن كثيراً من الفلاسفة والمنظرين هم ضد المرأة:

أرسطو ـ هيدغر ـ أوغسطين ـ توما الاكويني ـ الفارابي ـ ابن سينا ـ أبو العلاء المعري ـ مسكويه ـ كنت ـ هيغل ـ شوبنهور ـ نيتشه ... لماذا برأيك؟

ج: لعلّة في فكر كل من هؤلاء، وفي شخصه. أقف شخصياً، ضد كل من يقف ضد المرأة.

س: *"لغة أم تتمرد بها الأنوثة على ضلع آدم لكي تتساوى بآدم نفسه"*

"جميل حقاً أن يظهر بوذا، أينما اتجهت، في صورة امرأة!"[118].

"مريم العذراء وإن كانت خلقت كمثل حواء نقيض لحواء: من الأنوثة ولدت روح الألوهة (الذكورة)"[119].

وقد ذكر محمد شحرور أن لفظ آدم يشمل الذكر والأنثى على السواء[120]. كما تطرقت إلى ذلك خالدة سعيد في كتابها "في البدء كان المثنى". هل تعدّل مثل هذه الرؤى في نظرة العالم للمرأة؟

ج: كمثل ما ابتكر الإنسان طريقة لفهم علاقته بالمجهول أو الغيب أو الماورائيات، ابتكر فكرة ليشرح أو يفهم كيفية هذا اللقاء العجيب بين الذكر والأنثى، في حالة تسمى الحب. ثم ينتج عن هذه العلاقة أطفال وأولاد.. إلخ. هذه الفكرة تكلم عنها "أفلاطون" أساساً، وقال بفكرة أن

الإنسان لم يكن في البداية لا ذكراً ولا أنثى. كانا كائناً واحداً، ثم بعامل ما انفصل هذا الكائن إلى شطرين. شطر سمي ذكراً، وشطر سمي أنثى، ومنذ ذلك الوقت كل شخص يعيش باحثاً عن نصفه المفقود، وعندما يلتقيان يعودان إلى الحالة الأصلية. هذه الأسطورة لتفسير حالة الحب بين شخصين. جميلة كبقية الأساطير، تحاول أن تفسر أو تبني جسراً بين الإنسان والمجهول. إنها أسطورة جميلة، لكنها أسطورة شعرية. وليست أسطورة علمية تنبثق عنها معارف.

س: *"المرأة الكتابُ، والأنوثة الكتابة"*[121]

يقال بأن كلاً من الرجل والمرأة يحملان هرمونات مغايرة لجنسهما، وإن هذه الهرمونات تزيد عند المبدعين، حيث يلقح العقل بالهرمونات المغايرة لجنس المبدع.

ج: أنا ضد التصنيف. أنا لا أميز، على سبيل المثال، بين الكتابة الذكورية والكتابة الأنثوية. أعتقد أن الكتابة واحدة. المرأة قادرة على الكتابة، كمثل الرجل. أنا مع الكتابة الواحدة. توجد في كتابة الرجل أحياناً نبرة القوة. ونجد لديه أحياناً، على العكس من ذلك، نبرة مغايرة لنبرة القوة. بالطبع الفروقات موجودة، لكن كما توجد فروقات بين كتابة رجل ورجل، توجد فروقات بين كتابة الرجل وكتابة المرأة. هذا لا يعني بأن هناك نوعاً معيناً من الكتابة خاصاً بالرجل، ونوعاً معيناً للكتابة خاصاً بالمرأة. أنا ضد هذا التقسيم. أقول كتابة واحدة لا يجوز التمييز بين كتابة الرجل والمرأة، إلا بالمستوى الفني والإبداعي.

لا جنس للكتابة خارج نفسها ـ رؤية ولغة، جمالاً وقوة.

س: لماذا تمزق التاريخ العربي بجسد المرأة؟ وكيف تصد شهرزاد عنها اليوم سيف الكلام؟

ج: المرأة هي التي تعرف أن تجيب عن هذه الأسئلة، ينبغي على المرأة أن تقلع الشوك من حقل حياتها، بيديها، هي، وبعملها هي. المرأة الآن في المجتمع العربي موجودة "بالقوة"، "بالإمكان" وهي القادرة على أن تحول وجودها هذا إلى وجود بالفعل. طبعاً بتعاون وثيق وحميم مع الرجل، لا ضده، كما تفعل بعض النزعات النسوية المتطرفة.

س: *"لا بد للمرأة من أن تبتكر اسماً آخر لما يقال له الواقع، ولما يقال له الوهم.*

لا بد من أن تصنع سفناً ومراكب للحب تطلقها دون ربابنة ودون أشرعة في أمواج الحبر واللون" [122]

هل يمكن للمسمار الإبداعي الأنثوي أن يفتح برزخاً أو نفقاً في جبل الذكورة، مع تقدم المد الأصولي؟

ج: طبعاً. وعليه أن يفعل ذلك. إلى ما لا نهاية.

س: "اتركوا النساء يرسمن دروب شهواتهن، واتركوا الرجال لاقتفاء الرسوم"[123]

هل تؤيد شجاعة وجرأة بعض النساء في طرح قضية المرأة : نوال السعداوي مثلاً، أو مليكة مقدم، وغيرهما من الروائيات والكاتبات العربيات؟

ج: طبعاً. والتحية لهما ولأمثالهما.

س: يقول شحرور أن الإسلام، قص شريط تحرير كل من العبيد والمرأة. لكنه يحيل أسباب عدم تحرر المرأة، مقارنة مع تحرر العبيد، إلى أن مفاهيم العرض والشرف، كانت متأصلة في مجتمعات ما قبل الإسلام، ما تعليقك؟

ج: علينا أن نسأل المؤسسة الدينية، والدولة، والفهم السائد للإسلام.

س: قلت في إحدى مقابلاتك، بأنك كنت ستضيف موضوع المرأة إلى كتاب الثابت والمتحول، في ما لو قيض لك إعادة كتابته بعد أكثر من أربعين عاماً على صدوره، وهذا ما لم تذكره في كتابك "محاضرات الإسكندرية" حيث تحدثت عن بعض الإضافات. ما الذي يمكن أن تضيفه فيما يتعلق بالمرأة؟

ج: هذا من أسرار الكتابة.

س: هل نستطيع إسقاط علاقة الشرق بالغرب على علاقة الذكورة بالأنوثة؟

ج: حتى لو استطعنا، فسوف يكون ذلك "إسقاطاً" كما تقولين، أي من خارج المسألة.

obeikandl.com

على الإنسان أن يصنع بركانه الخاص

س: *"أوه هل أصبحت الحياة نفسها*

ملفاً رقمياً؟" [124]

هل المعرفة الغزيرة المتيسرة للجميع في الإنترنت، وغيره من وسائل الاتصال، تنتج شعراء عظاماً؟

ج: كلا. الإنترنت والكمبيوتر، والعالم الإلكتروني الجديد بالمجمل صنع ثورة تواصلية مهمة جداً. لا أنتقدها في ذاتها. يمكن أن أنتقد طرق استخدامها. أنا شخصياً لا ألجأ إلى الإنترنت والكمبيوتر إطلاقا. أحياناً يرسل لي أصحاب المواقع الإلكترونية مقالات رديئة، لا يعرف أصحابها أن يكتبوا جملة واحدة. الإنترنت، مع الأسف، مليء بمثل هذه الأمور. الإنترنت إنجاز عظيم يساء استخدامه.

س: أصبح حاجة ضرورية.

ج: صحيح. وهو، كما قلت ثورة في طرق التواصل، لا مثيل لها. ثورة عظيمة جداً، يمكن أن يستفاد منها. لكن من يستخدمها وكيف وماذا يقول؛ تلك هي المسألة.

س: هل سيساهم في رفع المستوى المعرفي للجيل؟

ج: لا أعرف. أظن. إذا حكمنا على ما يجري، إذا حكمنا على الواقع،

يمكن أن يفيد أشخاصاً كثراً في ما يتعلق بالتوثيق، بتخفيف الجهد للوصول إلى المصادر. الإنترنت آلة مهمة جداً، دون شك، لكن في التحليل الأخير ليست المسألة في الآلة، بل في كيفية استخدامها. أما ما مستقبل هذه الآلة؟ لا أعرف.

س: هل كانت مساهمة الإنترنت في إسقاط بعض الأنظمة العربية موفقة برأيك؟

ج: لا أعرف.

س: هل ساهم العلم إلى جانب الدين في عرقلة عودة البراءة الديونيزيسية وإبداعاتها؟

ج: أكيد كان لكليهما دور - غير أن هذين الدورين مختلفان، وسيلة وهدفاً.

س: *"الإنسان نتاج لا من الطين لا من القردة، بل من الخبز."*

ألا تؤمن بالدارونية؟ ما هو أصل الإنسان برأيك إذا؟

ج: لست عالماً. لكنني لا أومن بنظرية الخلق المستقل.

س: *"ليس الماء، إذا،*

لغة في الظمأ والريّ،

بقدر ما هو لغة في السر،

وفي الكشف عن السر" [125]

obeikandl.com

"الحياة تشكلها الغيوم المتصاعدة من بحيرة الشعر".

هل الماء هو أصل الحياة *"وخلقنا من الماء كل شيء حيّ"* ؟

ج: الماء بوصفه أصلاً للحياة موجود في جميع الأساطير. الماء أصل الوجود. هذه مسألة معروفة علمياً وكل الكائنات الحية جاءت من الماء. بدون ماء، العالم عدم. لماذا الكواكب التي لا ماء فيها، مجرد حجارة، ومجرد غبار؟ لماذا تختلف الأرض عن بقية الكواكب؟ بسبب وجود الماء فيها.

س: *"أوه، متى يتلقح هذا الزمن بغدد*

فجر آخر؟" (126)

"متى ستوسوس للشاعر لكي يضع أخيراً طعمه الهرموني حول سرَّة السماء؟" (127)

يركّب الشاعر دواء الحياة، فكيف يتلاعب بكيمياء الوجود؟

ج: الكيمياء التي هي لعب بالعناصر، وتحويل بعضها إلى بعض. وهي من الوسائل التي ابتكرها الإنسان العظيم، حتى يلعب بالعالم بدلاً من أن يلعب به العالم. الإنسان هو الذي يلعب بالعناصر، وهو لا يلعب فقط، وإنما يحول المادة إلى مادة أخرى.

س: ألا تغير الطبيعة في كيمياء الأرض؟ البراكين. الزلازل ..

ج: تقوم الطبيعة بذلك بمفردها. على الإنسان أن يصنع بركانه الخاص، كي يتعمق إحساسه بالوجود، وإحساسه بطاقاته. وإحساسه بأنه ليس ذرة عابرة في الكون. هو أيضاً يؤثر في الكون.

س: *"وهل ستكتب، إذاً، سياسة*

الكيمياء معجماً آخر لولادات أخرى

وطبائع ثانية؟" [128]

"لم يعد الثمر في حاجة إلى الفصول:

الاحتمال طفرة في شريان كل شيء" [129]

هل تؤيد الاستنساخ بالمطلق؟

ج: كلا. ضده، جوهرياً.

obeikandl.com

كل من يريد الإصلاح،

يتنازل عن التفكير وعن حرية التفكير

س: *"في ظل أبي، عرفت تاريخنا في حالات الفرح وحالات الحزن ... اليوم أشعر أن لتاريخنا بشرة صماء، وليس في الدم الذي يهدر وراءها غير البكاء والأنين ... سر أمامنا أيها الشعر، الرحيل يفتح ذراعيه كأنه في جسدك جسد آخر."* (130)

كيف استطعت أن تثبت على مسارك الفكري والشعري، الذي ابتدأته مبكراً، منذ الثابت والمتحول الذي لا يزال محتفظاً بنضارته، أنت لم تغير وجهة نظرك كما غيرها آخرون. ما هي الأسباب والظروف التي مكنتك من شق طريقك بكل هذا الثبات.

ج: هؤلاء حولوا فكرهم إلى العالم الإصلاحي، وكل من يريد الإصلاح، يتنازل عن التفكير وعن حرية التفكير. لا أقول يتنازل، يمكن أن تكون الكلمة قوية. وإنما يرجئ حرية التفكير. وإذاً يجب أن ننظر إليهم الآن، بوصفهم مصلحين اجتماعيين وسياسيين . قلتُ لكِ وأكرر: بالنسبة للمجتمعات العربية والمجتمعات العربية الإسلامية، لم تعد المسالة مسألة إصلاح. لأن الإصلاح جُرِّب بكيفيات مختلفة وعديدة، منذ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومن سار مسارهما، ورأينا الاتجاه الإصلاحي إلى أين أوصلنا. المسألة الآن نظرياً هي مسألة إعادة تأسيس، لا مسألة إصلاح.

س: ما العوامل التي ساعدتك على بلورة أفكارك في وقت مبكر؟

ج: لا أعرف. هكذا رأيت نفسي. وهكذا سأستمر. لديّ هاجس أن ما نريد أن نصل إليه قد يكون مجرد حلم. قد يكون مجرد طموح. لكن لا أستطيع أن أتوقف عند حاجز ما، أو عقبة ما، أو رؤية إصلاحية ما، لأن السياسة لا تهمني إطلاقاً، إلا بوصفها تتويجاً لعمل تأسيسي على الصعيد الاجتماعي والثقافي. الأخوة الآخرون ربما يهمهم الوصول إلى السلطة أو تغيير النظام، وهذا لن يجدي شيئاً بحد ذاته إطلاقاً.

س: تقول: *"هكذا أعترف أنني أحياناً أضعف، ويغريني التراجع".*[131] لكنك لا تلبث أن تجيب: " لن أخون هذا الوعد، وسوف أتابع نضالي ضد أي إغواء بالراحة".[132] هل تتبرأ يوماً من أعمالك، كما فعل آخرون، أم أنك مصرّ على طرح "الأسئلة التي تحاربها الأجوبة؟"[133]

ج: أظن أنني سأزداد توغّلاً في غابة الأسئلة.

س: كتب د. عبد النبي اصطيف، رئيس الهيئة العامة السورية للكتاب سابقاً مقالاً عاب فيه على نقادك عدم مبادرتهم إلى مناقشة أية مسألة واكتفائهم بإطلاق التهم، وأضاف: *"أدونيس لا يميز بين مفهومين يستعملهما في حديثه وكأنهما مترادفان، وهما الحضارة civilization، والثقافة: culture، وثمة إجماع لدى دارسي الحضارة الإنسانية ومؤرخيها على أن هذه غير تلك".*

ج: ربما. موقف لا أعترض عليه. أين كتب المقال؟

- في مجلة الموقف الأدبي.[134]

- هل أستطيع أن أطلع عليه؟ - بالطبع.

- أرسليه لي إذا سمحت. وحين أقرؤه سأقول رأيي. استخدمت الكلمة "حضارة أو ثقافة" بمعنى الطاقة الخلاقة عند العرب، لا بمعنى الكتب واللغة والمؤلفات والشعراء. كيف ينقرض مثلاً الفارابي وابن سينا وأمثالهما. هؤلاء لا ينقرضون.

س: ماذا ترد على وزير الثقافة السوري السابق الذي أشاد بفكرك وشعرك، إلا أنه عاب عليك تصريحاتك حول انقراض الثقافة العربية، وعدم استثمارك الحظوة التي تتمتع بها في الغرب لصالح بلدك وأمتك؟

ج: سأفكر في الأمر.

س: إلى أية درجة يحمّل أدونيس عناوين كتبه دلالات متونها؟

ج: لم أطرح على نفسي هذا السؤال.

س: يلاحظ أن كلمة "كتاب" تتردد في عناوين كتبك.

ج: صحيح. هل في ذلك خطأ؟

س: هل نشرت القصيدة التي ألقيتها أمام رئيس الجمهورية شكري القوتلي؟ هل تتذكر منها شيئاً؟

ج: نشرت في حينها. ولا أذكر منها إلا نصف بيت. كنت عندما كتبتها في الثالثة عشرة من عمري.

س: ما هي كلمات النصف بيت؟

ج: *" فأنتَ لنا سيفٌ ونحن لكَ الغِمدُ"*

من يقول لأدونيس من هو؟

س: إلى صحيفة الوطن السورية تحدثتَ عن تصحيح الموقف الذي اتخذه ضدك اتحاد كتاب سوريا، وذلك بصدور بيان اعتذار إليك.[135]

هل تنتظر اعتذاراً يصدر عن اتحاد الكتاب ... أم أنك تنتظر اعتذاراً من جهة عليا تليق بمكانتك الشعرية العالمية؟

ج: يعتذر من ارتكب الخطأ، أياً كان.

س: *"كان النهار قفصاً وكان الضوء يتأوّه، غير أنني كنت أتعلم كيف يكون البكاء أحياناً حبراً للفكر."*[136]

ويقول نيتشه: *"الفلسفة التي لا تُحزن لا تؤثر بأحد."* كيف يؤثر الحزن في صياغة الأفكار وفي صنع القرارت المصيرية، كيف يحايث الحزن القوة؟

ج: الحزنُ هو نفسه " قُوَّة" خابت. ولا يظهر إلا تعبيراً عن هذه الخيبة. لكن الخيبة ليست نهاية.

س: *"شغفي مليء ببذار يخرج خفية من هيراقليطس ونيتشه، ذلك أن في أحزاني شيئاً من ورق الغار، وأن بين كتفي شراعاً .."*[137]

يختلف ألمك كثيراً عن ألم الآخرين: دي موسييه، شيلر ..

ج: الألم عند دي موسييه، وشيلر، ألم خاص بهما. ألم رومانطيقي إجمالاً. ألم العذاب وألم قسوة العالم عليهما. الألم عندي ألم المزيد من

الكشف، والمزيد من المعرفة. ليس ألماً شخصياً. ألمي ألم كوني.

س: شعرت بالنفي عندما تخليت عن اسمك الحقيقي "علي"، وشعرت به داخل اللغة، ما هو المنفى الذي حرضك أكثر على الإبداع منفى اللغة، أم منفى البيت ـ الوطن؟ وهل يتمدد مفهوم الحنين ـ النوستالوجيا، لديك، للبيت ـ الوطن على حساب مفهوم المنفى، مع التقدم بالعمر؟

ج: حيث لا يقدر الخلاق أن يقيمَ ويستقر ويطمئن، فهنالك منفاه. لهذا كانت اللغة المنفى الأعظم، والأكثر فِتنة.

س: *"أعيش غريباً*

كديوجين في برميل

أو سمعان فوق عمود." (138)

أين تشعر بغربتك أكثر في الغرب، أم في بلدك؟ ألا يغيب إحساسك بالغربة لدى الاحتفاء الكبير بك في الغرب؟

ج: الغربة حالة نفسية يعيشها الفرد في أي مكان ، سواء كان في وطنه أو خارجه.

س: لماذا تتذكر شخصية هاملت كثيراً؟

"مهلاً، أيها الرفيق كونفوشيوس،

لماذا تذكرني بهاملت، هذه اللحظة؟ (139)

"ماذا لو موهت نفسي إذاً؟

وقلت إنني شبح هاملت؟" [140]

"والآن، أنصح نفسي بصوت عال

أمام هاملت:

لأكن حكيماً" [141]

ج: ربما لأنني أشعر أنه جزء مني، أو أنني مسكون به.

س: *"سافر الورق في حبر الأسئلة،*

سافر الحبر في الصوت،

أين ستسافر أيها الصوت؟

"أنت أيها المرتحل، العارف لؤلؤ المسافات،

أنت أيها العابر الذي يستمسك بعروة الريح،

قل لي من أين جئت ومن تكون؟" [142]

تصنف أنكَ شاعر كبير، ومنظّر عظيم لمستقبل الشرق والعالم، وآراؤك تقع في مركز الثقافة العربية، لذا لقبت ببطريك القصيدة العربية. وإن بعض منتقديك يصرحون بذلك. لكنني بدوري أسألك من أين جئت ومن تكون؟

ج: هذا سؤال يشغلني إلى درجة أنني قلت في إحدى قصائدي: *"من يقول لأدونيس من هو؟"* هذا جوابي. أنا لا أعرف. أنا أبحث وأسأل، لعلني أجد جواباً في المستقبل. قبل أن أموت.

س: عمر طويل. لكن ألهذا تشعر أنك لست مقيماً في القرن الحادي

obeikandl.com

والعشرين، وأنك مهاجر فيه؟

ج: ربما.

س: *"لا يحب نرسيس أن يقيم إلا في المرآة:*

لا يحب أن يكون له مكان غير اللامكان.

الحجر الذي رميته في النبع لم يسقط فيه، بل سقط بين أهدابك" [143]

- أُطلقت صفة النرجسية على العديد من الشعراء: المتنبي، أبو العلاء المعري، نزار قباني .. وأنت صرّحت في جريدة الحياة أنك نرسيس الآتي من المستقبل.

لكنك شرحت إن ما نسميه الأنا في الشعر هي دائما اللا أنا. [144]

ج: لكن ما أسطورة نرجس؟ نظر نرجس إلى وجهه في الماء. فرأى نفسه جميلاً، وأحب نفسه. ثم انبثقت زهرة النرجس.

أخذوا من هذه الأسطورة، أن كل إنسان يعنى بنفسه، بشخصه، بتربية نفسه، يدعى نرجسياً. أنا بالمعنى الأسطوري لست نرجسياً إطلاقاً. أنا أول شخص يثور على نفسه ويثور على منجزاته. وعالمي لا يتجه إلى الداخل. داخلي أبعثره في العالم لكي أجد مسوغاً لوجودي، لحياتي في هذا العالم. وإذا لا أمركز الوجود كله في ذاتي، وإنما أبعثر ذاتي في الوجود كله. نرجسية معكوسة.

الأستاذ الغذامي مثلاً، فهم أن الأنا التي أتكلم عنها، هي أنا نرجسية. بينما الأنا في سياق القصيدة ليست أنا الفرد. ليست الأنا الخاصة بشخص

اسمه أدونيس. إنها أنا ذات بنية وجودية في المجتمع العربي. يمكن أن يكون الأستاذ الغذامي جزءاً من هذه الأنا.

س: *"أسوة بفن البوب، رسماً وموسيقى، رقصاً وغناء، أميل إلى الظن أن الشعر العربي الذي يكتب، اليوم، سيؤرخ له بوصفه شعر البوب العربي."* [145]

أنت ترفض الآبائية، وتستنكر كون الابن عندنا أباً بالولادة. مع ذلك تُتهم بأنك تمارس الآبائية على بقية الشعراء، الذين انتقدت بعضهم مؤخراً في صحيفة الحياة.

ج: لكن النقد لا يعني الأبوة. هذه مجرد وجهة نظر. لا تصدر عن أبوة . وإنما تصدر عن ملاحظة قارئ. إذا كان الآخرون يرون في نقدي كلاماً أبوياً. فهذا شأنهم. أما أنا فلم أمارس أية أبوة، بل على العكس. كنت في حياتي العملية، خصوصاً في مجلتي "شعر" و"مواقف"، أرجئ أو أقصي نشر قصائد الشعراء المتأثرين بي. كنت أحاول الاتصال بهم لكي يغيروا ويعدلوا، حتى يذهب تأثيري ..

طبعاً هؤلاء كلهم أصبحوا الآن ضدي، وحسناً يفعلون.

س: ثمّن البعض استعدادك لتحمل مسؤولية الانحدار الثقافي العربي، ووصفه بالشجاع، خلافاً لذرائع البعض. [146]

هل تعزو سبب هذا الانحدار إلى تباين وجهات نظر المثقفين العرب، بالنسبة لمصطلحي الثابت والمتحول، وبالنسبة لكيفية استخدامهم لأسلحة البهاء الغامض؟

ج: لا بدَّ من سياسة ثقافية شاملة تقوم أساساً على الحرية، لا تمارسها الدولة وحدها، وإنما تمارسها كذلك مؤسساتها التعليمية والتربوية والجامعية، وتمارسها كذلك منظمات المجتمع المدني.

س: تحدثت بأن *"الكتاب هم أسوأ طبقة"* [147]

أليس هذا تجنياً على الثقافة بالمجمل، أم أنك تؤكد ما ساقه لينين عن انتهازية الإنتلجنسيا؟

ج: أكرر أنهم، إجمالاً، الطبقة الأكثر سوءاً، خصوصاً أنهم، كما يفترض، الأعلى فهماً ومعرفة، وإذاً، الأكثر مسؤولية.

س: لقد تنبأ الروائي "ميلان كونديرا" بموت الرواية بمعناها التقليدي. وقبل ذلك تنبأ "مارتن هايدغر" بموت الفلسفة. هل نعيش عصر النهايات، إيذاناً بفتح جديد؟ وهل ستكون القيادة للشعر أيضاً؟

ج: في كل حال، سيكون الشعر في بؤرة هذا الفتح. وآمل ألا يكون وحيداً.

oberkanal.com

شخصياً كنت محظوظاً

كانت المصادفات إيجابية بالنسبة إلي

س: كثيرةً وإيجابية هي المصادفات في حياتك: زيارة رئيس الجمهورية إلى منطقتك. انتسابك للحزب السوري القومي الاجتماعي. عثورك على المجلة التي قدمت لك أسطورة "أدونيس"، وعلى كتاب النفري "المواقف والمخاطبات" الذي أوحى إليك بفتح آفاق جديدة للشعر العربي. دخولك إلى لبنان، ثم استقرارك في باريس ..

ج: صحيحٌ أن حياتي سلسلة من المصادفات، التي ساعدت على فتح مجالات كثيرة أمامي. هذه المجالات ساعدتني على ممارسة حريتي ممارسة شبه كاملة، ووضعتني في ظروف علاقات أتاحت لي أن أكتب أشياء، أو أنتج ما كان تقريباً غير ممكن في ظروفي السابقة. إن ظروفي المتغيرة نوّعت في إنتاجي. وأعتقد بأنها أغنتني، وفتحت لي أبواباً جديدة في الوسط الاجتماعي، والوسط الثقافي. وهذه ظروف ضرورية لمن يكتب.

العلاقات في البلدان العربية علاقات رتيبة، وظيفية، مصلحية، لا تتيح دائماً البحث في جميع الموضوعات بحرية.

أفاجأ دائماً بمخطوطات كتبها شبان. أفاجأ بالمواهب الكبيرة المهمشة المطموسة، التي لا يتاح لها أن تفصح عن نفسها بحرية، لسبب أو لآخر.

لذلك، تغير الظروف، وتغير الأوضاع، والانتقال إلى مكان آخر، يساعد الإنسان على اكتشاف نفسه بشكل أعمق. والوسط الذي يكتشفه يعطيه دوافع جديدة، ليكتشف ظروفه وبيئته بشكل أوضح. شخصياً كنت محظوظاً. كانت المصادفات إيجابية بالنسبة إلي. وأنا مدين لها كثيراً.

س: إلى أية درجة تتسبب الإعاقات والموانع، في زاوية انحراف مسار الموهبة لدى المرء؟

ج: لا شك بأن بعض الظروف تسبب انحرافاً في مسار الموهبة، إيجاباً أو سلباً. لكن لكل حالة شأنها الخاص.

س: اعتبر إدوارد سعيد بأن "ميشيل فوكو" هو أعظم تلامذة نيتشه، هل يمكن اعتبارك أعظم تلامذته العرب؟

ج: أنا متأثر بنيتشه، وأعده مفكراً عظيماً، غير أنني أؤمن بالتأثر لا بالتتلمذ.

س: يقال بأن رفض "نيتشه" لبعض المفاهيم السائدة عن العقل والإنسان والتقدم، استقاه من "شوبنهور" وأنت لم تخف تأثرك به، وحين قرأتَ لوركا زُرع في رأسك كوكب جديد، أين يجب أن يتوقف التماهي مع كاتب آخر؟

ج: لا يجوز التماهي. التماهي إمحاء. المهم هو التفاعل والانفتاح. فلا إبداع دون تفاعل وانفتاح.

س: *"هل الوفاء للأفكار أم لتوليدها؟"* [148]

تأثرت بكل من نيتشه ولوركا والنفري. هل تعتبر نفسك موّلداً لأفكار هؤلاء؟

ج: نحن أخوة في رَضاعَة الكون.

س: على العكس من ذلك كتب "بيير باير" عن "السرقات الأدبية عن استباق" حيث لاحظ حضور رامبو مثلاً في أعمال بودلير، وحضور فكر فرويد في أعمال نيتشه، وتأثير ت. س. إليوت في عمل شكسبير..

ج: الفكر والشعر. مثل الأواني المستطرقة. الماء الموجود في هذا الإناء موصول بالماء الموجود في الإناء الآخر. الفكر حركة سيّالة، مثل الهواء. نتنفس جميعاً الهواء نفسه المليء بالآراء والأفكار. لكن المهم ليس ماذا نأخذ، المهم كيف نحول، كيف نهضم ما أخذنا. لا أحد يبتكر شيئاً من العدم. لكن هذا الموجود تعاد صياغته وفقاً للتجربة الخاصة لكل شاعر. لذلك ليس مهماً وجود جملة هنا، وجملة هناك، ومن قال قبل فلان. المهم هو السياق.

نقول هذا الشاعر أعطى لهذا الفكر سياقاً مختلفاً. أو هذا الشاعر أعطى للحب صفات جديدة. الحب عند بودلير شيء والحب عند غوته شيء آخر. الاثنان تكلما عن الحب، لكن لا أحد يحلم كالآخر، ولأنه لا يحلم لا يحب كالآخر. فإذاً ليس المهم أن نتكلم عن الحب مثلاً، المهم هو أن يتكلم الشاعر عن تجربته هو. عن حبه هو.

س: هل سرق الأولون من شعرك؟ المتنبي أو نيتشه مثلاً؟

ج: مبتسماً ـ لا. أنا من أخذت منهما.

س: يقول نيتشه *"أنا مخترع علم نفس الكاهن"* ، فهل تعد نفسك مخترع "علم نفس الفقيه"؟

ج: لا أعرف. ربما.

س: تسأل: هل للطيور أسرار خارج أعشاشها؟ هل استطعت حماية أعشاشك الإبداعية عن بنادق الصيادين؟ وهل خبأت أسرار بعضها خارجاً؟ يقول نيتشه: *"كل شيء عميق يحب القناع"*.

ج: أحب أن أحيا وأن أظل كمثل ينبوع في الهواء الطلق، مفتوحاً للجميع.

س: معروف عنك الجرأة والصراحة. هل تؤيد مع ذلك، أشكال التواصل السرية مثل التقية والرمز والعدد والإشارة، على طريقة بعض المتصوفة؟ وهل الضن بالحقيقة على غير أهلها وارد؟

ج: طبعاً. *"لا تطرحوا جواهركم قُدّام الخنازير.. إلخ"* ، يقول المسيح.

س: متى تطبق قول المسيح، ومتى تحيا مثل ينبوع في الهواء؟

ج: أحاول أن أكون كذلك في كل لحظة من حياتي.

obeikandl.com

لا تستأذن الشمس أحداً لكي تشرق

س: مفتاح كتابك "الكتاب" ليس موجوداً في أي من غرف هيكله المعماري، الذي قسمته إلى غرف. وإنما هو موجود في غرفة جامعة.[149]

أين هو مفتاح أدونيس، في الشعر أم في الفكر؟ في البيت أم في المنفى؟

ج: في هذه جميعاً.

س: هل لديك طقس محدد للكتابة؟

ج: لا، ليس لدي أي طقس. حياتي كلها كتابة، الطّقس يحدّد ويحجّم. لا أحب أن أتقيد بشيء.

س: هل تمكنت من نشر ترجمتك لدفاع رشدي عن كتابته لرواية " آيات شيطانية"؟

ج: كلا، مع الأسف.

س: على من تعوّل؟

ج: كيانياً، لا أعوّل على أحد، حتى على نفسي.

شعرياً، أعوّل على نفسي.

س: يقول جيل دولوز: *"معروف أن النازيين أقاموا مع أعمال نيتشه علاقات ملتبسة، لأنهم كانوا يحبون أن ينسبوا أنفسهم إليها، لكنهم كانوا يعجزون عن ذلك*

obeikandl.com

من دون بتر استشهادات، وتزوير طبعات." [150]

ألا تخشى أن يقوم الصهاينة باجتزاء بعض من أعمالك، من أجل توظيفها لمصلحتهم؟

ج: نعم، أظن أن بعضهم قام بذلك. قد تُقرأ أعمالي قراءة غير صحيحة، وتفسر تفسيرات خاطئة، لكي يمكن توظيفها في ما يذهب إليه قرّاؤها.

وقد تؤخذ جمل من هنا وهناك، معزولة عن سياقها وتفسر تفسيراً آخر.

بعض العرب يقومون هم أيضا بقراءات لأعمال لا تشوهها فقط، وإنما تزوّرها أيضاً.

س: ماذا تنصح جيل الشباب الراغبين بإحداث منبر ثقافي جديد، مع سلسلة التناقضات بين الفكر الديني والفكر الشعري، في مستويات المعرفة، والحقيقة، والتعبير، التي تحدثت عنها في كتابك "محاضرات الإسكندرية"؟ [151]

ج: لا تُطلب الحرية، بل تُؤخذ: "بدهية" يعرفها الجميع. لا ينتظر المبدع من الشعب أو من الدولة شيئاً. الشعب هو الذي ينتظر. والدولة هي التي تنتظر. المبدع كالشمس: لا تستأذن الشمس أحداً لكي تشرق.

س: تقول: *"الحياة كتاب:*

في الفرح، يقرأ من الياء إلى الألف.

في الحزن، يقرأ من الألف إلى الياء." [152]

كيف يقرأ أدونيس حياته الشخصية، والراهن العربي؟

ج: حياتي الشخصية فضاءٌ أحاول أن أقرأه، باستمرار. والراهن العربي شيء آخر قرأته مراراً. وهذه القراءة مبثوثة في كتبي جميعاً.

س: لماذا يكتب الكاتب برأيك؟ هل يشعر بأنه مُدان تجاه الوجود؟

ج: لكلٍ رأيه. بالنسبة إليّ، أكتب لكي أزداد فهماً لنفسي وللعالم. ولكي أحسنَ، باستمرار، الحياةَ وفنَّ الحياة.

س: تحطُّ الكلماتُ فوق يديّ بعض الكتاب، في ما يجهدُ آخرون في مطاردتها. هل يؤثر ذلك على إنتاج الكاتب؟

ج: طبعاً.

س: هل تعتقد أن الأجيال القادمة سوف تعتمد كتابك "الكتاب"، الذي قرأت فيه التاريخ العربي، من خلال شخصية وشعر المتنبي؟

ج: أعتقد أنني طرحت في هذا الكتاب أفكاراً وتصورات. لا بد من أن يكون لها تأثيرها الفاعل على الأجيال الآتية.

أظن بأنه سيأتي أشخاص يفسرونها تفسيراً صحيحاً. وأعتقد بأن هناك أشخاصاً قد بدؤوا ذلك.

س: هل تتنبأ بأن يكتب أحدهم في شعرك وفكرك "كتاباً" يشابه ما كتبته عن المتنبي، لتتم قراءة هذا العصر من خلال قراءتك له؟

ج: لا أعرف. لكنني آمل.

س: *"لماذا ـ في الواقعي أجد مخيلتي،*

وفي اللاواقعي، أجد نفسي؟"

هل تتساوى فرحة إيجاد النفس مع فرحة إيجاد المخيلة؟

ج: ربما.

س: ينتظر القارئ العربي صدور سيرتك الذاتية. هل أنجزت منها شيئاً؟

ج: بدأت بكتابتها. لكن لا أعرف متى أنتهي.

س: إذا طلب منك أن تلون مراحل حياتك العمرية كما فعل البعض، هل تفعل؟

ج: لم أكتمل بعد. لا أزال في البداية.

س: *"حتى الآن، أيها الشعر،*

لم تفتح لي أية نافذة

على ذلك المجهول الذي تعد به." (153)

أي مجهول تنتظره من نافذة شعرك، التي أطلت منها علينا أخيلة وعود كثيرة في الحب واللغة والثقافة والفلسفة والسياسة؟

ج: المجهول الذي يقودنا إلى مجهول آخر.

س: في القاهرة وشوشك شعرك أمام نفرتاي: *"لا أريد أن أنتصر بعد الآن، لقد شيختني انتصاراتي"* (154)

وقد صرحت: *"اعتقد أن الدورة وبكل تنويعاتها اكتملت عندي شعرياً. وبهذا الكلام الذي سأقوله وبالكتاب الذي سأكتبه والذي سيكون خاتمة كتبي سأقول آخر ما لدي في*

إطار تجربتي الشعرية." [155]

هل بمقدورك اعتزال الكتابة؟

ج: اعتزال الكتابة؟ لا. لكن اعتزال نوع معين من الكتابة؟ نعم.

س: ما مشاريع أدونيس الجديدة؟

ج: كثيرة، غير أنها جميعاً لم تكتمل بعد.

س: هل ترسم منذ الصغر؟ وهل تلون قصائدك بألوان تفضلها؟

ج: رسمت متأخراً. لست رساماً. لا أزعم أنني رسام بالمعنى الكلاسيكي.

س: احتفتْ بأعمالك منتديات كثيرة، ومؤخراً عُرضت أعمالك في قصر الثقافة في أبو ظبي، وفي القصر الملكي في إيطاليا مع عدد من الرسامين والشعراء العالميين.

ج: أقوم بتنفيذ أشياء مختلفة أسميها رقائم، وقد لاقت قبولاً من قبل الكثيرين في الغرب، وأحبوا أن يكرموني.

س: كتبت مبكراً، ورسمت متأخراً، هل للموهبة سن محددة؟

ج: الفنان كالعاشق لا عمر له.

س: *"وول ستريت ـ*

حدث كوني،

يتدرب العالم في جوفه،

على التهام اللحم النيء" [156]

ما علاقة الأزمات المالية بالنزاعات بين البشر؟

ج: لست خبيراً في هذه المسألة. لا أتحدث إلا في ما أثق أنني أعرفه.

س: *"أنتِ المرأة الغائبة هذه التي ترافقني. من أنتِ؟*

"أمامك ثمانون سنة ـ أنا. وانظري إلى سكين التاريخ كيف تحزها وتنغرس فيها. هل تسمعين صدى ضرباتها؟

حاولي أن تخترقي تلك الغيمة التي تغطيها. حاولي أن تقرئي الخطوط التي رسمها نرد الأيام وهو يتدحرج عليها" [156]

هل تخبو جذوة الحب مع التقدم بالعمر؟ هل تصبح أكثر وجدانية؟

ج: الزّوال من طبيعة الأشياء. وإلا كيف تتجدد الحياة؟

س: تستمع لأم كلثوم، وفيروز، ما الفرق بين صوتي المطربتين الكبيرتين؟

ج: تربطني أم كلثوم بأعماق، بينما تربطني فيروز بأبعاد.

س: ما رأيك بصوت نجاة الصغيرة؟

ج: لا أعرفه جيداً لكي أقول فيه رأيي.

س: وصوت محمد عبد الوهاب؟

ج: كذلك لا أعرفه جيداً.

س: *" عند موتي*

obeikandl.com

احملوني، كأني كتاب

وضعوا كتبي عند رأسي

وادفنونا معاً

لغة الشيء، أنقى، وأبقى

والتعاليم لَغْوٌ" (158)

لست أدري إن كنت ستجيبني عن أهم أمنياتك.

ج: هي ألا ينهيني الموت، قبل أن أتوّج حياتي بالإنجاز الذي أحلم به وأعمل له.

ـ أمد الله في عمرك. أتمنى أن تنجز ما تحلم به.

لا ينتهي الحديث عن منارة أديبنا الكبير أدونيس ، التي احترفها الشعر ضوءاً مشرقياً، لكي يواصل قيادته للعالم".

"لا كتاب. خطواتي كتابي، لغتي خطواتي. كل سطر بلاد

أتفحص أنحاءها عشبة عشبة" (159)

الهوامش

1- أدونيس - أبجدية ثانية، ص (179).

2- المصدر السابق ـ ص (30).

3- المصدر السابق ـ ص (189).

4- أدونيس - فضاء لغبار الطلع ـ ص (98).

5- أبجدية ثانية ـ ص (29).

6 - أدونيس - أشجار تتكئ على الضوء ـ ص (60).

7- أبجدية ثانية ـ ص (177).

8- المصدر السابق ـ ص (16).

9- المصدر السابق ـ ص (207).

10- المصدر السابق ـ ص (209).

11- أدونيس - محاضرات الإسكندرية ـ ص (85).

12- أبجدية ثانية ـ ص (182).

13- فضاء لغبار الطلع ـ ص (122).

14- أبجدية ثانية ـ ص (104).

15- أدونيس - الكتاب الخطاب الحجاب ـ ص (62).

16- جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، ص (197). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ط2، 2001 .

17- فضاء لغبار الطلع ـ ص (64).

18- المصدر السابق ـ ص (85).

19- الكتاب الخطاب الحجاب ـ ص (60).

20 - إرادة القوة، القسم الأول ص (390) عن كتاب نيتشه والفلسفة ـ دولوز ـ ص (200).

21- أدونيس- رأس اللغة جسم الصحراء ص (180).

22- المصدر السابق - ص (115).

23- أدونيس - ليس الماء وحده جواباً عن العطش ـ ص (33 ـ 34).

obeikandl.com

24- الكتاب الخطاب الحجاب ـ ص (112).

25- محمد شحرور ـ القصص القرآني ـ ص (282).

26- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (54).

27- المصدر السابق ـ ص (55).

28- ليس الماء وحده جواباً عن العطش، ص (129 ـ 131).

29- زار البابا جبل "نيبو" في الأردن ـ بتاريخ 9\5\2009 .

30- فضاء لغبار الطلع ـ ص (120).

31- محاضرات الإسكندرية ـ ص (56).

32- إرادة القوة، القسم الرابع ـ ص (580)، عن: نيتشه والفلسفة ـ جيل دولوز ـ ص (0 ـ 183)

33- فضاء لغبار الطلع ـ ص (127).

34- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (205).

35- فضاء لغبار الطلع ـ ص (60).

36- محاضرات الإسكندرية ـ ص (15).

37- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (191).

38- محاضرات الإسكندرية ـ ص (8 ـ 9).

39- المصدر السابق ـ ص (16).

40- فضاء لغبار الطلع ـ ص (13).

41- محاضرات الإسكندرية ـ ص (166).

42- فضاء لغبار الطلع ـ ص (85).

43- ما وراء الخير والشر ـ ص (251). عن: نيتشه والفلسفة ـ جيل دولوز ـ ص (164).

44- الكتاب الخطاب الحجاب ـ ص (46).

45- جيل دولوز، نيتشه والفلسفة ـ ص (43).

46- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (113).

47- المصدر السابق ـ ص (72).

48- الكتاب الخطاب الحجاب ـ ص (16 ـ 31).

49- المصدر السابق ـ ص (66).

50- ليس الماء وحده جواباً عن العطش ـ ص (153).

51- أشجار تتكئ على الضوء ـ ص (13).

obeikandi.com

52- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (68).

53- الكتاب الخطاب الحجاب.

54- محاضرات الإسكندرية ـ ص (42).

55- مجلة الرافد الإماراتية ـ أكتوبر ـ 2010.

56- أبجدية ثانية ـ ص (137).

57- أبجدية ثانية ـ ص (182).

58- أبجدية ثانية ـ ص (13).

59- أشجار تتكئ على الضوء ـ ص (15).

60- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (32).

61- المصدر السابق ص (304).

62- المصدر السابق ص (304).

63- الكتاب الخطاب الحجاب ـ ص (195).

64- محاضرات الإسكندرية ـ ص (90).

65- محاضرات الإسكندرية ـ ص (96 ـ 97).

66- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (27).

67- محاضرات الإسكندرية ـ ص (140 ـ 171).

68- الكتاب الخطاب الحجاب ـ ص (91).

69- أبجدية ثانية ـ ص (32).

70- محاضرات الإسكندرية ـ ص (170).

71- فضاء لغبار الطلع ـ ص (14 و 120).

72- المصدر السابق ـ ص (53).

73- ليس الماء وحده جواباً عن العطش ـ ص (16 ـ 17).

74- صادق جلال العظم ـ ذهنية التحريم ـ ص (53) ـ دار المدى ـ دمشق ـ ط3.

75- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (75).

76- ليس الماء وحده جوابا عن العطش ص (18).

77- المصدر السابق ـ ص (20).

78- صحيفة الوطن السورية ـ تاريخ: 2010/10/27.

79- الكتاب الخطاب الحجاب ـ ص (182).

obeikandl.com

80- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (13).

81- المصدر السابق ـ ص (155).

82- المصدر السابق ـ ص (91).

83- أشجار تتكئ على الضوء ـ ص (40).

84- أبجدية ثانية ـ ص (211 ـ 216).

85- جريدة الوطن السورية ـ 2010./10/27

86- أبجدية ثانية ص (194 ـ 216).

87- المصدر السابق ـ ص (199 ـ 200).

88- ليس الماء وحده جواباً عن العطش ـ ص(16).

89- فضاء لغبار الطلع ـ ص (118).

90- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (232).

91- أشجار تتكئ على الضوء ـ ص (43).

92- فضاء لغبار الطلع ـ ص (101).

93- المصدر السابق ـ ص (103).

94- ليس الماء وحده جواباً عن العطش ـ ص (170 ـ 171).

95- فضاء لغبار الطلع ـ ص (80 ـ 86).

96- المصدر السابق ـ ص (78).

97- المصدر السابق ـ ص (54).

98- حوار أجرته مع الشاعر مجلة فكر اللبنانية - العدد 106 - 2009.

99- فضاء لغبار الطلع ـ ص (115).

100- الروائي التونسي الحبيب السالمي ـ برنامج روافد على فضائية العربية.

101- فضاء لغبار الطلع ـ ص (79).

102- الكتاب الخطاب الحجاب ـ ص (97).

103- نشر بتاريخ 2010/10/20.

104- صحيفة الثورة السورية 2010/10/27 نقلاً عن نيويورك تايمز.

105- ليس الماء وحده جواباً عن العطش ـ ص (131).

106- خالدة سعيد ، في البدء كان المشى ـ ص (261).

107- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (136).

obeikandi.com

108- أشجار تتكئ على الضوء ـ ص (59).

109- المصدر السابق ـ ص (56).

110– المصدر السابق ـ ص (56)

111- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (319)

112- فضاء لغبار الطلع ـ ص (128)

113- المصدر السابق ـ ص (115)

114- محاضرات الإسكندرية ـ ص (51)

115- أشجار تتكئ على الضوء ـ ص (23)

116- ليس الماء وحده جواباً عن العطش ـ ص (58)

117- المصدر السابق ـ ص (124)

118- فضاء لغبار الطلع ـ ص (59 ـ 87).

119- جريدة الحقيقة 2010/5/17 عن صحيفة الحياة.

120- القصص القرآني، محمد شحرور ـ ص (278).

121- ليس الماء وحده جواباً عن العطش ـ ص (76).

122- فضاء لغبار الطلع ص (43).

123- ليس الماء وحده جواباً عن العطش ـ ص (77).

124- فضاء لغبار الطلع ـ ص (119).

125- أبجدية ثانية ـ ص (25).

126- فضاء لغبار الطلع ـ ص (28).

127- أشجار تتكئ على الضوء ـ ص (68).

128- "فضاء لغبار الطلع ـ ص (104).

129- أشجار تتكئ على الضوء ـ ص(32).

130- مجلة دبي الثقافية ـ ص 13 ـ تشرين الثاني.2010

131- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (307).

132- الكتاب الخطاب الحجاب ـ ص (75).

133- الكتاب الخطاب الحجاب ـ ص (198).

134- عدد نيسان ـ 2010.

135- نشر بتاريخ 2010/10/27.

obeikandi.com

136- الكتاب الخطاب الحجاب ص (123).

137- أبجدية ثانية ـ ص (115).

138- أبجدية ثانية ـ ص (182).

139- فضاء لغبار الطلع ـ ص (78).

140- أشجار تتكئ على الضوء ـ ص (70).

141- أبجدية ثانية ـ ص (120).

142- فضاء لغبار الطلع ـ ص (59 ـ 89).

143- المصدر السابق ـ ص (124).

144- محاضرات الإسكندرية ـ ص (94).

145- فضاء لغبار الطلع ـ ص (122).

146- برنامج أوتوغراف، فضائية المشرق ـ 2009 /5/24.

147- برنامج أضواء المدينة، فضائية المشرق ـ 27/ 5/ 2009.

148- أبجدية ثانية ـ ص (195).

149- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (49).

150- جيل دولوز، نيتشه والفلسفة ـ ص (162).

151- ص (76).

152- ليس الماء وحده جواباً عن العطش ـ ص (124).

153- فضاء لغبار الطلع ـ ص (22).

154- أبجدية ثانية ـ ص (29).

155- جريدة الوطن السورية ـ 2010/10/13.

156- فضاء لغبار الطلع ـ ص (119).

157- المصدر السابق ـ ص (73).

158- سياسة الضوء DVD صادر عن مجلة دبي الثقافية العدد – يناير 2011. بصوت الشاعر أدونيس سيناريو وإخراج فداء الغضبان.

159- من قصيدة "تاريخ يتمزق في جسد امرأة".

obeikandi.com

مقالات

في الكتب موضوع الحوار

obeikandl.com

ماذا لو صار الألف الحرف الأخير؟

قراءة في ديوان "ليس الماء وحده جواباً عن العطش"

في منافيه بلاء سمح يُنبت القلق في الحناجر، ويملأ الكؤوس همساً سماوياً له رائحة العنب. وفي حقيبة سفره المديد وردة عشق لشرق تأبطه لحناً كي يوقظ وحدته. امتطى شعره صهيل العاصفة، ليمزق حجب اللغة العربية، ويشعل بشظى معانيه الغيم. فليست أنفاس هذا الزمن، إلا دخان الحرائق، التي تشتعل في أعماقه. ص (123)

"*هل ترون كيف يتحول البحر الأحمر إلى هرم تنام فيه اللغة؟*" ص (16)

في ديوان أدونيس "ليس الماء وحده جواباً عن العطش" الصادر عن مجلة دبي الثقافية /2008/ تتشكل من غيوم الأمكنة الكثيرة التي زارها، رموز تاريخية، وتواقيع مغمورة:

"*ها هي الشمس في الإسكندرية*

تبدو كأنها الأخت الكبرى لكليوباطرة.

وكان قمر الليلة الماضية يبدو

كأنه الأخ الأصغر للاسكندر" ص (60)

لقد قرأ بمرارة وأسى كشف غيمة نيويورك بعدد الأصابع الإلكترونية، المزروعة في يد نيويورك، المدينة التي كان قد تنبأ لها عام 1971 في قصيدته

obeikandi.com

"قبر من أجل نيويورك" بما حصل لها في الحادي عشر من شهر أيلول. ص (1).

"وكانت الحداثة خاتماً

يتلألأ في عالم

يتحول إلى إصبع الكترونية

في يد نيويورك،

فيما تواصل زيزان الحضارة

عزفها القاتل في أذني.

ورأيت وطاويط

تلبس خوذة القادة

من أية سلالة انحدروا

كل منهم يتوسد ثدي مرضعة سماوية" . ص(17)

وحين كانت الشمس تنزل عربتها على شاطئ أغادير التي وضع المحيط الأطلسي خده عليها، قال لرأسه: *"إذاً، تحرر، واتركني إلى جسدي."* ص (93)

كما أهدى "كازانتزاكس" تقريره الأحلى إلى بلدته غريكو، جمع أدونيس تقاريره كلها في قصيدة أهداها لمسقط رأسه قصابين:

"لم أكن تجاوزت الثانية عشرة

عندما بدأت الحرب العالمية الثانية

كان جو القرية

يبدو كمثل طست من النحاس

obeikandl.com

يكسوه الصدأ

تعذبنا. جعنا.

كنا نبحث في الحقول عن أعشاب

تحل محل البرغل والقمح والخبز." ص(110)

منذ نعومة أظفاره أطبق أهداب شعره، على لآلئ المعنى، كي يقرأ الظلمة في عراء النور، ويضمّد جراح المسافات الخائبة:

"يشبه الفلاحون في قرانا أبراجاً تتنقل

كما لو أنهم يتحركون بأرجلهم وحدها.

تخرج من بين الأثلام في حقولهم

أشباح تبدو كأنها تجيء من المستقبل." ص(105)

وعلى الرغم من اتكائه البيكاسوي الرائد على التراث، يعتبر أدونيس المهجوس بالتغيير، الرمز الأكثر رفضاً للسائد، ولجميع أشكال الإكراهات الآبائية الحاجبة لنور المستقبل:

"هل الشعر المتصالح مع العالم، يقدر أن يرى العالم، حقاً؟" ص (146)

"مر على موت أبي أكثر من نصف قرن

فلماذا أشعر كأنه لا يزال حياً،

ولماذا أشعر كأنه يموت كل يوم؟

حقاً، لا فراغ في الحياة،

والذاكرة هواء التاريخ." ص(110)

obeikandl.com

لقد وسع أرض السؤال، وبذر ما خبأه الشعر الجاهلي والأموي والعباسي في الذاكرة:

"الشعر غواية. الدين هداية"

"تقليد قديم يوناني - إسلامي

مع ذلك، لم يعشق العرب من اللغة

شيئاً كما عشقوا شعرها. ص(146)

أين العرب الذين يؤمنون بالانبعاث؟" ص(115)

يواصل أدونيس في هذا الكتاب دعوته إلى تجديد الكتابة واللغة:

"الكتابة هي، إذا، تحديداً: تجريب" ص(145)

"اصعدْ في الضوء لكي تقرأ الآخرين، واهبط فيه لكي تقرأ نفسك" ص (150)

"صحيح ما يقوله ريلكه:

"نبتعد عن اللغة، بقدر ما نقترب من الواقع" ص (144)

" تكون القصيدة تغييراً. أو لا تكون إلا لغواً"(2) يقول شاعرنا الذي يرى أن *"الشعر العظيم يستلزم تجديد مياه النهر الشعري، الذي لا يسبح فيه الإنسان مرتين، على حد تعبير هيراقليطس"* لذلك حذر الذين اكتفوا بتجديد مراكبهم الشعرية، من أنهم لن يصلوا إلى أرض أحلامهم:

"لا نزال نبني الجسور فوق أنهار جفت". ص (117)

بوابات يفتحها الشاعر على فضاءات عقلية، تغري بمواجهة المنفى، وبانعتاق مؤقت منخمص عن واقع لا بد من العودة إليه عبر الآخر الذي

يسكن فينا:

"منذ طفولتي

أتعود أن أفتح في كل مكان أتعرف إليه

نوافذ ـ عيونا،

تدخل إليها وتخرج منها

خلائق المعنى". ص (156)

وها هو يبحث في أكوام الخيبات العربية، عن وصفة لقراءة الحزن، وفك رموز الواقع العربي، وما وراءه:

"أيتها البلاد التي أنتمي إليها،

قلت مرة عنك: أنت البلاد الوحيدة التي لا أعرفها ..... ولم أخطئ" ص (30)

"السماء تلعب النرد والأرض هي الخاسرة

ألن تستيقظ أيها الشاعر العربي؟" ص (150)

وعلى الرغم من تكراره لمقولته: *"الشاعر، بفعل إبداعه ذاته، تلميذ للزمان والمكان."* (3) إلا أنه يتحفنا بمساجلات تبحث في أمر النزاع القائم بين الفكر العقلي النقدي، والنزعة النصية مستأنفاً إنتاج أعلام الفلسفة العربية الوسيطة، في إرثهم الرشدي الضخم، مهماز الحضارة الغربية. ففي طريقه إلى البحر الميت تجرأ وسأل السماء همساً:

"لماذا أغلقتِ أبوابكِ، وأنتِ في أوج الطفولة؟

أليس عندك باب آخر لكلام آخر؟" ص(33)

"أوه! يكاد علمي يقتلني. وخير لي أن أنتمي إلى كل ما لا أراه." ص (22)

بهذه الروح الفاوستية، والشجاعة البروميثيوسية، يضعنا الشاعر في أجواء ملحمة جديدة، كتلك التي نسجها غوته على نول الزمن المتحرك، حياةً، تلبس الألوهةُ ثوبَها المهيب.

" الشاعر هو الشخص الذي يستبق فينفكر بما لا يفكر فيه غيره" (4)

يقول شاعرنا وهو يلاحظ:

"كيف يغط البشر أقلامهم في محابر الموت، ويكتبون سيرة العصر" ص (153)

قبيل الحرب العالمية الثانية، سُئل الشاعر "إليوت" عن إمكانية الكتابة، فأجاب: *"هذا أسوأ عصر يمكن أن نعيش فيه، وأفضل عصر يمكن أن نكتب عنه".*

فما الذي تغير؟ وما هذا الموج الأسود الذي يلطم مقدمة السفينة؟

يعطي أدونيس أذنه لموسيقى تطلع من الخراب، ص (118) وهو مؤمن بأن *"الكتابة العظيمة لا تجيء إلا من الذروة أو من الهاوية"* (5)

"تلك الليلة في نيويورك

كنت في أية نافذة نظرت،

أو من أية زاوية

أرى إلى القدس، كأنني أراها

تحت سماء لا وطن لها." ص(16)

يقول أدونيس في مواجهة المرأة المشيّأة، المسلّعة، المغيبة بالكلام:

"أن المرأة هي التي فتحت باب الأرض، وباب التاريخ فتمزقت جميع البراقع" (6)

"المرأة الكتاب، والأنوثة الكتابة"

"اتركوا النساء يرسمن دروب شهواتهن، واتركوا الرجال لاقتفاء الرسوم" ص (77)

"كلا، لا معنى للموت إلا إذا كان مؤنثاً

عذراً، يا ذكورة اللغة العربية" ص (125)

"في جسد المرأة نشيد أرضي تقرؤه السماء بلا نهاية." ص (131)

وهو في هذا الديوان يستحضر نماذج نسائية تركت بصمة في تاريخ المنطقة: بلقيس، كليوباترا، هيباتا ..

"لكن، متى تعودين من هذه الهجرة إليهم ــ أولئك

الذين لم يعودوا يملكون حتى دموعهم؟"

"كليوباطرة.. ألفظ هذا الاسم، وأرى ناراً تنبجس

منه، ناراً تلتهم السماء كأنها قبة من القش، ثم

أسألها: كيلوباطرة، متى ستصبح الأرض مثلك سماءَ نفسها؟" ص (87)

تسكب راقصات المعابد وصايا المخيلة الأدونيسية في أكواب شفيفة، فيتبدى الوجود لوحة تغري بتعقب الريح نحو غابة المعنى. ص (125) لا ضير، فإن في الغبار لحكمة، وإن *"في التراب حبراً خاصاً، لكتابة الريح وأخطائها"* ص (33)

"وماذا، إذا، لو صار الألف الحرفَ الأخير من الأبجدية؟" ص (162)

"جريدة الأسبوع الأدبي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

بتاريخ 2010/10/23"

obeikandl.com

الهوامش

1- محاضرات الإسكندرية ـ ص (162).

2- المصدر السابق ـ ص (85).

3- الكتاب الخطاب الحجاب ـ ص (140).

4- محاضرات الاسكندرية ـ ص (82).

5- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (72).

6- البرقع، نقلاً عن جريدة الحياة.

obeikandl.com

طُعم الشاعر

قراءة في ديوان "فضاء لغبار الطلع"

بحثاً عن خمائر جديدة يغتني بها الفكر الإنساني، لا يزال أدونيس يفتح فضاءات إبداعية جديدة في لوحاته الشعرية المهجوسة بتخليد التحولات اللامتناهية في جسد الكون، وقد جاء ديوانه "فضاء لغبار الطلع" الصادر عن مجلة دبي الثقافية ـ آب ـ 2010 ـ قبة شعرية ضبطت رقص ألوان تلك اللوحات، وكشفت بعض أسرار ماء القصيدة الكونية. *"متى ستوسوس للشاعر لكي يضع أخيراً طُعمه الهرموني حول سرة السماء؟"* ص (104)

يغير الشاعر في هذا الديوان مسار حزنه، مستشرفاً عبقرية تفجر البراكين، وتضيء دروباً إضافية لحبيبات غبار الطلع السابحة منذ الأزل في لا نهايات الأنوثة، حيث يتلقح الزمن بغدد فجر آخر. (1)

" فيما يبكي صفصاف الذاكرة حول الأنقاض، تهدر حولي، في كل مكان مياه الولادات" ص (60)

هي العودة إذاً، من رحلة الحزن التي دونها في مؤلفاته الأخيرة: ليس الماء وحده جواباً عن العطش ـ رأس اللغة جسم الصحراء ـ محاضرات الإسكندرية ـ الكتاب الخطاب الحجاب ـ أبجدية ثانية:

"يهاجمه السفر في عقر دمه،

وتهاجمه العودة في عقر خطواته" ص (96)

في اختراقها الإبداعي الفريد لوثائق التاريخ دفعت ذاكرة شعره بوقائع وأعلام منسية، مستدلة ببعضها من أجل تعديل أو نفي بعضها الآخر.

فها هو يرى لوركا بين يدي غرناطة، ويعيد قراءة بوذا في شنغهاي التي يلبس الرأسمال فيها قبعة الإخفاء، كما يتذكر هاملت وهو في حضرة كونفوشيوس ص(78) ويستمع لبحر العرب وهو يقرأ عليه أشعار امرئ القيس وطرفة بن العبد. وفي براغ يرى رأس الحب محمولاً على طبق السيدة سالومي ص (102)، وفي نيويورك يرى القدس تحت سماء لا وطن لها. (2)

"تايم سكوير ـ أهو المكان الملائم لكي أرسم في ذهني خريطة

للأمكنة الأكثر اضطرابا في العالم؟

خفية، تقدر أن تضع اسم فلسطين بين هذه الأمكنة، ربما،

خفية كذلك، تنزل السماء في ثوب رمادي وتشد، صامتة، على يدك" ص (118)

أسماء كثيرة يُثوّرها الشاعر على كتّاب حمّلوها أفكاراً لا تليق بالأبجدية.

من قال: *"الشاعر لا يدخل السماء*

إلا محروساً بالجحيم؟"

سؤال لا يزال طرفة بن العبد،

يطرحه على أبجدية بحر العرب" ص (13)

على الرغم من قناعة أدونيس أن الوفاء للأفكار يتمثل بتوليدها، وأن

ليس للعالم ولا للأفراد هوية جاهزة، إلا أنه بقي ثابتاً حيال بعض القضايا المعاصرة، ومنها موقفه من التحول الذي جرى في دول ما كان يعرف بالمعسكر الاشتراكي، التي بات يطل من بحارها "التلسكوب" ذو العينين، وموقفه من تبعات هيمنة القطب الواحد:

"مهما كانت يمين المعنى باذخة،

فأنا أفضل الجهة اليسرى من فردوس الصور" ص (103)

كما أسهب في دراسة مظاهر التطرف الديني، وبحث في أسبابه على أرضية دفاعه عن المستضعفين، الذين غررت بهم وطاويط تلبس خوذة القادة، وتتوسد أثداء مرضعات سماويات. (3)

"الكلمات معادن تصهر في حناجر النبوات" ص (64)

لم يخف أدونيس إعجابه بالنص "النفري" وقد وصفه بأنه نص الغبطة، الذي يخرجنا من شروطنا الضاغطة، فيما يلغي المسافة بين الواقع والغيب، بين الإنسان والمقدس، ماحياً الفروقات بين الله والإنسان، (4) فعمل بدوره على إلغاء المسافة بين الله واللانهاية ص (60) وآمن بأن أي تغيير جدي يجب أن يبدأ بنقد المسلمات، وإلا كان تغييراً معوجاً: *"كيف تريد أن تكون خالقاً دون أن تكون ماحياً؟"* (5) لذلك انتقد بعض أوجه الفكر الإصلاحي المهادن للفكر الأصولي المتطرف الذي يحول الزمان إلى مكان. كما بحث في مفهوم "المقدس" الذي استثمرته بعض القوى السياسية والاجتماعية والدينية، من أجل تثبيت مواقعها:

"لا ينقشع ضباب المدنس،

إلا بريح تكنس غبار المقدس" ص (87)

"أحب الآن، في هذه اللحظة،

أن أسأل الكتب المقدسة:

في أي منخل

نخّلتِ كلمات الآلهة؟" ص (120)

وهو فيما يحذر من لهو مجاني ينتصر فيه لهو اليد لشطح الرأس ص(130)

يمحو العتبات، ويقتلع أبواب التاريخ، مكرراً على مسامع المدن:

"يبدو أنه لم يبق من السماوات السبع إلا ثلاث" ص (64)

يضعنا الشاعر في هذا الديوان في عالم طفولته المتمردة على كهولته الثمانينية، متيقناً أن العالم لا يزال مثله طفلاً:

"كان ينبغي أن يموت في نهايات القرن العشرين. أو هكذا كان/ يأمل.

ألهذا يشعر، اليوم، أنه ليس مقيماً في القرن الحادي والعشرين؟" ص (97)

فأي مجهول ينتظره هذا الصوت المسافر من نافذة الشعر؟ وماذا سيسمي تلك الشرارة التي تخرج من الغيمة العربية، مذكرة إياه بذلك المساء عندما غسلت حواء نهديها بضوء هلال في يومه الأول؟ ص (53)

أسئلة لم يجب عنها أدونيس، لكنه، كما فعل في قصيدته قبر من أجل نيويورك التي كتبها في سبعينيات القرن المنصرم، متنبئاً بانهيار أبراج نيويورك، وكما يتنبأ بتبعات وول ستريت، يتنبأ بعصر صيني قادم:

"وول ستريت حدث كوني،

يتدرب العالم في جوفه،

على التهام اللحم النيء" ص (119)

"تأخذني أحلام اليقظة ـ

هل سيكون العصر المقبل قيثاراً صينياً؟" ص (78)

رأى البعض أن نيتشه نظّر لقرنين عقب وفاته، في ما يعتبر آخرون أن أدونيس ينظّر عبر تلميحاته الموجعة لعصر مربك، يتربص بمدن تطل على الهاوية (6) لذلك قرؤوا فيه استنهاضاً لإرادة الإنسان الصلبة، التي تصنع له مجد أمنه:

"الشواطئ نفسها لا تقبل

أن ينهزم الموج الذي يهجم عليها" ص (24)

يُصعّد أدونيس سلم الرؤى، ويقذف فوق ذرى الحبر حمم حروفه السرية، فتثبت في الأرض البور أسماء مُثلى، لحياة تقيم الحدَّ على كل من يقف بوجهها:

"بلى، بين الحجر والحجر في جدران التاريخ ينبت عشب لا يوصف

ولا يسمى. وعبثاً تحاول أن تمحوه المعادن الثقيلة التي تتدحرج فوقه

عشب برهان على أن الحياة لا تغلب. إنها هي التي تنتصر أخيراً" ص (84)

يؤمن أدونيس بأن "الزائل هو أجمل ما يملكه الأبدي" (7) ويؤيد ما ذهب إليه ابن خلدون من أن عمر الدول ينتهي كما ينتهي عمر الإنسان، لذلك دأب

obeikandl.com

منذ عقود على نسل خيوط قصائده من براءة الأدغال والشواطئ والصحاري الهاربة من سيطرة القوى الكبرى، زحفاً نحو نصيبها من المجد:

"قل لنا إذاً أين يطوف عقلك"؟ ..... في الأطراف القصوى،

في لجج ما يختمر ويتكون، بعيداً عما يسود ويهيمن" ص (54)

إلى تلك الأطراف القصوى يدعونا أدونيس للإبحار في سفن الأنوثة المغامرة في أمواج الحبر واللون، مزودين بأنواع جديدة من غبار الطلع، لعلّ الأرض تكفُّ عن أن تكون كرة تتقاذفها الذكورة، كما وصفها:

"أليست اللغة، إذاً نوعاً من الوجود الهذياني الذي يحتضن الإنسان والحياة والعالم، والذي لا حضور للإنسان إلا به وفيه؟"

الثورة الثقافية 2011/4/12

obeikandl.com

الهوامش

1- أشجار تتكئ على الضوء ـ ص (68).

2- ليس الماء وحده جواباً عن العطش ـ ص (16).

3- المصدر السابق ـ ص (17).

4- مجلة فكر ـ تموز ـ آب ـ 2010.

5- أبجدية ثانية ـ ص (212).

6- المصدر السابق ـ ص (215).

7- المصدر السابق ـ ص (209).

obeikandl.com

أســراب المرايــا

قراءة في كتاب "رأس اللغة جسم الصحراء"

"ثمة أزهار لا تقرؤها الفراشات،

يقرؤها اللهب الذي يلتهم أجنحتها.

أزهار تنبت في حقول لا تجرؤ على الكلام" ص (150)

لا زالت حمم أشعار الشاعر الثمانيني أدونيس تفتح في جدران العزل الإبداعي كوى إضافية، وتعيد رسم ملامح الكون بألوان متاهة الإنسان، عبر صياغة بانورامية توحي للمتلقي باكتناه صيرورة بشرية ترسمها حريته: *"حقل في رأسه منذور للصيد، حقل في جسده منذور لطيور الأفكار المهاجرة"* (1)

في مرحلة مبكرة من حياته اكتشف أدونيس منابع الريح، فرافقها إلى جزر الضوء، وعلَّق تعاويذ شعره وساماً على صدر الحياة، ليحصد العديد من الجوائز العالمية، على الرغم من اتهامه بالاستشراق المعكوس (2) وبالاستغراب. يقول في كتابه الثابت والمتحول: "أعتقد أن هذا الكتاب لا يزال شاباً ولا يزال فيه قبس من الريادة مقارنة بالكتب الأخرى التي تناولت قضية التراث" (3)

لقد شهد عصراً عربياً سقيماً، ورأى في انسحاب الشعر من خشبة المسرح قوة تحفظ له هيبته ومكانته، ووقفة تأمل لا بد منها، استعداداً لخوض مغامرة شعرية جديدة: *"لا تجيء الكتابة العظيمة إلا من الذروة أو من الهاوية"* ص (72)

obeikandl.com

إلا أنه كان هذه المغامرة، إذ طاف بمخيلته على إشراقات الشرق وحجبه وشموليته وغرائبيته، ووعود مسافاته محذراً من ثأر الأزمنة المختبئة في صمت قيلولة العاصفة: *"إنني فيما أضع ذاكرتي وديعة، بين يدي بيروت، بين يدي موجهاً - بحراً وجبلاً، لا أسمع في الواقع العربي المحيط إلا حمحمة خيول يقودها الموت. وها هو الزمن يبلل أطرافنا بموجه الأسود."* ص (304)

وقد زرع ظلال الحزن في طين الواقع العربي، لتصبح الأحلام أقدر على رؤية ما وراء الحجب:

"الحجاب يغير وظيفة العين،

ويغير العين نفسها،

ويغير النظر" ص (136)

وانخرط في مساجلة طويلة حول بعض الأسس القارة في المجتمع، مبتعداً عن وسطية الكثيرين، لهذا كثر مريدوه ومنتقدوه: *"تارة لأنه "شاعر ومفكر نخبة" وتارة لأنه أسقط أيقونات التقليد والإتباع من رفوفها العليا ليحطمها."* (4)

في عنوان كتابه "رأس اللغة جسم الصحراء" نلمح بين عبارتيه شرراً يتطاير، هداية للعقل العربي كي يوقظ لغته من سباتها: *"أقول: العالم رأس- رقم يتقدم نحو هاوية أحار كيف أتهجاها."* ص (58)

كما نسمع في العناوين الفرعية موسيقى فكرية تتسلل على رؤوس أصابعها لتعود بهذه اللغة إلى استيهاماتها السابقة وانخطاف معانيها وانفجاراتها: *"كرة منورة، ثوب شفاف، ظل وضوء .. ألقيت جسدي إلى الضوء .. إضاءات."*

obeikandl.com

كل ذلك اصطبغ بنبرة يأس مريرة تجولت بين السطور، بسبب المآلات الموجعة التي انتهت إليها طموحاته، وبسبب المهازل التراجيدية التي لا تنبئ إلا بمخاضات عسيرة: *"فرس سجينة/ وحصان مشرد/ تملي علي البحار أوامرها/ ولا سفن لي."* ص (160)

"ليست الخريطة العربية اليوم أكثر من مسرح للظل." ص (173)

احتوى الكتاب ظلالاً من سيرة ذاتية تضمنت مرارة الخيبة وألوان الصراع مع الذات ومع المحيط، دُفعا للقارئ كي يبحث عن ذاته، ويبتدع منفى لأفكاره.

"وقلتَ: السفر؟ نعم، لا رفيق للطريق التي أسير عليها، اليوم، إلا قدماً فصل غامض، كأنه فصل خامس، أن طريقي هذه تتواصل، في خصام يتواصل مع أقدام الفصول الأربعة." ص (13)

كما حضر المنفى كطفل موهوب وعنيد، ليحاصر القارئ ويقلقه ويسد عليه المنافذ ويغريه بالتسلل مع هبوب الريح .. *"ولدت منفياً. قصابين القرية التي ولدت فيها فاتحة المنفى ـ ديناً، وفناً، ثقافة وعلاقات"* ص (23) - *"لا الخارج بيتي، والداخل ضيق عليّ .. ولد جسمي في هاوية وصار هو نفسه هاوية. فليس المنفى شيئاً أضيف إلى حياتي. أنه حياتي نفسها."* ص (33 ـ 34)

دشن أدونيس منفاه بتغيير اسمه وإعلانه حروبه على نفسه بأسلحة الآخر الذي يحيا فيه ص (28) على الرغم من اعترافه بالخسارة: *"غير أن هذا الاسم صار إثماً، عمق منفاي."* ص (28)

غادر إلى بيروت في أواسط الخمسينات، وهناك ساهم في تأسيس مجلتي

"شعر" و "فكر" يقول: *"الثأر امتد إلى ميدان الشعر. بل صار مجرد وجودي وشعري نفسه موضع تساؤل."* ص (29) لذلك فكر بنفي نفسه داخل شعبه وثقافته ولغته: *"كان علي، لكي أكون نفسي، أن أنفيها من هذا المنفى، لا في خارج أجنبي، بل داخل هذا المنفى ذاته ـ داخل شعبي وثقافتي ولغتي"*. ص (31)

لذلك نراه يتغنى بالهجرة، حتى لو كانت قسرية، ويرى بأن الوطن الذي يشرد أبناءه هو الذي يتشرد: *"سلاماً أيها العربي المشرد في تيه العالم/ ماذا أقول؟/ كلا، لست أنت المشرد، بل وطنك/ فاجعة أنتِ أيتها الهجرة، لكن ما أكثر الظلمات التي تنقشع في ضوئكِ الفاجع."* ص (88)

في ضوء هجرته الفاجعة تتبع تاريخ صمود الشعر في وجه الكوابح الفلسفية والدينية والسياسية. وقد رشّحه لقيادة العالم، وحوّله إلى أسطورة متصادية مع أسطورة منفاه، فغير به الخارطة الفكرية والشعرية للتراث العربي: *"صار الشعر بالنسبة إليّ، أكثر من الشعر، صار محيطاً تلتطم فيه أطراف العالم والأشياء كلها .. وكان علي أن أحوله إلى أسطورة. لكي تتصادى مع أسطورة المنفى. وفي هذا ما يفسر انهماكي في التاريخ، فقد كان علي لكي أضيء منفاي، أن أضيء الجذور التي جئت منها."* ص (33)

وقد رأى أن الحداثة الشعرية العربية ليست قطيعة مع الشعرية العربية أو التراث، وإنما هي على العكس تنويع يصل في بعض ظواهره أحياناً، إلى أن يكون شكلاً من أشكال الاستئناف. فالقطيعة مستحيلة: *"فرضت تجربة الحداثة أمرين هما:*

1- إعادة النظر في الشعر العربي، لفهمه فهماً حديثاً.

2- إعادة النظر في أشكاله وطرائق تعبيره لابتكار أشكال جديدة، وطرائق تعبير جديدة." ص(286)

انطلاقاً من قناعته تلك، كتب منذ حوالي نصف قرن "ديوان الشعر العربي" الذي يقول فيه: *"يبدو بمثابة حد فاصل: الشعر العربي قبله، الشعر العربي بعده. ولهذا يبدو كأنه المرجع الفني ـ الجمالي الأول للشعر العربي .. نرى فيه .. العابر التاريخي، والأبدي الإنساني."* ص (287)

إلا أنه يستنكر طريقة تقييم الشعر، ونقده *"هل يصح تقويم الشعر بوصفه "عملاً"؟ الشعر "لغة" لذلك ينبغي تقويمه جمالياً ـ فنياً"* ، بحصر المعنى. وليس "عملا" لكي نقوّمه أخلاقياً، سلباً أو إيجاباً.. الشعر، تحديداً، خرق، يجوز له ما لا يجوز لغيره". ص (41)

وهو يتساءل عن مصير الشعر:

"كيف ستقاوم، أيها الشعر؟

انظر إلى الحبر كيف يُحوّل إلى ماء،

وإلى الورقة كيف تتمزق.

ولا تزال المسرحية في فصلها الأول." ص (159)

لقد عمَّم مقولة المتنبي الشهيرة: *"أنا في أمة تداركها الله، غريب."* "بأنويتها" الشعرية القادرة بانخماصها عن محيطها، وانفلاتها من تجاذباته الجائرة على خلق عوالم إبداعية خالدة. تشكل هذه العبارة برأيه المفتاح الأول لكي نفهم شخصية المتنبي المتعملقة فوق منارة الأدب العربي. لذلك أعاد من خلالها قراءة التاريخ العربي، عبر كتابه "الكتاب" بأجزائه الثلاثة، معتمداً على بصيرته

الشعرية، وعلى قراءته النزيهة اللماحة لزمن المتنبي وللواقع العربي بالمجمل، وكاشفاً عن قناعته بأن *"النص الشعري اختراق واستشراف. التاريخ يعرض، والشعر يستكشف."* ص (45)

إن اعترافه بصعوبة قراءة هذا الكتاب، الذي وصفه بأنه شهرزاد شعرية، هو إقرار منه بصعوبة قراءة الواقع العربي: "الكتاب" محيّر في ما يتعلق بكيفية قراءته، *"وإذا لا بد أن يكون محيراً في كيفية فهمه."*ص(49) كما أن اعترافه بصعوبة قراءة الكتاب، هو إقرار بصعوبة رسم المقايسة بين الواقع والغيب في الداخل العربي *"كيف يقدر الإنسان أن يرقى إلى مستوى الغيب، إن لم يكن في مستوى الواقع؟"* ص (59)

مع ذلك، لم تُحِل المسافة الزمنية الطويلة بينه وبين المتنبي وزملائه "امرؤ القيس وأبو نواس، وأبو تمام، والمعري"، دون متابعته *"التأسيس لما كانوا قد بدؤوا به"* ص (50) وقد اعتذر إليهم، لأنه لم يوفهم حقهم في كتابه: "ديوان الشعر العربي". (5)

تحضر العضوية الزمكانية في أعماله، حيث يفتح أبواب اللانهايات ويشرِّعها أمام فطنة الإنسان. كتب وهو في طريقه إلى نيويورك: *"لعل السفر، كمثل الخيال، يخلق أمكنة متحركة، محولة المكان إلى شكل من أشكال الزمن."* ص (75) وفي نيويورك أيضاً تساءل:

"كيف حدث أن صار الوقت

يشنق المكان،

متى شاء، وكيفما شاء؟" (6)

مدن كثيرة استضافت شعره، وأهدته عبير تاريخها، وكشفت له عن كنوز حروفها السرية، ليشكل منها باقات حب: *"لمدينة اسطنبول خصائص جديرة بأن تجعل منها حاضرة إسلامية فريدة .. لم أعرف كيف غاب عني الشعور بالزمن. وشعرت أنني كمثل هذه المدينة: أواجه الكون - خداً للشرق، وخداً للغرب كأنما تتفتح أمامي قارة لا شرقية ولا غربية - كينونة أخرى لا تجيء من جغرافية الأرض، بقدر ما تجيء من جغرافية الإنسان. هذا الجرم الصغير، لكن الذي انطوى فيه العالم الأكبر"*. ص (66 - 68)

بهذا التعالق الإبداعي تمرأى له في تركيا، خبز سري، ينضج في تنور التاريخ: *"وصرخت في سريرتي: كيف للثقافة التي أنتمي إليها أن تنسلخ من شعورها بالامتلاء المعرفي؟"* ص (69)

وهو إذ يشيد بنموذج الإسلام التركي، يحذر من الأصوليات العربية السياسية منها والدينية التي تقتل في الإنسان مواطنيته وفكره: *"السماء، تلعب النرد والأرض هي الخاسرة"*.

لذلك وانطلاقاً من قناعته بأن المظهر الديني، يشكل المظهر الأكثر بروزاً في المجتمعات العربية، وأن للدين تأثيراً واضحاً في أي حراك سياسي أو اجتماعي، فقد بحث عميقاً، ولا يزال، في البنية الثقافية الدينية في العالم العربي، التي يرى بأنها *"لا تزال الأكثر هيمنة وفعالية وحضوراً، وأن قيم الحداثة والتقدم عموماً، زادتها رسوخاً ويقظة."* ص (211)

استند أدونيس إلى تاريخ الإبداع البشري، في تجلياته الأسطورية والدينية والفكرية، من حيث هو ضرورة للبناء عليه: *"إذا كان الإبداع هو ما تبقى حياً، فإن ماضيه لا يمضي، إنه، على العكس، طليعة الحاضر، كأنه الوجه الآخر*

للمستقبل" ص (11)

هذه النظرة البيكاسوية المتجاوزة للتضاد بين القديم والحديث (7) التي دمغت بدايات أعماله، مكّنته من نحت تماثيله الإبداعية المدهشة، بعناية، حفّزت قارئه على طرح أسئلته بحرية على تراثه الديني والفكري، والإيديولوجي، وعلى الإجابة عنها، لكن بطريقته المبطنة بالاحتمالات: *"ينبغي على أهل الفكر في اللغة العربية أن يدركوا أخيراً. خصوصاً بعد محاولات أسلافهم في القرن المنصرم. إن الفكر لا يتحول أو لا يتغير إلا بدءاً من "خلخلة" تراثه الخاص"* ص (113)

إنه يرى أن انتصار إسرائيل الحقيقي، في البلاد العربية لا يتمثل في تغلبها العسكري - احتلالاً وتدميراً وتهجيراً.. بقدر ما يتمثل في تغلبها الثقافي - أي *"تحويل صراعها إلى صراع ديني"* ص (128)

لذا تجرأ وطرق الباب الأكثر حساسية، وهو علاقة الدين بالحياة العامة، فاقترن اسمه بالتحدث عن الدين: *"ازداد عملي تعقيداً عندما وعيت أن النص الديني الإسلامي لا ينفصل، حكماً أو طبيعة، عن مشكلات الثقافة الغربية، عبر تجانسه مع النص التوراتي وحياً وتاريخاً."* ص (32) وهو يرى أن مادة سياسة العالم في كل مكان هي الإسلام: العقدة، ووردة الرياح الحربية، في هذا كله، هي فلسطين، والإسلام في هذا كله، أيضاً *"مدار ودار لتلك الحرب الكونية الثالثة"* ص (205)

في هذا السياق نبّه إلى إنجيل يجري الترويج له تحت اسم "يوضاس" الذي يبرّئ الاسخريوطي، أو "سيكاريوس" باللاتينية وتعني القاتل المأجور المسلح بخنجر، منوهاً إلى استنتاج أحد الباحثين إلى أن هذا الإنجيل المكتشف لا يبرّئ يوضاس من جريمة صلب المسيح فقط، وإنما يجعل منه كذلك تلميذاً أطاع

المسيح على نحو بطولي! ص (179)

للموضوع صلة، مع كتاب الفرنسي مارسيل غوشيه "زوال سحرية العالم" الذي أعجب به وذكره بسياسة الدين في لبنان، وقد استوقفته عبارة وصفت المسيحية بأنها "دين الخروج من الدين" كونها تختزن الطاقات الحركية للقطيعة، وبكونها في الوقت نفسه "بؤرة للتناغم" بين الأطراف ص (180)

وهنا يثار السؤال حول الفرق بين خدمة الفكر اللاهوتي المسيحي للعقل والتقدم البشري، وهو الذي اعتمد مناهج وطرق الفكر اليوناني الفلسفي "اللوغوس" - كما صرّح البابا الحالي بندكتس - وبين خدمة الفكر الإسلامي لهذا العقل، وهو الذي أنار بشعلة إنتاجه الرشدي الضخم ظلام أوروبا، إلى جانب إبداعه الصوفي الخلاق. هل تُقرُّ وجهة نظر المفكر محمد أركون، على أن كلام البابا ينطبق فقط على ما حدث للفكر الإسلامي بعد إقفال باب الاجتهاد؟

يحذر أدونيس من مغبة العنف، داعياً إلى التغيير السلمي، على طريقة غاندي، ومستبعداً طريقة غيفارا العنفية الخاطفة:

"لسنا في حاجة إلى غيفارا. نحن في حاجة إلى غاندي" ص (115)

في هذا السياق يطرح ثلاثة أسئلة على مفكري النزعات الأصولية:

"السؤال الأول: أهناك حقيقة تصلح للإنسان في طفولته وشبابه وفي شيخوخته؟.. السؤال الثاني: ألا يعني الإيمان بهذه الحقيقة أن مدار الوجود ليس الإنسان وإنما هو المعتقد ، معتقد محدد وخاص؟.. السؤال الثالث: ألا يشير ذلك إلى أن الإنسان هو في آخر الدرجات من سلم القيم؟" ص (213 ـ 214)

بهذه الأسئلة، يلتف على بعض الإجابات، التي يستحضر استعصاءها: *"ثمة أفكار ومعتقدات تنزل في الرؤوس كمثل المسامير "نيتشه"، تفقد أصحابها القدرة على التأمل، والإصغاء ،والحوار"* ص (168)

لكن مَن مِن الأصوليين سيجيب على هذه الأسئلة، وقد اختاروا "المُنازلة" وليس "التنازل"؟ وكيف سيتعاملون مع كتب تم الترويج لها، مثل صراع الحضارات، ونهاية التاريخ.. التي صاغتها، وروجت لها مراكز أبحاث علمية واستراتيجية كبرى في الغرب، وتبنتها سياسات الدول العظمى، لعل أبرزها عبارة بوش الشهيرة، بل خرافته "إما معنا أو ضدنا" والتي أصبحت حقيقة افتراضية راح ضحيتها الملايين من البشر المسلمين؟

إلا أن وجهاً آخر من وجوه الإسلام رسمه أدونيس بألوان وجده الصوفي، داعياً إلى مواءمة متواصلة بين العقل والقلب، السماء والأرض، البصر والبصيرة. إذ وجد في مظاهر الصوفية الانشطارية المتشظية جرأة في طرح الأسئلة الكبرى، وقدرة على تحرير النفس النزوعة للاتحاد بالمطلق، من حيث هي تجربة ذاتية فردية بعيدة عن أي إملاء ديني: لذلك أيد ما تنبأ به نيتشه منذ أكثر من قرن: *"تتقدم البوذية بصمت في كل أوروبا"* (8)

في إيران حيث تزهو أطياف المدن والشخصيات، سار تحت سقف المخيلة، متنقلاً في عربة محبوكة بخيوط تنزل عمودية من مغزل السماء:

"قمر أصفهان، تلك الليلة: في وجهه وجوه عديدة،

والضوء الذي فيه لا يجيء من الأرض وحدها

سأحمله تحت أهدابي إلى شيراز.

للغة الفارسية وردة

اسمها حافظ الشيرازي، حيناً،

وحيناً اسمها الحب.

وسوف أودع شيراز مغنياً:

الخيّام طائر اسمه الضوء

الخيّام إكسير آخر للحياة." ص (236 ـ 237)

مع ذلك فإن غبطته بلقاءاته الثقافية والروحية، لم تمنع عينه الشعرية من الاطلاع على بعض القضايا الإيرانية العالقة، والتي أثبتت الأحداث دقة ملاحظاته حولها. ص (232)

يقول ابن خلدون: *"فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني الهجري، وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية، والمتصوفة"* (9)

يتساءل المرء، إذ يلمح إقبالاً على الصوفية والمتصوفة، فيما إذا كانت ذات الأسباب، قد تكررت في بداية الألفية الثالثة؟ وهل يمكن القول بأن الحدس والبصيرة الشعرية، هما المقدمة المنطقية لأي تغيير؟ *"هل الحواس غيوم جامدة؟"* ص (75)

على هذه الأرضية رسم أدونيس جدلية الجسد والروح، وعلاقة ذلك بالزمن: *"لماذا إذاً لا يجلس الزمن إلى جانبي؟ ألأنه ليس إلا رقماً؟ .عندي أنا الذي لا يملك شيئاً، ما يغير وجه الرياح، وما يشكك حتى في الضوء. أسألها (الروح) أنتِ المستحيلة، لماذا تبخلين عليّ، ولا تطالبينني، بغير الممكن؟"* ص (54 ـ 55)

obeikandl.com

إن رسالة المبدع كما يقول إبراهيم الكوني، هي تحويل الحياة إلى نماذج، رموز. (10) إلا أن خطوات التحويل تلك لا تتم دون قلق يمهد لها ويصاحبها نحو مجد مجازها الجديد، فقد قلق المتنبي على الريح: *"قلق كأني على ريح"* ، وحلّق أدونيس بجناحي القلق على دروب اللانهايات: *" للقلق صوت خاص، أحس كأنه يولد في حنجرتي"*. ص (304) وقد دفعه القلق للتساؤل *"هل أتماهى مع الواقع .. لكي أصل إلى كرسي أجلس عليه؟.. هكذا أعترف إنني أحياناً أضعف، ويغريني التراجع، قائلاً في ذات نفسي، لماذا أعرض حياتي لحرب عنيفة يشنها علي الآخرون، وقد تكون قاتلة؟"* ص (306 ــ 307)

إلا أنه سرعان ما جعله يجيب: *"لن أخون هذا الوعد، وسوف أتابع نضالي ضد أي إغواء بالراحة أو استقالة الوعي"*(11) وهل يضعف، من أصبحت خطواته، "اليوم" هي التي تكيف طريقه؟

"سابقاً كان الطريق التي أسلكها هي التي تكيف خطواتي/ خصوصاً في الشارع.

خطواتي، اليوم، هي التي تكيف طريقي خصوصاً في الشارع." ص (323)

لقد تراجع فوكوياما عن نبوءته "نهاية التاريخ" وقد جاءت قراءة الفيلسوف طيب تيزيني الجديدة، للراهن العربي وراء تعديل مشروعه الفكري الضخم من "التراث إلى الثورة" فأصبح من "التراث إلى النهضة"، وتبرأ آخرون من أعمالهم.. لكن أدونيس الذي جعل من التراث العربي أساساً لجميع أعماله، لم يقف متفرجاً أمام نضوب ماء المعرفة العربية، الذي يتبخر كل يوم : *"كل يوم يتبخر ماء المعرفة الخاصة بالعالم العربي ــ الماء الذي كنت جمعته في اليوم الذي سبقه"*. ص (59) إذ واكب جميع الأحداث العربية التي

عاصرها، على الرغم من إعلانه المتكرر: *"الشاعر، بفعل إبداعه ذاته، تلميذ للزمان والمكان .. وهو في ذلك رفيق لقارئه، وليس قائداً"* (12)

لذلك أخلى فضاءاته الشعرية من أية أدلجة تشوهها، حتى وهو يقترب من قضايا الشارع العربي، وقد استنكر على الثقافة العربية قربها اللصيق من الشارع. ودعا المثقفين للكتابة في معزل عن الانحيازات الإيديولوجية، إذا أرادوا اختراق السائد المهيمن، وهو يستعين بقول ريلكه: *"نبتعد عن اللغة، بقدر ما نقترب من الواقع"*. وبرأيه، أن على الأفكار الكونية الكبرى التي يظللها الشعر، أن تتجاوز النمطية الإيديولوجية التي سادت في النصف الثاني من القرن الماضي. بذلك شكلت كتاباته ثورة على السائد: *"تقع أوبرا الباستيل على خط الطول نفسه الذي يقع عليه هذا العصر. للخريف معطف يليق بقامتها، ضعه على كتفيها، أيها الغيم."* ص (283) وهو على المستوى الإبداعي مهجوس بشخصانية الفرد، بعيداً عن تشابكات الجماعة: *"هاجس التضامن والانسجام، يقتل الاهتمام بالخصوصيات والفرادات. وقبل ذلك يلغي أفق الممكنات والاحتمالات. إنه نوع من التأسيس للجهل."* (13)

لذلك تحدث بحسرة عن لفظ الأمة للفرد المؤمن بفرادته ومخالفته لرأي الجماعة، كأنه المرض أو الكفر، مستذكراً نيتشه، فرويد، داروين، رامبو.. الذين صاغوا حقائق خالفت حقائق جماعاتهم، إلا أن تلك احتضنت جديدهم، دون أن تجرمهم، بل على العكس راكمت إبداعاتهم الفردية، لتدخل بمجموعها عصراً ذهبياً أفاد منه الجميع: *"ما يكون الأمر إذاً مع ثقافة تقوم على الآراء المسبقة؟ وما يكون وضع الكتابة في مثل هذه الثقافة؟"* ص (164)

إن الحديث عن "الفرادة" يستجلب الحديث عن حركة الأجيال، التي

يصفها أدونيس بالجامدة: *"الابن، عند العرب أب بالولادة، المجتمع العربي مجتمع آباء."* ص (146) كما يستجلب الحديث عن مفهوم الهوية الملتبس والمربك، الذي يستحوذ على العديد من النقاشات والخلافات الدائرة بين أقطاب مراكز القوى الفاعلة: *"الهوية: هذه الكلمة الناعمة السحرية المفعول، تبقى مفتوحة على كل الاحتمالات."* (14)

مما لا شك فيه، أن الهوية العربية هي الهوية الأكثر تشعباً وإثارة للجدل والخلاف، لما تنطوي عليه من أبعاد تاريخية وحضارية ودينية مؤثرة. إلا أن بعض المثقفين العرب نظروا إليها على أنها صيرورة وليست كينونة، من هؤلاء: "إدوارد سعيد"، الذي يقول: *"في فكرة الوطن مبالغة"* ص (15) ومحمود درويش في قوله: *"إن كانت الهوية بنت الولادة فهي من إبداع صاحبها في النهاية"*، كما كتب أيضاً عن هوية الروح.

وكتب أدونيس: *"معظم العرب اليوم هم مجهولو الهوية.. تبدو الحياة العربية، كأنها مصنف ضخم من أوراق تتطاير في ريح الوقت"*. وهو لا يعني ــ كما أعلن مراراً ــ العرب كأفراد، وإنما المؤسسات، التي لا تأخذ بأيدي المبدعين العرب: *"إذا صحت مقولة ماركس: "لا تطرح الإنسانية على نفسها إلا المسائل التي تستطيع أن تحلها" وطبقناها على الساسة العرب، فإننا نلاحظ أنهم لا يطرحون أية مسألة"* ص (199)

وفي المساحات الممتدة بين السياسات العربية، وبين الواقع المزري المعاش، تظهر قضية المرأة، التي تتجاذبها قوى لم تتفق على ما يبدو إلا على تهميشها: *"سابقاً، كانت شهرزاد في المأثور العربي تحيا بقوة الكلام، الكلام اليوم هو نفسه الذي يقتلها."*

يربط أدونيس بين ارتكاسات الواقع العربي وبين تماهي السلطة تاريخياً مع الدين: *"تحول مفهوم العروبة في المحيط السياسي العربي إلى سفينة من أكبر سفن التاريخ غير أنها سفينة لا تحمل إلا التاريخ."* ص (162)

لا يثق أدونيس بالتاريخ، الذي قرأه قراءة صادمة، استنكرها كثيرون: *"في ظني أن الكذب هو آدم التاريخ، وأن التاريخ العربي هو بين أبنائه الأكثر حظوة"* ص (271)

لذلك لم يكف عن زرع قراءاته في غيوم الشعر الذي وصفه بأنه: *"قلب ينبض داخل الرأس، ورأس يتأمل داخل القلب"* (15) كي تنبت على جدران التاريخ أعشاب القرون المنصرمة، ويولد زمن آخر للصداقات، النقد، المعارضة، الثورات، الحرية والإبداع، هذا الذي لن ينتشي، ما دام تحت نظر الرقيب، وبين جدران السجن:

"يا عزيزي بريخت، لا يزال السؤال قائماً

هل على الفنان أن يلبي ذوق الجمهور، أم عليه أن يغيره؟

إذا لبى خسر صوته، وإذا غير خسر جمهوره.

من جهتي، كنت وسأظل إلى جانب صوتي." ص (296)

هكذا تنهمر نفحاته الشعرية طرية تارة، وبروقاً ورعوداً تارةً أخرى. وفي جميع الحالات يثبّت للقارئ بوصلةَ الزمن على صفر جديد، تساوقاً مع موسيقى الطبيعة، واحتفاء بتكرارها المبدع: *"وكثيراً، ما أصغيت إلى الطبيعة، وكنت أفاجأ دائماً: لا تنفتح شفتاها ولا تنطبقان إلا على التكرار."* ص (13) إلا أنه تكرار متجدد كموج البحر، أو كقصيدة تبرعمت بمعان جديدة ..

يقال بأن الإنجاز الأهم للمصلح الديني الألماني "مارتن لوثر" هو في الإصلاح اللغوي، إلى جانب الإصلاحات التي أجراها في الكنيسة، وهو كرجل دين كان همه الوصول إلى العامة بأبسط المفردات. وكذلك نقل مرة عن "فيكتور هيجو" قوله عن كلمة وردت في بيت من شعره: *"هذه الكلمة ليست فرنسية، ولكني أنا فرنسي"*. إلى ذلك انطلق أدونيس من قناعته أن اللغة هي موطن الهوية ص (103) وقد كتب عن الرقابات التي تحدُّ من حرية الكتابة، ودعا إلى وسائل جديدة للتعبير: *"ها هي اللغة العربية أسيرة واقع لا تستطيع أن تتنفس فيه بملء رئتيها.. هذا الواقع الكلامي اللغوي يفرض، هرباً منه، اللجوء إلى قضايا ووسائل أخرى للتعبير: السينما، المسرح، الصورة الفوتوغرافية، اللوحة، التمثال، الرقص، الموسيقى، الأغنية."* ص (175 ـ 176)

وهو يتحسر على واقع اللغة العربية التي تقاعست عن تأدية دورها الحياتي *"لا وجود للفراغ، إلا على إطراف اللغة."*(16) كل شيء يتيح لنا أن نصف اللغة العربية، اليوم، بأنها *"لغة أتعبها الكلام"* ص (175)

إن أي حديث عن اللغة العربية لا بد وأن يمر عبر بيروت، التي ساعدت على انطلاق معظم المفكرين والأدباء العرب: *"يشبه لي أن بيروت توشوشني: لا تثق بما تراه إلا في ضوء ما تحدس به ولا تراه."* ص (140) لكن بيروت اليوم تؤلمه: *"كنت أظن أن الوسط الثقافي اللبناني يتميز بأشياء كثيرة .. لكن يبدو لي من اللقاءات والنقاشات والقراءات أن الشيء "المليء" الوحيد في هذا الوسط .. يتمثل حصراً في السلطة."* ص (141)

والحديث عن السلطة في بيروت، يستحضر الحديث عن تجربة الديمقراطيات، وعلى الأخص تجربة المؤسسات الديمقراطية اللبنانية،

بمرجعياتها الدينية المهيمنة على الحريات الفردية، ركيزة جميع الديمقراطيات. مع ذلك يرى أن: *"لبنان يصنعه أبناؤه، أما البلدان العربية فأوطان هي التي تصنع، حتى الآن أبناءها."* ص (107)

إن تماهيه المبكر مع ثقافة "الجذمور" الإنساني التي تكرِّم إنسانية الإنسان، دون النظر إلى أصوله، مكنه من الارتحال بحرية في مجازات اللغة واستيهاماتها، ودفعه إلى تقديم تقريره طازجاً:

"لا كتاب. خطواتي كتابي، لغتي خطواتي. كل سطر بلاد

أتفحص أنحاءها عشبةً عشبة"

كما مكَّنه من طرح أسئلة من العيار الثقيل، على التراث الديني، وعلى تأثيراته القارة في بنية المجتمع العربي، تمهيداً لخلخلتها وخلخلة السياق المعرفي للغة: *"يقول رولان بارت ما معناه إن طاقة التغيير في الكتابة، لا تكمن في "التزامها" أو في "مضمونها" وإنما ترتبط بمدى قدرتها على خلخلة اللغة. ولا تعني خلخلة" اللغة هنا "تبسيطها" أو هجر الفصحى إلى العامية. وإنما تعني خلخلة سياقها المعرفي. فكرياً وفنياً."* ص (113) إنه يخالف مثقفي عصر الأنوار ــ كما يحلو له أن يسمي عصر النهضة العربية ــ الذين لم تفلح تنبيهاتهم وقراءاتهم للتراث في حشد طاقة العرب لإزالة الغبن الذي لحقهم. فلم تكن رؤيتهم حول ماهية التراث وانعكاسه على الحاضر واضحة، بسبب ابتعادهم وخوفهم من مناقشة الأسس التي تقوم عليها الحياة العربية، التي تعالقت فيها السلطة الدينية مع السلطة الزمنية تعالقاً أبقى على جمود الواقع العربي *"وأجدني أزداد قناعة بالفصل بين الدين والدولة ــ سياسة وثقافة"*. ص (234)

يطرح أدونيس أفكاره المثيرة للجدل بلغة باذخة، تكسب إنتاجه المعرفي زخماً لافتاً حتى وهو يكتب مادة "صحفية" تقترب أو تبتعد عن حياته الشخصية: صداقات، عتب، خيبات، عناد، واستذكار لزمن جميل: *"ذلك الخريف أعمى. غير أنه، قبل رحيله، سلم على بيت لوركا في غرناطة، وملأ الحقول حوله بخطوط هندسية كان يرسمها بريشة الريح."* ص (290)

وهو يؤيد القول أن حجر الحكمة موجود في مخيلة فنان عظيم: *"سوف تنهار عروش كثيرة إلا عرشاً واحداً، سيزداد بهاءً وعلوّاً. هو عرش المخيلة"* ص (167)

يرصف أدونيس عتبة السمع العربي، متنبئاً بكتابة عظيمة قادمة تشق طريقها عبر خراب الزمن العربي: *"سأعطي أذني هذا المساء، لموسيقى تطلع من الخراب"*، وهو يرى في الصورة التي تتخذها القضية الفلسطينية، عبثية تاريخية، جديرة بأن تخلق شكسبيراً فلسطينياً يرقى إلى مستوى التعبير عنها. ص (215)

بشارات جسورة يطلقها وفقاً لموازين إبداعية مالت لصالح العرب الذين قرّع ثقافتهم من باب الحرص على مكتسباتها الثمينة، واستنهاضاً للجانب الحي فيها: *"يفترض في أنظمة تمثل المجتمعات العربية الأكثر حيوية، وترث النموذج الأول للدولة العربية، الذي أسسه معاوية، وترث المهد الأول للحضارة البشرية، وأعني الأنظمة في مصر وسوريا والعراق، أن يكون لها دور يواصل التأسيس لعالم إنساني أفضل، مهما كانت ظروفها، الخارجية والداخلية، فهذه مسؤولية وطنية إنسانية، إضافة إلى أنها مسؤولية كونية"*. ص (183)

وهو لهذا يمنح نفسه الحق في تخطئة الجمهور العربي: *"من الخطأ القول إن*

الشعب لا يخطئ"، محذراً من تعليق الارتكاسات العربية على مشجب التدخلات الخارجية *"الخلاص من الهيمنة الأجنبية، مثلاً، يقتضي، أولاً وقبل كل شيء القضاء على كل ما يسوغ له التدخل: المذهبية، والطائفية، والعنصرية، والقمع، والعبث بالإنسان وحقوقه."* ص (193)

على الرغم من ترديده لمقولة "هيراقليطس": *"الإنسان لا يسبح في ماء النهر مرتين"* إلا أن خطوط أدونيس الزمنية ليست مستقيمة، بل هي تتلوى وتتكور، وأحياناً تتكسر وتتشظى، وتتشكّل بأشكال الأشياء والأمكنة، بل والناس: *"يبدو الزمن كأنه يتدحرج على حياتنا كمثل كرة في الفضاء"* (17) *"كلُّ لحظةٍ/ قمقمٌ تندلقُ منهُ أحشاء التاريخ."* (18) وفي هذا الكتاب يظهر الشاعر مقدرة الإنسان على خلق زمن يليق بعبقريته: *"أم إنني أحاول أن أفتح زمناً آخر للكتابة؟"* ص (306) *"لا سلطان للزمن إلا على اسمه/ لا سلطان للزمن إلا على النوم"*. ص (332) تطير أسراب المرايا الأدونيسية، نحو حدائق إنسانية جديدة، يزهر فيها العقل والقلب والروح معاً، وتورق على أسوارها أسطورة حب جديدة.

قال الشاعر والفيلسوف الفرنسي روجيه مونييه: *"لا أستطيع أن أقرأ أدونيس دون أن ينفتح أمامي فجأة ما يشبه الفضاء العقلي"*. (19)

فهل يعود هذا النسر الثقافي من مشواره متخففاً من بعض ما ذهب به؟

الهوامش

1- أدونيس ـ ليس الماء جواباً عن العطش ـ ص (139).

2- صادق جلال العظم ـ ذهنية التحريم ـ ص (100).

3- أدونيس ـ محاضرات الإسكندرية ـ ص (12).

4- أدونيس ـ الكتاب الخطاب الحجاب ـ ص (83).

5- برنامج أوتوغراف ـ فضائية أورينت ـ تاريخ 26/ 5/2009.

6- ليس الماء جواباً عن العطش ـ ص (18).

7- محاضرات الإسكندرية ـ ص (33).

8- "نيتشه والفلسفة" ـ ص (201).

9- "مجدي بن عيسى" مجلة الرافد الإماراتية ـ مارس 2008.

10- إبراهيم الكوني ـ برنامج إضاءات عبر فضائية العربية.

11- الكتاب الخطاب الحجاب ـ ص (75).

12- *الكتاب الخطاب الحجاب* ـ ص (140 ـ 141).

13- مجلة دبي الثقافية ـ مارس ـ 2009.

14- الرافد الإماراتية ـ آب 2008 ـ الهوية ـ بقلم: هيثم حسين.

15- أدونيس ـ الكتاب أمس المكان الآن ـ ص (19).

16- مجلة "دبي الثقافية" يونيو 2009.

17- محاضرات الإسكندرية ـ ص (36).

18- قصيدة تنبأ أيها الأعمى.

19- ملحق جريدة الثورة السورية. تاريخ: 2009/7/7.

obeikandl.com

نابولي كوميديا أرضية جديدة

قراءة في مسرحية "أشجار تتكئ على الضوء"

في شبابيكه أخيلة الوعود، وفي غيوم منافيه مفاتيح زمن ملقّح بغدد فجر جديد، تتوهج فيه يافطات الحروف الضائعة .. مساحة أخرى، يغمرها فيض النهر الأدونيسي، حاملاً أزهار شقائق النعمان، وطمي أيروس لتنمو بذور الإبداع، وتتكئ الأشجار على الضوء.

عنوان المسرحية ولود بأسئلة كبيرة، ومثيرة للجدل، فهل تتكئ الأشجار على الضوء وهي واقفة، أم أن إعصاراً يقتلعها؟ هل تنبت في الضوء بداية؟ أم أن نسغها الجذموري يحلل لها الطيف، كي تسبح فيه بحرية؟ ما هي ثمار تلك الأشجار؟ هل هو الإنسان الذي انطوى فيه العالم الأكبر؟ أم الإنسان النيتشوي، الذي يثقب سقوف المعاني؟: *"هل ستكتب، إذاً، سياسة الكيمياء معجماً آخر لولادات أخرى، وطبائع ثانية؟"* ص (32)

كثيراً ما عاين أدونيس أشجار المدن والأشخاص والأسماء، فقد تساءل عن شجرة بغداد: *"ماذا حدث لتلك الشجرة التي قيل إن الشيطان كمن لها في ثمارها، ولا يزال في كمينه؟"* (1)

ويقول في قصيدة غيمة فوق نيويورك:

" لم أعد أعرف

من أي غصنٍ تجيء هذه الثمرة،

ماذا أقول عن خوذة

تؤكد أنها ياسمينة

وعن بندقية

تبشّر أنها شجرة من أشجار الجنة؟" (2)

وشبّه "طه حسين" بالشجرة: *"كان كثيفاً، مليئاً كشجرة عظيمة من الكلمات والأفكار. تتطاول لكي تُسقط على الماضي ظل الحاضر، وعلى الحاضر ظل المستقبل."* (3) كما وصف الحكم بالثمرة. وقال بأن على المعارضة. أن تعالج الشجرة نفسها. (4) في فضاءاته تلك، تماهت ظلال الأمكنة والأزمنة، وعبرت الرؤى برزخ الشعر، حيث الضوء المشرقي، وعصافير الأمنيات التي تعيد للروح مسارها إلى جادة التلاقي..

أنشدت شخصيات المسرحية، التي عرضت على مسرح نابولي، صيف ـ 2008 ـ قصيدة تاريخ هذه المدينة، التي تمثلت إبداع الإنسان عبر تاريخه. وقد تمحورت الحوارات كطوق متعدد الأطياف والطبقات، حول جيد نابولي المتوسطية، حيث يحمل الموج أطياف عظمائها، وذرى أعمالهم المتلاقحة مع إبداعات عابريها، لأن الشعر هو الذي يخترق ويحتوي التاريخ، الذي رسمت الصُدفُ بعضَ ملامحه.

" عندما يُهزم الشعر وزن التاريخ وعموده،

في موسيقى تتفجر بحكمة

كحكمة الشجر والماء والهواء،

سيتحول هذا المسرح إلى مكان

تنتقش على وجهه قصيدة الأزمنة" (5)

كان أدونيس قد مدَّ إلى مدن كثيرة زارها، جسوراً شعرية، امتزجت فيها أساطير الشرق وحكمته، مع نبوغ العلم وحيرته في الغرب: *"العلم خريطة من خرائط العالم، لكن الشعر جغرافية العالم"* (6) وبالشعر أيضاً افتتح وختم مسرحيته "أشجار تتكئ على الضوء"، حيث ينتصب الشاعر كقوس قزح، ليرسم الضفاف بين مدينة نابولي، والمشرق العربي ص (13): *"عرفتني نابولي كمثل هلال يضع قدماً في الضفة الشرقية من المتوسط، وقدماً في الضفة الغربية."* ص (12)

في المشهد الأول، حيث يرسم الشاعر شجرة حلمه: *"الشاعر هو من يوحي أكثر مما يوحى له"*. (7) ويعيد حساباته مع نفسه، ومع اللغة، والمعنى، والعصر والحداثة، يتحسر على عدم سؤاله اللغويَّ "أليعازر" إن كان حقاً قد قام من القبر ص(12) في إشارة منه لفراغ اللغة التي أتعبها الكلام، والتي يؤدي غيابها إلى غياب الحب، والصداقة، والإبداع. *"أهناك معنى للإنسان إلا باللغة وفيها؟.. لا وجود للفراغ، إلا على أطراف اللغة."* (8) وفي نهاية المسرحية يمجد العودة الأبدية، إذ يتمنى أن يكون حليف النواة، وحليفاً لكل بداية في هذه النهايات الكونية. ص (74)

وما بين إطلالتيه تعبر شخصيات المسرحية ــ التي لم يعرّفها أدونيس للقارئ بداية ــ كنقاط ضوئية، تنير جوانب عطاءاتها في تاريخ الفكر الإيطالي والأوروبي.

- فيرجيل الشاعر الذي خلّد قصة فرار أيناس من حصان طروادة إلى إيطاليا في الإلياذة التي اعتبرت إحدى القصائد الوطنية لدى الرومان.

- غاريبالدي: القائد الإيطالي القومي، الذي وحّد إيطاليا.

- مارينيتي: صاحب "بيان الحركة المستقبلية" الذي نشر في صحيفة الفيغارو في شباط / 1909/ والذي لا زال الغرب يحتفي به.

- برونو: الذي أُحرِق عام 1600 ــ بسبب دفاعه عن أفكار كوبر نيكوس، يقول: *"أعترف أنني لم أكتشف بعد المعجم الذي يؤهلني كي أرقص كمثل يونان في جوف الحوت السماوي الذي يسمى نابولي."* ص (18)

- كروتشه: الهيجلي الذي أعطى التاريخ أهمية كبرى، والذي شكل الفن بالنسبة إليه حدساً، فهو لا يفرّق بين الواقع واللاواقع: *"العمل والشعر حصانان شقيقان في حلبة المعنى"*. ص (42)

- ليوباردي: المولود عام /1798/ المتشائم من الطبيعة، تشاؤماً فلسفياً وجودياً، والذي يعتقد أن الأوهام تشكل النصيب الأوفر من اعتبارات واعتقادات الحياة البشرية: *"لم تعد السياسة تقدم لأمنا الأرض إلا نفايات ذرية وبشراً مشوهين."* ص (47)

- فيكو: الذي فلسف التاريخ وآمن على طريقة المصريين بوجود ثلاثة أزمنة ــ أدوار؛ دور الآلهة ــ دور الأبطال ــ دور البشر.

- الثائر ماسانييللو: الذي يشترك في المسرحية مع خمسة أصوات "معاصرة" في حوار يسترضي به نابولي: *"قولي، نابولي، من يقدر أن يمسك بهذا*

الظل الذي يجيء مباشرة من أقاليم البراءة الأولى، الطبيعة الأولى، أو من غابات المستقبل، ويلقيه كمثل ثوب أخضر على هجيرك الفيزوفي؟" ص (30)

لم يكتفِ أدونيس بقطف زهور الفكر الإيطالي، التي اصطبغت بها حضارة أوروبا، بل زرع في تربتها بذور مستقبل إبداعي جديد. ففي بداية المشاهد (2 ـ 3 ـ 4) طرحت أسئلة مستقبلية، عبر تسع عشرة لافتة، قرأها أحد الطلاب، قبل أن يعلقها، فظهر ارتقاء الخطاب المستقبلي، في إثارته لمواضيع كبرى *"كالدين، والحرية، والآخر، والحب، وارتباط كل ذلك بالمرأة: السرير الواحد ـ المشى أجمل مكان في العالم"*. ص (46)

يشيد أدونيس بدور المرأة في التحولات الفكرية الكبرى: *"المرأة هي التي فتحت باب الأرض وباب التاريخ/ مذّاك تمزقت جميع البراقع"*. (9) ويذكر بمشاركتها في كتابة أساطير إبداعية جديدة: *"ومن سيكتب أساطيرها؟ وهل تريدين أن نسأل ارنيستو تاتافيوري، وسيبيلا..؟"* ص (29)

لذلك طربت المرأة المنتظرة خلف الباب، لهديلِ القصيدة الأدونيسية، التي حملتها على راحة السفر. لترفل بحجابها الوردي، وتنثر أنوثتها في الفضاء شموخاً، وسنداً:

"ما دمت أيها الأفق،

لا تعرف أن تجيب عن أسئلتي البسيطة،

اسمح لي أن أعطيك اسماً آخر.

أعرف أن هذا أمر لا يهم

غير المرأة" (10)

وفي هذه المسرحية يشع سحر الأنثى، ويبدع في صياغة حبكتها الملحمية. حيث يقرأ الطالب أحد الشعارات: *"قل لامرأة: أحبك، وسوف ترى أن هذه الكلمة بداية أخرى للتاريخ ـ قولي لرجل أحبك، وسوف ترين أن هذه الكلمة هي من أجمل الكلمات في كتاب الأرض."* ص (45)

ها هي المرأة في نابولي التي لا مدينة إلا جسدها ص (61) تنزع عنها حجاب الخوف، وتتحدث عن فطرتها وقدرتها الكامنة:

"..لا تزال خمرة الأرض، تنسكب عذراء من شفاهنا..

وها نحن نصلي لمسيح أخضر

يسهر على هذه الأرض...

حيث تقرع الأمواج طبول الزبد،

وتتكئ الأشجار على الضوء

حيث نعطي خواصرنا لأمواج

تزحزح صخر التاريخ.

حيث نرى في كل زاوية من نابولي

امرأة تغازل الليل في النهار، وتغازل النهار في الليل". ص (63 ـ 64)

إنها الخصيصة الأنثوية المنتجة للحياة. كتبت د. خالدة سعيد: *"لا تعود الولادة لحظة في زمن الجسد، بل حالة خاصة من الوجود في العالم، الحالة الأنثوية من الوجود في العالم، الحالة التي تنبعث منها الأساطير والأديان والصراعات، إنها سقوط المفرد. وسقوط النهائي المحدود."* (11)

حين اكتشفت المرأة امتدادات جسدها الممجد المشتهى المقدس ـ المدنس

obeikandl.com

في نسغ الحياة، اتسعت مساحات الحب، وانفتحت في جدران العزل المنيعة، نوافذ إبداعية نسوية.

إن الحديث عن المرأة يستحضر الحديث عن "الحجاب" الذي تناوله أدونيس في العديد من أعماله لافتاً إلى تشابك مدلولاته المادية، والعقلية، والدينية، والصوفية: *"ما أصعب أن نمزق الحجب/ التي تطمس الدهشة/ في هذا العالم"* (12)

وفي المشهد الخامس من هذه المسرحية، تناقش نساء محجبات التباس مفهوم الحجاب، وتأويلات معانيه المختلفة. بما في ذلك حجاب المرأة السافرة، المشيئة المسلّعة: *"لا ينحصر الحجاب في منديل يسدل على الوجه.*

على العكس، هذا النوع من الحجاب يمكن أن يكون كشفاً.

الحجاب هو في حجب الحرية..

الحجاب هو أن تتفتح المدينة.

كمثل بيضة تتفتح في مقلاة عائلية." ص (58 ـ 59)

تتساءل امرأة نابولي: *"لماذا هذه الأرض الأم لا تقبلني بين أحضانها إلا محجبة؟ ألأنني في ذلك رمز جمال أرضي ضد جمال الألوهة؟"* ص (56) فهل دفعت المرأة ضريبة جمالها، أم ضريبة ضعفها، أم ضريبة الصفتين معاً؟

ينتصب في هذا المشهد أيضاً تمثال المسيح المحجب، وسط النساء المحجبات، في دلالة على تشويه صورة المسيحية والمسيح.

من الشخصيات الفاعلة أيضاً عمال مهاجرون، أظهرت حواراتهم مستوى

ثقافتهم المتقدم على الرغم من شعورهم بالضياع. ظهر ذلك عبر نقاشاتهم مع الثائر "ماسانييللو"، حيث أثيرت مواضيع ساخنة كالدين، ومعاناة المهاجرين، وعلاقات المرأة، لا سيما علاقة المرأة المهاجرة بالكنيسة: *"كانت المسافة بركاناً، لكن جسدها كان محيطاً"*. ص (37) كما تداخلت حواراتهم مع آراء "كروتشه" الذي أدان الوجهة المستقبلية للخطاب الغربي المحرض على العنف، والقتل، والاغتصاب والتهرب الضريبي: *"بدأت السياسة في نابولي، وفي الغرب كله، ترفض السير إلا على أربع قوائم. قولوا لأولئك الباحثين عن الرغيف لا يزال القمح مريضاً."* ص (43)

جاء ذلك تعقيباً على إدانة أحد العمال للنصائح الغربية، التي تلاها أحد زملائه بعد أن علقها: *"وصل قطار المستقبل إلى محطة في نابولي. لا يزال واقفاً. هل ترون ركاباً نزلوا منه؟ هل ترون ركاباً يصعدون إليه؟ لا يزال واقفاً."* ص (43)

البطل الرئيسي في هذه المسرحية هو "نابولي" المتزمِّنة بتاريخها، والمنجم الثري للذاكرة، والحبيبة المدللة، لمن يحسن قراءتها من خلف الحجب. يقول الرسام: *"دائماً في نابولي، أرسم الظلمة لكي أحسن الكشف عن النور."* ص (21)

ظهرت نابولي صنوّاً لجميع المتحدثين من أبنائها والعابرين الجديرين بإنجازاتها. فهي المدينة التي ترتجل الطبيعة بجسدها وترتجل ما وراءها بالجراح ص (17) والتي تصغي لآراء وعتاب ونصائح الذين سكنوها. وتختبر وجهات نظرهم، قبل أن تقدم رسائلها ووصاياها لأبنائها المزنّرين بخيبات الحداثة، ونسائها المسربلات بشوك الخوف، من تحويلهن إلى *"وجبة للنوافذ، والساحات، والشاشات، والجرائد"* ص (59) الريح هي في آن شيخوخة الأفق

وطفولته. توصي نابولي أبناءها.

تقول نابولي في رسائلها لأبنائها: *"سأعطي كلاً منكم عيناً ثالثة لرؤية الحب في جسدي جراح كثيرة، وفي الآخر شفائي .. الأشرعة التي نشرتموها على البحر هي التي مزقت رياحه .. إن كنتم تنتمون إلي حقاً، فلماذا لا تنشرون بذاركم إلا في السماء؟"* ص (71 ـ 72).

كذلك توصي أبناءها: *"ناضل، لا تحارب. وتخيل، لا تحلم.. عش كما لو أن فيزوف طائر في قفص المصادفة."*

وصف كروتشه نابولي: *"العقول فيها ترتجل أجسامها، والأجسام فيها وريثة لخصائص الموج."* ص (19)

أما "برونو" فقد بدت له نابولي: *"إقليماً لحبر خاص تحتاج السماء دائماً إليه، لكي ترسم وجه العالم."* ص (18) وتذكّر إحدى النساء: *"تحتاج نابولي إلى من يذكّرها أن الإيديولوجية امرأة تعيش في حيض دائم."* ص (57)

ويقدم "ليوباردي" المتشائم حيال الإنسان وعقله، رؤيته الجديدة: "تحتاج نابولي إلى مهاجرين لكي تلقح أرحام الشوارع بنيازك المعنى". ص (49)

أما الشاعر فيقول في بداية المسرحية: *"نابولي ـ ثمر يتساقط من أشجار غير مرئية. في حصار تحرسه الملائكة. نابولي سهم لصيد الأفلاك، ومرصد لما لا يُرى. جسدي فيها مسكون بالغرب والشرق."* ص (13) وفي ختام المسرحية ينزل إلى شوارعها سائراً وراء ظله، ومتسائلاً: *"من سيلاقيني إذاً إلى ذلك المقهى؟"*

إنه حائر، قلق على مستقبلها، ومستقبل حضارتها: *"تكاد نابولي أن تسقط من يدي نابولي. وها أنا أعيش مشطوراً: لا إلى المدينة أنتمي، ولا إلى نفسي. نابولي، أنت*

السؤال الذي لا تقدر الحياة نفسها أن تُجيب عنه." ص (73 ـ 74)

وصف أدونيس كتابه "الكتاب" بأجزائه الثلاثة، بأنه كتابة للسماء بحبر الأرض أي "كوميديا أرضية" تمثلاً بالكوميديا الإلهية لـ "دانتي" الذي كتب الأرض باسم السماء. (13) حيث أعاد قراءة التاريخ العربي، من خلال أفكار المتنبي، المتصادية مع تصوراته، حيال العديد من قضايا التراث، اللماحة لواقعنا العربي المعاصر. *"داخل هذه الغربة، عاش المتنبي وكتب، (وقتل)..لكي يخلق دروباً يمحوها.. لكي يزرع اللغة فتنبت في كل شيء."* (14)

وفي هذه المسرحية، قدم "كوميديا أرضية جديدة" عبر قراءات كثيفة، وعميقة، ومحللة لنتاجات عظماء المدينة، الذين أخرجهم من طيات تاريخ إيطاليا، وقاطع آراءهم، ليكونوا جديرين بمشاركة قوانين الطبيعة وعناصر ما ورائها، عبر حواراتهم، وسجالاتهم المرتجلة، في حميّة موسيقية، لم تنشز عن سيمفونية الخلق المتجددة، ولم تفارق مسارات الشعر. على الرغم من اختلاف الآراء.. جاء ذلك في إطلالة رمزية على الساحات العامة، مصنع الدراما البشرية. وعلى الشوارع التي *"يمكن أن تكون مداجن ينكسر فيها بيض التاريخ"*. ص (67)

وإذ تزدحم الأسئلة على لسان الشاعر: *"ما التاريخ إذاً؟ غبارٌ أم نار؟ أهو موتٌ في ولادةٍ دائمة، أم هو دم يموّه في شكل مطرٍ أو غيم؟"* ص (17)

يجيب "كروتشه": *"سترى كيف يلتقي القرن الرابع قبل*

الميلاد بالقرن الحادي والعشرين بعد الميلاد،

في سرير واحد اسمه الحياة ـ الموت، أو

الموت الحياة" ص (52)

كما أوصى ليوباردي بالتاريخ: "*تحتاج نابولي..إلى غرف يؤثثها التاريخ لكي تعرف كيف تستقبل ضيوف الحاضر*". ص (49)

وبينما يحذر رجل التاريخ "فيكو" من مغبة الهيمنة التراثية على المستقبل: "*المستقبل يذهب، هنا، لكن لكي يسجد بين يدي الماضي*" ص (61)، توصي نابولي: "*حاضرك ابنٌ لمستقبلك، لا لماضيك.*" ص (65)

يتمرأى أدونيس في غيوم المعاني، وتشكيلات تحولاتها. موسعاً أرض المجهول، في التقاطه لصور جديدة، وفي شرحه لظروف التأريخ، وقضايا الذاكرة: "*ماذا سيحدث إذا، لو قلت، أنا السائح: التاريخ اسم آخر لي؟ هل ستومئ الذاكرة للذاكرة؟ هل سيوشوش الحبرُ الحبرَ، والأثرُ الأثرَ؟.. وماذا لو أطلقت آنذاك على التاريخ اسماً آخر: غاليلو؟*" ص (70)

وهو كغيره من كبار الشعراء العالميين، صاحب رؤية شعرية متكاملة، في مقارباتها الفكرية، وخصوصيتها في قراءة التاريخ، واستحضار أطياف الإبداع البشري.

يغدُّ قارئ هذه المسرحية السيرَ علوّاً باتجاه شعلة الكاتب المتقدة منذ عشرات السنين . حيث تتغلغل الأصوات وتتراقص، في غناء الوجود المتجدد..

الهوامـش

1- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (335).

2- ليس الماء وحده جواباً عن العطش ـ ص (22).

3- مجلة دبي الثقافية ـ العدد: يناير ـ 2010.

4- الكتاب الخطاب الحجاب ـ ص (156).

5- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (225).

6- مجلة فكر اللبنانية ـ العدد ـ 106 ـ 2009.

7- الصوفية والسوريالية ـ أدونيس.

8- مجلة دبي الثقافية ـ يونيو ـ 2009.

9- البرقع، جريدة الحقيقة ـ17/ 5/ 2010 نقلاً عن جريدة الحياة.

10- ليس الماء وحده جواباً عن العطش ـ ص (23).

11- في البدء كان المشى ـ د. خالدة سعيد ـ ص (248).

12- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (319).

13- مجلة فكر اللبنانية ـ العدد ـ 106 ـ 2009.

14- رأس اللغة جسم الصحراء ـ ص (36).

obeikandl.com

على ضفاف حيرة اليقين

قراءة في كتاب "الكتاب الخطاب الحجاب"

لا يزال أدونيس الشاعر الأكثر مشاكسة، وجدلاً، وتفرداً في طريقة حمله لصولجان الأسئلة الحارقة المخلخلة لأعمدة الصمت العربي، والمسقطة للصقات النوافذ، والسقوف المتصدعة في نطاق كل من الثقافة واللغة والفكر والتراث والسياسة: *"لماذا أصر على طرحك، أنت أيتها الأسئلة التي "تحاربها" الأجوبة؟"* ص (198).

تُجفلنا في إنتاجه الغزير، الذي ابتدأه منذ ما يزيد عن ستة عقود، ظنونه، التي نحترس في فهم بعضها، تمهيداً لدراسة أخرى متأنية. ونحن نتعقب، خطواته الحبلى بما لم تطقه الأمكنة، صعوداً إلى رأس الهرم لإيقاظ اللغة العربية، التي أتعبها الكلام، كما يقول لأن *"كل فقر في اللغة إنما هو فقر في الوجود والمعرفة. وفقر في العقل"* ص (178).

يواصل أدونيس في كتابه "الكتاب الخطاب الحجاب" مسيرته في "تدجين" المصطلحات "البربرية"، وتحريض حيرة الخيبة، على طرق أبواب موصدة مغامراً عبر متوالياته الشعرية ـ الفكرية، في دراسة، وتحليل ونقد ثقافة الاجتناب الديني والفلسفي والعلمي والشعري، التي تسم الثقافة العربية السائدة، ذات الحجاب المزدوج: *"واحد لواقع يبدو كأنه "غيب" وآخر لغيب يبدو كأنه الواقع"* ص (122) حيث *"لا مجال للإنسان، في التفكير والمساءلة والكتابة،*

إلا في ما حُلّل. وما حُلّل ليس إلا جزءاً يسيراً من جسد العالم: هكذا لا يعود الجسد نفسه إلا مجرد مادة للنبذ والإقصاء والحجب." ص (10).

إن سياسة التحليل والتحريم، لا تمارسها الأصوليات الدينية فقط، بل إن بعض الأصوليات الإيديولوجية، تقمع أيضاً حرية التفكير والعمل. لذلك لا بد من إضاءة النفق الذي يلتقي فيه خطاب كل من السلطة، التي تجيء من الوراء، باسم "الأصول"، والمعارضة، التي تجيء من الأمام باسم "الحداثة" خطاب يحمل في وجهه السياسي ذات التوجه في تخوين الآخر الأجنبي، على: *"أنه هو، وحده، الذي يعرقل مسيرتنا في اتجاه التغيير والتقدم"* ص (164).

ولأن غياب معنى الموت لا يعني إلا غياباً لمعنى الحياة، ولأن الجسم أصبح جامداً، و"الجدار" هو الذي يتحرك في البلاد العربية ص (134) يقترح أدونيس على الكتاب والمفكرين العرب أن يعملوا *"على كتابة تاريخ الموت العربي، وبخاصة في عصرنا الراهن"* ص (135): *"نعيش مازجين الحياة والموت في سرير واحد، وفي كأس واحدة."* ص (129)

كما يدعو باستمرار إلى مساندة الفَرادة في الإبداع، حيث تزداد أهميتها في غياب المؤسسات الثقافية الفاعلة، والرادعة لثقافة التكفير والموت. فالفرادة أو الشخصانية، طاقة خلاقة تبرز خارج الأنماط والأنساق المشتركة. من هذا الباب دخل أدونيس العالمية، محتذياً بقول أحدهم:

"كل بلاد أوطنت، كبلادي" معتبراً أن البيت ـ الوطن، يتمثل في الحرية، لا في المكان. ص (118)

انطلاقاً من رؤيته تلك، تكون الثقافة مهمة كل فرد، سواء من الجمهور

أو من النخبة:

"هكذا تكمن الثقافة في بناء الذات. وفي المجابهة الحوارية الدائمة مع الآخر في معزل كامل عن المذهبيات والدوغمائيات." ص (146).

وعلى الرغم من قناعته بأن الشاعر يتتلمذ على العالم وأشيائه، وبأنه لا يعلم بل يتعلم *"لا يرشد، لا يهدي"* ص (140) وبأنه لا يقدم أكثر من "استطاعته" في خلق علاقات جديدة في اللغة والتفكير والحياة، نظراً لتكفيره دينياً وتخوينه سياسياً، يشير، إلى إن واقعاً مأزوماً كهذا هو الذي يوفر البيئة الأنسب لبذور التغيير والإبداع. الذي لا يأتي إلا من القمة أو من الهاوية. *"سأعطي أذني هذا المساء، لموسيقى تطلع من الخراب"*.

إلا أن الإبداع لن يثمر، ولن يغير إلا بعد قراءة حرة، وعميقة لمرتكزات الواقع، وإحداثياته بالمجمل، وفهم الناتج المعرفي البشري الديني والعلمي. فهماً دقيقاً: *"كل كتاب قراءة. وخصوصية قراءته هي، وحدها التي تجعله طاقة متحركة وفعالة."* ص (103)

على ضوء ذلك، يسلط أدونيس الضوء على مرحلتين هامتين من التاريخ العربي. وهما مرحلة الانتقال من سياسة النبي إلى سياسة الخليفة، التي حدثت بعد اجتماع السقيفة، والتي شبهها بالانقلاب الذي لم يدرس كما ينبغي. ص (46)

وعصر النهضة الذي وصفه بأنه عصر انحطاط من الداخل، من حيث أن أعلامه نادوا بالعودة إلى قيم التراث والتقاليد باسم الأصالة، دون رؤية واضحة أو رصد دقيق للمرونة ولحريات الاقتباس والتكيف وحتى التغيير

والابتكار التي مورست في الماضي العربي، والتي أتاحت للشاعر أبي نواس المجاهرة بالقول: *"ديني لنفسي ودين الناس للناس"* ودون أن يفيدوا في هذا العصر من الانقلاب المعرفي والتقني في الغرب. ص (47) لذا بحث مطولاً في جدلية العلاقة بين الشعر كونه ـ ديوان العرب وبين الدين.

فالفكر، برأيه، يرشح من الشعر كالعطر من الوردة. يقول: *"الدين جواب والشعر سؤال... الإبداع في مختلف جوانبه وتجلياته، كان حركة انزياح أو انحراف عن النص الديني، وما نسميه بالحضارة أو الثقافة العربية، كان في معظمه وفي ذروته العليا وليد الصراع مع النص الديني. وهو صراع بدأ تأويلاً للنص، وانتهى ابتعاداً عنه، وتلك هي ثروة الإحداث الثقافي أو التجديد الذي بدأ مع نشوء الدولة الأموية... وانتهى بسقوط بغداد."* ص (46)

وقد دعا إلى التأسيس لنظرية نقدية ضد التقليد الفقهي السياسي، مقدماً رؤيته حول ضرورة خلق علاقات جديدة بين الأسماء والأشياء، وبين الكلمة والكلمة وبين الكلمة والإنسان والعالم أسوة بما قدمه أبو تمام والمتنبي والمعري: *"جوهر التجديد إذاً يقوم على رفض المعيارية التي ترسم سلفاً قواعد لا يمكن تخطيها"*.

كما أعاد النظر في تحديد معنى الثقافة، وانتقد بجرأة وثبات كثيراً من المظاهر التي تقدم للجمهور العربي على أنها مظاهر ثقافية وحضارية. من ذلك ثقافة الملعب التي يربطها بالعولمة: *"أهي ثقافة الحاجة النفسية والجسدية هذه التي تهيمن اليوم على الجمهور العربي. وتكتب تاريخه في معزل عن الثقافة الفكرية ـ العقلية؟ أم هي ثقافة العولمة التي تجعل من العالم كله ملعباً واحداً؟"* ص (144)

وهو في ذلك يعيد النظر في مصطلحات شكلت في السنوات الماضية ملامح التخاطب بين الشعوب، ومنها "التسامح" الإحساني الذي يوهم بأن العبودية أقل ضغطاً يقول: *"التسامح، باختصار، إنما هو حجاب على المساواة، يجب تمزيقه.. المساواة لا التسامح هي الخصوصية الأولى للديمقراطية."* ص (20 ـ 21)

ويتحدث عن "الحوار" بأنه إلى جانب كونه الميدان الحي الذي يكتمل فيه الفكر والعمل معاً، *"ابتكار لأقنعة التمويه .. خصوصاً إن كلام الإنسان لا يساوي رغبته أبداً... مع ذلك أن الحوار لا يجد قوته وضرورته إلا في اعترافه بعجزه"*. ص (15 ـ 16) ويستطرد: *"الحوار بين الحضارات أو بين الأديان يتحرك في أفق مغلق. ذلك أن كلاً من أطرافه يصدر عن موقف يعطي للهوية الدينية الأولوية على الهوية الإنسانية"*. ص (29)

في هذا الجو الثقافي المضطرب *"تمر الأفكار العظيمة في الحياة العربية كمثل غيوم تعبر الفضاء، دون أن "تمطر" ودون أن تخصب أية تربة."* ص (186) وتكون الحياة العربية ـ كمثل الثروات العربية: *"ملكاً لغير العرب"*. ص (112)

وحيث لا خيار للمجتمعات العربية إزاء الحداثة المفروضة عليها، يشيد بالدور المعرفي الذي يضطلع به الصوفيون من حيث مباركتهم للتعددية، ومن حيث نظرتهم إلى الدين، لا بوصفه مؤسسة، بل بوصفه تجربة فردية، خاصة وحرة.

فعلى الرغم من العنوانين "العلميين" اللذين انضوت تحتهما معظم أفكار الكتاب، وهما "النص والحقيقة" و"السياسة والحقيقة" إلا أن استعارة أدونيس للصيغ الصوفية، مثل علم الذوق أو الضربة، وحيرة اليقين.. قد ولّدت

صوراً شعرية ساحرة، تناغمت في لوحات سوريالية، تعانق فيها جمال المعلوم المرئي، وفتنة المجهول اللامرئي، ما مكّن القارئ من أن يرسم حيرة يقينه الشخصية، بعدته وألوانه الخاصة به.

يقول: *"يمثل جلال الدين الرومي صورة صوفية هي بين الصور الأكثر علواً، على صعيدي الرؤية والتجربة"* ص (57) لأنه يضع مع المتصوفة *"أساساً للتمييز بين الإلهي، والديني والمقدس، وهو الأساس الجدير بأن يحدث في الإسلام ثورة نظرية كبرى تقتضيها، على نحو خاص، هذه المرحلة المضطربة الصعبة من تاريخه، سياسياً وثقافياً وروحياً."* ص (62)

انطلاقاً من قناعته بأنه *"لا يجوز أن نواصل نسج الأقنعة "الخارجية" لكي نغطي مخازينا، وانحطاطنا من الداخل"* ص (69)، يبني أدونيس منارات أفكاره الجديدة ـ القديمة، في جزر أحلامه المتلألئة أبداً بأفكار الحرية، وأفكار التعايش الخلاق بين البشر.

وإذ يتحدث عن الواقع العربي، فإنه يشجب موقف الغرب المخزي، في مباركته قتل الأبرياء في فلسطين والعراق وغيرها . فالإبداع الحقيقي هو الذي يقدَّم في النهاية للإنسان أين وحيثما وجد.

جريدة الحقيقة السورية ـ تاريخ 2010/5/24.

الإبداع تاريخ لا تاريخ له

قراءة في كتاب "محاضرات الإسكندرية"

"أنا اشعر بأنني لا أزال تلميذاً ، وأن ما أريد أن أكتبه فعلاً لم أكتبه بعد".

يعترف أدونيس، على الرغم من مطالبته بالاقتراب أكثر من قضايا الجمهور السياسية والاجتماعية والفكرية ـ الإيديولوجية ـ لأنهم يجدون فيه مثقفاً محدثاً ليس في الشعر والفكر والتراث فحسب، بل وفي السياسة أيضاً.

على طريقته، يدشّن أدونيس في هذا الكتاب حديقة إبداعية جديدة، تاركاً أمكنة كثيرة بانتظار بوحه.. يضم الكتاب أربع محاضرات ألقاها في جامعة الإسكندرية، في الفترة ما بين "15/5 نوفمبر ـ تشرين الثاني 2006" حملت المواضيع:

1. "الثابت والمتحول" بعد 40 سنة ـ كيف كنت سأكتبه اليوم؟
2. ديوان الشعر العربي.
3. الشعر والفكر.
4. الشعر والهوية.

كما ضم الكتاب نص الحوارات التي أجرتها معه بعض الصحف المصرية. إلا أنه كعادته يحمّل كتاباته شحنة زائدة من الأسئلة، التي يجد القارئ نفسه مجبراً على إعادة طرحها بعد تمثل بعضها، ومعالجة بعضها الآخر، في مختبر واقع ثقافي وسياسي، محير ومربك.

obeikandi.com

المحاضرة الأولى

"الثابت والمتحول" بعد 40 سنة

كيف كنت سأكتبه اليوم؟

يتحدث أدونيس عن ظروف كتابته لسفره النقدي "الثابت والمتحول" الذي يرى بأنه لا يزال يحتفظ بنضارته وريادته: *"ومع أنني أعتقد أن هذا الكتاب لا يزال شاباً، ولا يزال فيه قبس من الريادة مقارنةً بالكتب الأخرى التي تناولت قضايا التراث، فإنني كنت سأوسع حدوده، عمودياً وأفقياً، لو شئت أن أكتبه اليوم"* ص (12) مؤكداً ما كان أورده في كتابه: "رأس اللغة جسم الصحراء" على أنه قصد في "الثابت والمتحول" قراءة جديدة ومختلفة لتاريخنا الديني ـ السياسي ـ الثقافي. وعلى أنه ينظر إلى القرآن، كما نظر الغرب إلى الإنجيل والتوراة، بأنه ليس مجرد نص ديني، بل نص ثقافي جامع.

وعن ظروف كتابته أوائل سبعينيات القرن العشرين، يقول:

"كان المناخ الثقافي العربي، يميل بعامة إلى التجديد، وكانت حركات التململ والتثوير مزدهرة.. كان القائلون بالتجديد متفككين.. ولم يكن هناك إجماع على معنى التجديد.. كنت من جهتي مقتنعاً مبدئياً آنذاك، بأن التجديد في الشعر والفكر، يقوم على أمرين: الأول يتمثل في اكتشاف اللغة، التي تتخطى اللغة التقليدية السائدة، فنياً وفكرياً. ويتمثل الثاني في افتتاح أفق آخر للكتابة، وللفكر، وتبعاً لذلك للنقد والبحث والتساؤل...

نعرف جميعاً أن العقل هزم، وأن النقل انتصر، وهزيمة العقل تعني، أولا: هزيمة

الحرية والذاتية، وانتصار التسليم، والجماعة ـ ممثلة للأمة ـ ولهذا لا يمكن فهم الحرية بوصفها تحرراً سياسياً.. إلا بوصفها تحرراً من سلطة الدين في المقام الأول." ص (8 ـ 9)

ولأن أي بدء يستدعي مقايسة جديدة للمعايير وبالتالي للأحكام فقد انتقد الخطابات، التي تقدم العرب، كما لو أنهم *"جوهر ثقافي "ثابت" وجوهر ديني لا يتغير"*. ص (10)

كان استسلام العقل للنقل، وبناء السياسي على الديني أمرين أدّيا إلى أن يكون الحاضر استمراراً للماضي، وإلى *"تحويل الهوية العربية إلى سرد بلاغي ـ ديني"* ص (9) كما نظر إلى الهوية الثقافية بوصفها مشروعاً، أي صيرورة وليست كينونة.

لكن أين تكمن أسباب انتصار النقل على العقل؟ هل في عدم دراسة "المتحول" دراسة ديناميكية تواكب متغيرات الواقع؟ أم في الانشغال بالكشف عن جذور "الثابت" ـ التراث، الذي درس إما من الداخل بأدوات تراثية صرفة، أو من الخارج بأدوات غربية صرفة، دون أية صياغة توفيقية بين وجهات النظر؟ ألم يكن الفصل حاداً بين الثابت والمتحول، حتى على مستوى المصطلحات؟

وعن إضافاته على الثابت والمتحول لو كان أعاد كتابته، تحدث أدونيس بأنه كان سيحتفظ أولاً بمصطلح "الثابت والمتحول" *"لأنهما يتيحان دراسة التراث من داخله، وبأدواته ذاتها."* ص (12) وبأنه لن يقف عند الدراسات التي كتبت بعده، إلا لغاية واحدة، المعرفة، ذلك أنها استناداً إلى معرفته بهذه الدراسات، *"لم تضف ما يتفرد، ويفرض هذا التفرد النقاش أو الحوار."* ص (12)

لهذا فقد أبقى المواضيع التي اعتزم إضافتها، داخل الإطار الذي تحرك فيه إبان كتابته عن خطواته المزمعة قال:

"1 ـ كنت أولاً سأشدد، نظراً وتحليلاً، على الربط بين قضايا العرب، تراثياً، وقضاياهم الحية الراهنة، حياتياً... القضية الأولى التي يجابهها كل منا هي كيف يتعلم أن يحيا وأن يفكر؟ وهو على بساطته سؤال خطير". ص (12 ـ 13)

"2 ـ كنت سأقف طويلاً عند النص القرآني وأرى إليه من زوايا عديدة أوجز بعضها أمامكم:

سأرى إليه في علاقته، بوصفه كتاباً إلهياً، مع الكتب المقدسة الأخرى، وبخاصة التوراة والإنجيل، موضحاً المشترك فيما بينها، وموضحاً الفروقات كذلك.

وسأرى إليه، بوصفه نصاً جامعاً للثقافات قبله، إلى جانب كونه نصاً لا تاريخياً، أعني نصاً مطلقاً، وسأحلل استناداً إلى ذلك، وبدءاً منه العلاقة بين كلام الله وكلام التاريخ، بين الأبدي والعابر، بين المطلق والنسبي، وكيف يمكن الربط بينهما، وبأي معيار.

3 ـ كنت سأنظر إلى ما حدث في سقيفة بني ساعدة بوصفه نقلة انقلابية، سياسية، دينية، من النبوة إلى النظام... كان قادة القرشيين، يتقدمهم الخليفة عمر بن الخطاب، يؤسسون الدولة، التي ستحل محل دولة النبي، أو ستخلفها". ص (21 ـ 22)

وضع المؤلف على بساط البحث مجموعة من النقاط التي وجدها ضرورية، لتلافي ما قد يتمخض عنه الواقع العربي المأزوم من كوارث تسببها الذهنية الأصولية المتزمتة. فالمسلم ـ الأصولي *"لا يريد أن يقرأ القرآن بحقائق الوجود، وإنما يريد أن "يقرئن" الوجود وحقائقه، وأن يؤسس هذا كله." ص (27)*

فبعد إشادته بالحضارات المتوسطية المتعاقبة، حيث نشأت الأسئلة

الكبرى الكيانية والثقافية والفنية، يطرح مسألة تأويلات النصوص الدينية الخاطئة، التي أدت إلى حالات التكفير، والقتل، وهو في ذلك يستشهد بالآيات القرآنية التي لم تعط الحق حتى للنبي بالتكفير: *"أنك لن تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء"*. ص (13) ويتساءل عما إذا كنا نشهد اليوم تحول الإسلام، في قراءته السائدة، إلى سجن مرير، واسع، روحي وفكري وحياتي. ص (14)

كما أثار مسألة اللغة العربية التي كانت لغة الوثنية، وأصبحت لغة ينطق بها وحي جاء نقضاً للوثنية. ص (16)

وتساءل عن العلاقة بين الشفوية التي عاشتها هذه اللغة، والكتابة التي أخذت تعيشها بعده.

وكيف أصبحت، بفعل هذه الكتابة نفسها، ماضياً وحاضراً. وقد أعاد السبب إلى أن الرأي السياسي المهيمن سجن الحقيقة، في كتابته للوحي، فشق بذلك الحقيقة الإسلامية.

ومن أجل بناء مستقبل أفضل، دعا إلى تجاوز الحضارة العربية، والتاريخ العربي: *"على الصعيد الفكري، لا يعنى العرب إلا بالأول والماضي والهوية، أي بمفهومات لا تقوم إلا على وهم"* ص (30) ثم أعلن: *"إن تاريخنا لا ينتهي، ليس إلا أزمة متواصلة بلا نهاية."* ص (29)

المحاضرة الثانية

ديوان الشعر العربي

رأى أدونيس في شعر امرئ القيس وطرفة وأبي نواس وأبي تمام والمتنبي والمعري، حيوية وعمقاً، بشكل يفوق ما يحمله شعر كثير من الشعراء، الذين نشروا باسم الحداثة: *"كانت عين خفية ثالثة إذا، تمارس الكتابة الشعرية العربية العالية، مقترنة بنوع من النفس النبوي."* ص (47)

وكان النص الشعري العربي يحلم بإقامة نظام آخر للأشياء.. وجد أدونيس في كتب مثل: كتاب الموتى، وملحمة جلجامش، والأوديسة، وألف ليلة وليلة، والكوميديا الإلهية، إبداعاً لا يمحوه الزمن ص (38). لذا قرر أن يعيد قراءة الشعر العربي القديم، لعله يكتشف السر الذي يبقي العمل الشعري أو الفني مشعاً ص (40). *"الإبداع تاريخ لا تاريخ له.. يظل طفلاً، فيما يظل أكثر شيخوخة من التاريخ. الإبداع هو هذه اللحظة التي تضع الكائن كله في الزمن كله."* ص (50 ـ 51)

يعول أدونيس على القراءة المبدعة الحديثة التي تبتكر "القدامة" التي بدورها تبتكر ـ عبر القرّاء المبدعين ـ "الحداثة". ص (51)

من هذه النقطة يعترف بأن كتاب النفري: "المواقف والمخاطبات" الذي عثر عليه "بالصدفة" كان الضوء الذي فاجأه حتى الدهشة، وأقنعه أن سر الشعر في تعذر تحديده.

لهذا خاض في ديوان الشعر العربي معركتين فنيتين:

الأولى: هي معركة الذاتية والوجود، الذاتية بصفتها معياراً شعرياً، على عكس الانتماء والإيديولوجيا، وأسر الانسياق لقيم الجماعة أو الأمة، أو النظام، أو القائد، أو النضال الوطني بكافة أشكاله.

أجازف بالقول: *"يتعذر على الشعر العربي أن يكون حديثاً، حقاً، دون الانغراس في هذا المعنى المرتبط جوهرياً بذاتية الشاعر"*. ص (42 ـ 43)

الثانية: معركة الذائقة: كانت الذائقة ولا زالت مشحونة باللغة ـ الدين وأخلاقها وآدابها. ولهذا كانت ترتبط عضوياً بالسطح بالجواب لا بالسؤال. *"وها هي الذائقة الشعرية، اليوم، تتابع ابتعادها عن القضايا الكبرى، وعن المخيلة الثقافية والتاريخية، وتغرق في اليومي،السطحي"*.

لكن هاتين المعركتين، لم تكونا منفصلتين، فالخصوصية الذاتية، تبرز إلى جانب كونية الأفكار في الكتابة الشعرية: *"والحق أن الذات مهما انفتحت على الآخر، تفاعلاً، وتبادلاً، تظل لها خصوصيتها المميزة."* ص (46)

هذه النتيجة نراها في موضوع الحداثة: "الحداثة بوصفها ظاهرة كونية واحدة، لكن ليس صحيحاً أن ننظر إليها بوصفها لغة كونية واحدة: *"إن الانقطاع عن ماهية اللغة العربية، ومائيتها، وخصوصيتها الشعرية، ليس إلا إسهاماً آخر في تعميم هذا النوع السطحي من العولمة."* ص (47)

إن الحديث عن معنى الشعر، ومكانه ومكانته، لا بد أن يثير قضاياه الفكرية التي يوجزها في اثنتين: تتمثل الأولى في العلاقة بين الذات والآخر، وتبعاً لذلك في مفهوم التكفير، الذي يلغي العلاقة الندية، ويلغي حرية النقاش والمساءلة، وطرح الأسئلة الكبرى روحياً، وعقلياً.

وتتمثل الثانية في قراءة النص القرآني، بوصفه نصاً جامعاً لليهودية والمسيحية، وكثير من العناصر الثقافية واللغوية التي تعود إلى الحضارة السابقة على الرؤية الوحدانية للإنسان والعالم.

يربط أدونيس بين "عناصر" الهوية، والديانات الوحدانية *"ربما نجد في هذا ما يفسر كيف أن الثقافة ما قبل الوحدانية لم تعن بالهوية، وإنما عنيت بالحضور ـ كينونة وصيرورة، فالهوية نتاج الثقافة الوحدانية ـ الواحدية ـ ثقافة التمركز حول الذات، ونبذ الآخر."* ص (57)

في حين نعلم أن مصطلح الهوية، المركّب، والمربك، والمختلف عليه، لما يحمله من دلالات تاريخية، وسياسية، وأنثروبولوجية، وعاطفية... برز في ثقافات ليست واحدية، فقد ظهرت في الغرب العلماني، وفي دول تسود فيها ديانات ليست سماوية كاليابان والصين، والهند.. في هذه الدول تبارى المبدعون وتنافسوا، تبعاً لهوياتهم.

المحاضرة الثالثة

الشعر والفكر

إن الشعر العظيم هو خير حاضن للفكر والفلسفة، وعلى مر التاريخ كان معظم الشعراء العظام فلاسفة ومفكرين، وبالمقابل كان الفلاسفة والمفكرون أدباء من الطراز الرفيع.

كعادته في إثارة الأسئلة الكبرى، وتحريك بحيرة الفكر العربي الآسنة، تحدث أدونيس في هذه المحاضرة عن علاقة الشعر بالفكر، محاولاً تصويب العلاقة الملتبسة للبعض: *"تعرفون جميعاً أن في الثقافة العربية تقليداً يفصل بين الشعر والفكر، حاصراً الشعر بالشعور والفكر بالعقل.. إن هذا الفصل لم يكن معروفاً قبل الإسلام، كان هذا الشعر الذي نصفه بالجاهلي، عالماً ومفكراً، كان إيقاع تأمل وفكر."* ص (68)

وقد عاد إلى جذور اللغة، ليبرز العلاقة الحقيقية ما بين الشعر والفكر، إذ ورد في لسان العرب أن كلمة "شَعَرَ" تعني "عَلِمَ" وشعر به تعني عَقَلَ. وحين نقول ليت شعري، نعني ليت علمي، يقال: لهذا الرجل قلب عقول، *"وثمة أحاديث منها: إن من الشعر لحكمة، فإذا ألبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر"*. ص (69)

كذلك وجد في بعض الأبيات الشعرية، نظماً لأفكار يتداولها الناس، نظماً يستخدم الوزن الشعري، كما لو أنه إناء تنسكب فيه الأفكار:

" على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم"

"القارئ يستخرج المعنى من هذا الشعر ومما يشابهه بسهولة كاملة فهو واضح مباشر، لا يحتاج فهمه إلى الثقافة أو إلى جهد فكري". ص (65)

نتذكر هنا رد أدونيس بالإيجاب عن سؤال وجه إليه في مدينة اللاذقية، عما إذا كان يُشترط في قارئ شعره أن يكون واسع الاطلاع في الآداب والفلسفة.. هل كان ذلك تحفيزاً على القراءة والبحث؟ أم هل يطلب من إنسان اليوم ما لم يكن ضرورياً من قبل؟

- ربما، فهو يسائل الجمهور، ويطالبه دائماً بالعمل، ومشاطرة الشاعر مسؤوليته في رصد التغيرات الطارئة على المجتمع، من أجل مستقبل أفضل له، الشعر هنا محرك أساس للفكر في استشراف الآتي: *"الشعر العظيم يخدم قضاياك الكبيرة"*.

إن رؤية الشاعر الكونية، تملي عليه التبصر في الكينونة والصيرورة البشرية، وتغفر له مجانبة القضايا الساخنة في مجتمعه، *"الواقع ندركه على غلبة الظن فلا حقيقة مطلقة."* ص (164)

"لا شعر عظيم بدون فكر ولكن من الضروري جداً أن يكون وجود الفكر بالشعر كوجود العطر بالوردة." ص (166)

لذلك أشاد بشعراء القرن الأول الهجري الذين استأنفوا مسيرة أسلافهم الشعرية، وقد أفلتوا من قيود التراث، التي غيرت كثيراً من المفاهيم: *"نشأ شعر عربي هو في الوقت نفسه فكر وبحث عن الحقيقة. شعر يمكن أن نصفه بأنه امتداد لشعر الكينونة - لامرئ القيس وطرفة وبقية الأوائل. أبو نواس، أبو تمام، أبو*

العتاهية المتنبي، المعري. شعر هؤلاء شغل بالحياة ومشكلاتها، وبالوجود وأسراره، وبالعبث والعدم، وباللغة وطاقاتها... كمثل الجمال والقبح والحق والخير والشر". ص (74 ـ 75)

وقد أوجز التناقضات بين الفكر الديني، والفكر الشعري، بمستويات ثلاثة:

1 ـ المستوى المعرفي: *"كانت الممارسة الدينية تزداد انغلاقاً وضيقاً مع التغيرات التاريخية، في حين ازدادت الممارسة الشعرية حيوية وحرية، بدأت مع شعر أبي نواس بقوله: ديني لنفسي ودين الناس للناس". ص* (76)

2 ـ مستوى الحقيقة: *"ازداد التشدد في تحديد معنى كونها عامة ومشتركة، إلى درجة أوصلت ابن تيمية، مثلاً، إلى تخطيء للإمام الغزالي بسبب ميله إلى التصوف في آخر حياته تخطيء يقارب التكفير". ص* (76)

3 ـ المستوى الثالث: يتعلق بمسألة التعبير وكيفيته وتحديداً بالمجاز: *"الشعر لا يقدر أن يفصح عن مجهول العالم إلا بلغة تفصح عن مجهول اللغة. وهذا يشير إلى أن المجاز هو الذي يفتح اللغة على الأبعاد الميتافيزيقية، أو ينقلها من الطبيعة إلى ما وراءها. فهو ينبوع للفكر، إضافة على كونه ينبوعاً للمخيلة. إنه طريقنا إلى ما سماه الجرجاني معنى المعنى". ص* (78)

لكن المعنى الذي يولده الشعر ليس كالمعنى الذي يتولد في الفلسفة أو الإيدولوجيا. ذلك أنه *"يتقدم المعنى ـ الفكر في الشعر. دون يقين مسبق. دون استناد إلى المرجعيات، أياً كانت دينية إيديولوجية، أو سياسية ـ يتقدم كأنه سحابة في سماء الشعر تكاد أن تمطر."* (80)

يرنو الكاتب إلى حرية تعيد للإيمان الديني مكانته ضمن إطار الحرية الشخصية، وللإنسان مكانته في الحياة المدنية. لكنه يعترف بأن الأمر يزداد تعقيداً وسوءاً في ظل الشموليات الثقافية، التي تجمد الزمن، وتعتبره شكلاً من أشكال الأبدية، وتخلط الحياة بالموت: *"لا نعرف إن كنا أحياء أو أمواتاً، خصوصاً "إن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا" .. نحيا كأننا محشورون قبل الحشر.. كأن هذا الزمن الذي نعيش فيه، يدور خارج الزمن، يُصنع حاضرنا بماضينا، ويُصنع مستقبلنا من طين المصادفات."* (84)

في هذا الواقع تتقدم القصيدة بقدرتها على تغيير اللغة والحياة: *"القصيدة هي تحديداً، تغيير، بوصفها مكاناً لتحويل اللغة. وهي، إذاً، مكان عال للحياة ـ تتغير فيه اللغة، وتتغير الحياة ـ في تفاعل بين اللغة وأشياء العالم وقضاياه. وفي هذا ما يسمح لنا بالقول تكون القصيدة تغييرا، أو لا تكون إلا لغواً."* (85)

لذلك دعا إلى تفكيك البنية الدينية ـ الفكرية العربية، كما حصل في الغرب. على أيدي مفكرين أمثال هيدغر، وديدرا، اللذين قاما بتفكيك الفلسفتين الغربية، واليونانية.

"هذا التفكيك هو ما يتيح لنا تحرير الإنسان وتحرير العقل، وما يتيح لنا أن نعيد القول الشعري إلى مكانه الأول، وإلى دوره الخلاق الأول." (85)

المحاضرة الرابعة

الشعر والهوية

في محايثة الكينونة للصيرورة، يتعالق مفهوم الهوية، مع مفهومي الشعر، والفكر، في عملية فرز، بين الإبداع الشعري الشخصاني، وبين التراكم الفكري للجماعة: *"الأنا بوصفها تفرداً وصيرورة لا تترك أثراً لكي يقل أو يتبع. الدور الخلاق للشعر هو في أنه يخترق الأثر، ويجعل من كل شيء بداية دائمة."* (112)

- قل "اللاشيء" على نحو منفرد

وسوف ترى أنك تقول "الشيء" نفسه: "علم" لا يصح إلا في الشعر.

يعتبر أدونيس، الذي ينظم الشعر منذ خمس وستين عاماً، شاعر "المرحلة" العربية بامتياز: *"أتيح لي منذ صدور هذا الكتاب ـ الثابت والمتحول ـ أن أعيش تاريخاً حياً قد لا يكون له مثيل"*. لقد خبر، وسبر، وكشف ما خلف الواقع العربي، المتغير بمحركات ثابتة: *"ما أهمية وجدوى معرفة هذا الواقع ما دام متغيراً وغير ثابت؟ فالأهم من معرفة هذا الواقع هو معرفة ما هو كامن وراء هذا الواقع من فكر ومن علاقات."* (163 ـ 164)

إنه يرسم الموقع "الأُنوي" على مسافة إبداعية، يراها ضرورية لأي شاعر راءٍ يرى مالا يراه غيره، ويقتحم الأسئلة المحرمة. وحين قال: *"الشعر العظيم يخدم القضايا الكبرى"* فقد عنى الشعر المتحرر من جميع الإكراهات الاجتماعية والسياسية: *"لا هوية خارج الإبداع، وتتأسس هذه الهوية إبداعياً، بالنسبة*

إلى الشاعر في سؤاله: كيف أكتب نفسي؟" (105)

وهو في ذلك يوافق غيره من المفكرين الذين ينظرون إلى الهوية من زاوية متحركة، تبعاً، لتغير الظروف، وتبعاً لفرادة وشخصانية حاملها، كما يستحضر الأصوات التي دعت إلى مثل هذه الشخصانية في التاريخ العربي: *"تورث الهوية الدينية كما يورث البيت.. تعرفون أن الإمام الغزالي انتقد هذه الظاهرة".* (107)

إن مفهوم الهوية، مفهوم ملتبس، مربك وعصي على التحديد، وقد ساهم في تشكيل أبرز ملامح الأبحاث في مطلع الألفية الثالثة.

نلاحظ بداية أن بعض المثقفين العرب الذين عاشوا خارج بلادهم: إدوارد سعيد، أدونيس، الجابري، أمين معلوف، محمود درويش وغيرهم، قد تجاوزوا في نظرتهم للهوية، حدود الوطن، فابتعدوا بها عن كينونة حاملها، باتجاه صيرورته التي ينتجها بشخصانيته. فهل يملي المكان رؤيته؟ لقد تجاوز محمود درويش الحدود، وكتب عن هوية الروح. وكتب إدوارد سعيد: *"في فكرة الوطن مبالغة، وفي فكرة أرض الوطن كثير من العاطفية"* ـ من كتاب رأس اللغة جسم الصحراء. ص (15)

لقد نظر أدونيس، كما الجابري إلى الهوية، من زاوية متغيرة، على أنها إبداع متواصل، ومشروع مفتوح لصيرورة متجددة: *"الإنسان يبدع هويته فيما يبدع عمله وفكره. ذلك أن الإنسان يجيء أولاً، قبل الوطن، وقبل الدولة، وقبل الدين"*. (95)

وقد أسرف في ضرورة التماهي مع الآخر: *"من أين تجيء الحاجة إلى التحديد؟ إلا من حاجة التميز عن الآخر؟."* (96)

هذا القول يدعو إلى التساؤل حول ماهية الهوية، وعما إذا كانت مسألة فردية بالمطلق. ألا تشكل الخلفية الجمعية لحامل الهوية، رصيداً له، إذا ما خذلته الظروف؟ بالمقابل، ألا تقلل الهوية المتوارثة في الأزمات، من فرص الإبداعات الفردية؟ ماذا عن هوية ماري أنطوانيت النمساوية ـ على سبيل المثال ـ التي ظلت تلاحقها كلعنة، حتى المقصلة؟

ماذا عن الفلسطيني الذي يعود إلى "الاختيار الصفر" بعد أن نُبذ من قبل الجميع بسبب هويته؟ هل تنفع هنا رؤية سلمان رشدي عن "الوطن المتخيل"؟

يرى البعض أن الواقع العربي يتطلب انبعاثاً جديداً لهويته العربية، في مواجهة عمليات التصفية التي تتعرض لها هويتهم، وتاريخهم، ومستقبلهم، جرّاء عنصرية إسرائيل والغرب، فهل يعتبر ذلك تمييزاً عنصرياً منهم حيال الآخرين؟

يشكل التاريخ برأي البعض أحد أهم مقومات الهوية. وقد انطلق عدد من المفكرين العرب أمثال: عابد الجابري، ومحمد جابر الأنصاري، وعبد الإله بلقزيز وعبد الوهاب المسيري، وطيب تيزيني، وبرهان غليون ومحمد أركون، وغيرهم، في دراساتهم وبحثهم في الهوية العربية، من محمولاتها الإسلامية القارة في كينونها، وصيرورتها على السواء لأنهم رأوا على العكس من أدونيس ـ أن إشكالية العلمانية إشكالية لا تقبل الانطباق على حالة العلاقة بين الدين والدولة في العالم الإسلامي العربي المعاصر.

يخطو أدونيس خطوة أكثر تعقيداً، إذ يبحث في انعكاس التاريخ على هوية المدن: *"ما يكون الموقف من تاريخ كل من الإسكندرية والقاهرة؟ نعرف إن*

عمرهما العربي ـ الإسلامي ـ لا يمثل إلا جزءاً من عمرهما الطويل قبله، فهل نمحو هذا العمر؟" (90)

إن الإجابة مختلفة بالنسبة للمدينتين، فقد تنطبق هذه الملاحظة على مدينة الإسكندرية، التي أسسها الإسكندر المكدوني، لكن الأمر مختلف مع مدينة القاهرة. من جهة أخرى، ألم يساهم التقليل من أهمية الوجه العربي لهذه المدن، في جعل الحضارة العربية تدخل مرحلة الانقراض؟

كذلك يذكّر برموزية معالم بعض المدن، ويتساءل عما إذا كانت هوية القاهرة هي في الأهرام، أم المساجد، في النحت والتصوير، أم في الغناء والأدب والفكر والهندسة، أم هي في هذا كله، ويتساءل: *"من الأكثر تعبيراً عن هوية الإسكندرية: الإسكندر، أم كيلوباترة، أم هيباتيا، أم أفلوطين، أم سيد درويش، أم محمود سعيد، أم عمرو بن العاص. ولماذا وكيف؟"*

يركز أدونيس على الهوية الشعرية: *"إن الشعر ينهض جوهرياً، على الوعي بالأنا الداخلية الذاتية، وتفردها، ووحدتها، وكونها فضاءً رحباً، متحركاً ومفتوحاً."* (111)

ويتساءل عن الهوية العربية، والهوية الإسلامية في الشعر العربي: *"من الشاعر الذي يفصح الإفصاح الأعمق والأكثر تمثيلاً عن الهوية العربية، امرئ القيس أم المتنبي؟ طرفة أم أبو نواس؟ لبيد أم المعري؟ وكيف ولماذا؟ والسؤال نفسه يمكن أن يسأل في صدد الهوية الإسلامية. فمن يمثل اليوم، هذه الهوية: معاوية أم المأمون، يزيد أم الحسين؟ جعفر الصادق أم الشافعي، الغزالي أم ابن تيمية؟ ابن رشد أم ابن عربي؟ محمد عبده أم حسن البنا؟ سعد زغلول أم عبد الناصر؟ ولماذا وكيف؟"* (99)

إنه يشغل القارئ بتلك الأسئلة، متتبعاً الخيط الذي يربط شعراء اليوم، بالتراث الشعري العربي، الذي يطالب بتجديد مياهه، كي يتمكنوا من

مواصلة المسيرة الريادية التي ابتدأها شعراء الجاهلية، وأثراها من بعدهم شعراء العصرين الأموي والعباسي: *" ليس هناك شعر إلا إذا كان مشحوناً بالفكر.. وكان كذلك في الشعر الجاهلي."* (166)

"لنصف الآن التراث الشعري العربي بأنه نهرنا. لكنه نهر لا نريد أن يجري فيه ماء جديد. نفضل لكي نخوض فيه أن يصنع كل منا مركباً، ويجري على سطحه. غير أن المراكب شيء والنهر شيء آخر". (91) لذا، يدعو إلى الخروج كلياً من هذا النهر، والانتقال إلى فضاءات إبداعية، أكثر حرية: *"ثمة طريق آخر للخروج كلياً من هذا النهر. وهذا ما تفعله اللوحة، والسينما، والمسرح والصورة الفوتوغرافية، والأغنية، والرقص والموسيقى، فاتحة فضاء أو مكاناً جديداً لزمانها: الساحات العامة، الشوارع، المسارح، المقاهي، المطارات.. وباختصار فضاؤها هو المدينة، في حين أن فضاء الكلام الشعري هو البيت."* (92)

يتمثّل الشاعر التجارب الإبداعية الذاتية، التي تمكنت من الإفلات من أشكال الإكراه، وعبرت عن نفسها بهدي قناعاتها: *"سُئل المتنبي.. كيف تسمي نفسك المتنبي، وأنت تعرف الحديث المشهور لا نبي بعدي؟ فأجاب بهدوء كامل: "أنا أسمي لا .. والحق أن هذه الـ "لا" هي الكلمة الأولى التي تكشف عن الهوية وعن الحرية."* (108)

وأدونيس يمثل هذه الـ "لا" في وجه الأصوليات الدينية، التي تخرج الفرد المرتد من جماعته، والأصوليات السياسية، التي تسلب المرتد عنها حريته وحقوقه، وتبيح دمه: *"إن هذه النظرة لا تقف عند حدود الإيمان والكفر، دينياً، وإنما تتعداها إلى الحياة الثقافية نفسها".* (107)

ثم يتكلم عن الانبعاث الإبداعي، ويأمل بأن يساعد طرح المعضلات، على إيجاد الحلول لها، كما يجري في الدول الأوربية: *"إن أزماتنا لا تحل وإنما يجب أن تطور وتغير وتدرس بطرق مختلفة حتى تصبح جزءاً من الحل."* (156)

حوارات الشاعر مع الصحافة المصرية

في حواراته التي تم نشرها في الصحف المصرية: الأهرام ـ روز اليوسف ـ المصري اليوم ـ الوفد ـ الكرامة، يؤكد أدونيس، على ما كان قد طرحه:

- فهو يؤثر اللغة العربية، ويدعو إلى قراءة النص القرآني، في ضوء الواقع. بعيداً عن التباس التأويل؛ يقول: *"أنا شخص مولع باللغة العربية وأقدرها من بين أجل اللغات في العالم لدرجة أنني أتساءل هل نحن جديرون بهذه اللغة؟"* (157) إلا أنه يذكر الصعوبات التي تعترض طريق التثقيف الشخصي، بسبب مشكلة التأويل، التي يعتقد بأنها تخص الإسلام العربي، دون الإسلام غير العربي (ماليزيا، أندونيسيا): *"هل السبب في الاستعمار.. في الفكر الوهابي.. في النفط.. لا أستطيع أن أضع يدي على إجابة قاطعة."* (174)

- إن مشكلة التأويل، وارتباطاتها، هي التي عملت مع الزمن على انزياح مدلولات بعض العبارات؛ من ذلك عبارة الأصالة، وعبارة المعاصرة: *"نحن نكون في قاعة واحدة خمسين شخصاً أو مئة.. إلا أننا نعيش في عصور ثقافية مختلفة"*. (152)

تأكيداً على ذلك نجد أن بعض الأبناء يعيشون في عصور "متأخرة" عن تلك التي عاش فيها آباؤهم، فهل تجدي دعوة الشباب بعدم طاعة آبائهم؟

- الشاعر تلميذ يتعلم لا يعلم، يوجه، يقيّم، لكن ليس باستطاعته التغيير: *"أنا مجرد مفكر، كاتب، ليس لدي حلول جاهزة للتغيير، ذلك إن الحلول*

الصحيحة يبتكرها الشعب بنضاله وتجربته". (180)

لذلك يركز في معظم حواراته وبحوثه على شخصانية الإبداع، الذي لا يزدهر إلا في جو من الحرية الفردية.

- "إبداع المجموع، ما هو إلا مجموع الإبداعات "الأنوية" الفردية"

الحرية هي التي تمكن الفرد من بناء نفسه وهويته باستمرار: *"إن الحوار بين الله وإبليس محفوظ في النص القرآني ذاته ولم يحذف، ..أن تكون عربياً هو أن تخلق نفسك وهويتك باستمرار*". (157)

- مظاهر العجز العربي:

لا شك بأن أسباباً عديدة، تقف وراء مظاهر العجز العربي، فهل انتهى العرب "بالمعنى الحضاري"، أم أنهم في مرحلة "كمون"؟ يقول: *"إن الشعوب في تطورها وإنجازاتها تصل إلى مرحلة تستنفذ فيها طاقتها في الإبداع.. ينتهي التاريخ في نقطة اكتمل فيها إنجاز الشعب واستنفذت طاقته على إنجاز أشياء جديدة."* (138 - 139)

إلا أن بعض الأقلام دعت إلى إعادة قراءة الواقع العربي قراءة جديدة، تأخذ بعين الحسبان، العاطفة القومية العروبية، والعاطفة الدينية، التي أثبتت تجذرها في الوجدان العربي، وهنا تطالعنا رؤية المفكر "طه عبد الرحمن" رئيس منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين، الذي رأى في حوار أجري معه على قناة الجزيرة بتاريخ 19/6/ 2006 بأن العمل بقيم الماضي المنتجة أولى من العمل بقيم الحاضر غير المنتجة. كما يقول:

"لا يكون لنا من الحداثة إلا ما لنا من القدرة على الإبداع".

- لا خشية على الإبداع العربي من العولمة:

لا يخشى أدونيس على الإبداع العربي من العولمة، لأنها برأيه لا تلغي الإبداع، بل تلغي ثقافة من يعملون على إلغاء ثقافتهم: *"إن العولمة، وهي أكثر ما يخيف الناس على هوياتهم، لا يمكنها أن تطمس تراثنا.. هي بالقطع لا تلغي الإبداع، لكنها ستلغي ثقافة من يعملون على إلغاء ثقافتهم، أولئك الذين ما زالوا يصرون على الرقابة والتضييق على المفكرين، والمثقفين ومحاصرتهم، العولمة لا تستطيع أن تقتل المتنبي وابن سينا.. "* (126 ـ 127)

إنه يذكّر بالمرحلة الإبداعية العربية. ففي كتابه رأس اللغة جسم الصحراء ص (183) كتب: *"في أنظمة تمثل المجتمعات العربية الأكثر حيوية، وترث النموذج الأول للدولة العربية، الذي أسسه معاوية، وترث المهد الأول للحضارة البشرية، وأعني الأنظمة في مصر وسوريا والعراق، أن يكون لها دور يواصل التأسيس لعالم إنساني أفضل، مهما كانت ظروفها، الخارجية والداخلية، فهذه مسؤولية وطنية إنسانية، إضافة إلى أنها مسؤولية كونية".*

obeikandl.com

أجنحة الحروف

قراءة في ديوان "أبجدية ثانية"

"عري الحجر ثوب للكتابة وعري العقل ثوب للمعرفة." ص (49)

قبل أن يطلق أدونيس طيور ذاكرته، يرسم المدن والبحار والصحارى، المستلقية في عيونها معيداً ترتيب أشعارها المستعينة به على حراسها.

يكسر ليديّ الزمن الرخوتين بيوض التاريخ، كي يمكّنه من الإمساك بالأرض على طريقته:

"كلما جرفتني أمواج تيهي عميقاً إلى اللجّ،

أشعر أن الشواطئ تدنو،

ما الذي يتفتت في خطواتي لكي يتماسك في كلماتي؟

يتقوّض ماضيّ، لكنه صورتي

أتقوض فيها ، ولكن

ما الذي فيّ يعلو؟

ما الذي فيّ يمسك بالأرض من منكبيها

ويكبُّ عليها ، ويحنو

ويلمُّ بأهدابه ثوبها؟" ص (169 ـ 170)

لا زال الشاعر منذ سبعين عاماً ينثر ورد شعره البريّ بلغة الضاد، التي التصق بها كمثل نوافذ بين يدي ريح خرجت لتوها من أصابع اللّه، على الرغم من تأثره وتأثيره الفاعل في الشعر العالمي، لا سيما الفرنسي منه ص (101):

"ليس لي سيرة، ليس لي موطن

غير هذا التشرد بين حروف الهجاء ص (173)

ماذا تفعلين بي أيتها الأبجدية؟

هل بقدميْ هاجرَ عليّ أن أكتب؟

هل بعطش إسماعيل وتيهه؟ ص (52)

إلى اللج يلقي أدونيس في كتابه "أبجدية ثانية" قوارب الحروف والأسماء، لتصطاد له يقيناً يليق بحيرته أمام الحياة والموت والأسماء، التي باحت له بسرها: *"في شرفات الموت طيور لا يعرف أن يقرأها*

إلا بحّار لا أرض له لا بيت له" ص (185)

"والوقت غروب والأشجار تزرّر ثوب الشمس وهذا حرف العين وحرف اللام وحرف الياء ولكن هو في معجم هذا الوقت حروف أخرى واسم آخر، لكن هو ذا يتبخر في أنفاس الوقت سجيناً

مسجوناً بين يديه

مسجوناً في ما يلفظه." ص (177)

وعلى المدن التي يزورها يلقي وشاح الشعر، ليتمكن من فك شيفرة رموزها، وعباقرتها المخبئين بين طيات الأيام والجغرافيا:

"هل الأصابع المقطوعة هي وحدها

التي تعرف كيف تلتحم أوصال التاريخ؟" ص (195)

"كيف أزيّن للغزالي أن ينوّر عقله بضوء نيتشه؟" ص (104)

"غير بعيد عن رأس يوحنا المعمدان، تتدلى أذنا تيمورلنك" ص (204)

"وأخذت عدن تتراءى قصيدة لم تكتب

وكان رامبو قد حاول،

استخرج حبراً آخر من كيميائها،

لكن خانته كيمياء العصر" ص (61)

"أخرجها صالح من الصخر علامة على نبوته

كانت تطوف المدائن السبع توزع حليبها

لم تؤمن ثمود غرزت سكاكينها حيث تنام الناقة ـ تمزقت

خواصرها ومن أحشائها خرج طفل تحوّل إلى صخرة." ص (39)

في دمشق، حيث المزيج الحضاري المتناسل، لم يألُ جهداً في تفكيك جسد الليل عضواً عضواً كي يكتب خطوة واحدة من خطوات الشام.

"إن صح قولها : للكتابة شياطين ، فأهوالها هي هذه الشياطين.

أهو الوقت يتسلح ضدها؟

لها لهذا الهيكل الذي عاشت به آرتميس، أنذر هذه البقع من الحبر

متى تقتنعُ بعشتار؟ ص (216)

كان ميخائيل نعيمة قد كتب في القرن الماضي: *"يرى الشرق أن الخليقة كاملة، لأنها من صنع الله ، بينما رآها الغرب ناقصة وسعى لتحسينها."*

وكتب أنطون سعادة: *"الشرق.. حاول من قبل تحسين الخليقة. وقد حسنت الأديان الخليقة تحسيناً كبيراً، ولا شك. ولكنها عصت تحسين جديد نشأ بعد أحكامها".*

وقد أضاء أدونيس جسور المحبة بين الإنسان والإنسان، أثناء بحثه في كنه خيوط الفجر في كل من الشرق والغرب، على الرغم من تنصّره لحيوية الشرق العالق بشهوة البدء:

"الشرق خامة والغرب يصقل ويجلو....

الشرق يزرع وللغرب الحصاد" ص (88)

"أيتها الزهرة..... وحّدي الجهات كلها ..... واكتبي أسماءها على وسادتي مصهورة في اسم واحد ..... لا شرق لا غرب لا شمال لا جنوب، بل البؤرة العمودية التي تتلاقى فيها الأنحاء" ص (94)

"يبقى أن نعرف كيف نحول الريح إلى نرد صائب." ص (120)

من زاوية المحبة تلك، يرصد الشاعر العيوب التي مهدت لهيمنة الغرب على أرض الشرق باسم سمائه:

"أتمثال يريد أن يقنعني

أن عذراء من الغرب هي التي حبلت بالعقل للمرة الأولى؟" ص (113)

"ينبغي أن يتعود شاعر الغرب، هو أيضاً،

أن يبكي على الطلل،

وأن يكتب على الرمل." ص (108)

وهو لا يكف عن التحذير من إسقاط معطيات الماضي على الحاضر لإيمانه *"أن الزائل هو أجمل ما يملك الأبدي"* لذلك يستنهض في الإنسان طاقاته الخلاقة، كي يتمكن من استقبال الموت كمثل الوردة العطرة، لا كمثل الفراشة.

"أصغي إلى نزيف يتدفق من غياب كان قد سقاني إكسيره، أصغي إلى مساكن تكتحل كل فجرٍ بشراب الورد، ولا فرق فيها بين حي وميت إلا بالوقت. أضريح هذا أم بيت؟ ولم القبر أكثر أبهة من المنزل؟ وما الفرق بين الجسد والظل، بين العتبة والشاهدة؟ وما هذه السماء المرضوضة؟" ص (16)

وإذ يشكك في قدرة الخطوط الخرساء على رسم حدود فاصلة بين الشرق والغرب، يحذر من مخاتلة اليمين الذي يبيض في أعشاش بناها اليسار شرقاً وغرباً. ص (108) *"طوبى وزلفى لرؤوس تسير شمالاً وأجسامها تسير يميناً."* ص (154)

مع ذلك لم تمنعه عينه الشعرية من التنبؤ ببعض ما يجري، ولا من قراءة راهن المنطقة العربية: *"ما الغرب.. ما الشرق ما هذه العروبة بينهما؟"* ص (87)

ففي كل كتاب من كتبه الأخيرة نبوءة، وفي كف كل قصيدة مارد أخرجه من قارورة الكلمات النازفة، عاصياً ووحيداً: *"متفوهاً باسم القاهرة..*

ثمة راقدون تحت أحزانهم في ما يشبه الغضب.. أسمع الفجر يتساءل: كيف أواصل شروقي؟ أهو ثلج التاريخ ينهمر على كتفي؟ أهي أفران الذكرى تتأجج؟ وهل ستمطر السماء عسكراً وشياطين؟ أقول وقولي رسالة. ثم ألوذ بالنيل، مصغياً إلى صمته ـ عالياً، كأنه نشيد لغة لا تسمى." ص (18 ـ 19)

كذلك لم يكن الإنترنت في منأى عن تنبؤاته:

"يا لذلك الخبز السري ـ تأكله الجرذان الإليكترونية!" ص (107)

عرف أدونيس كلمة سره فدخل ذاته، ونظَم موتَه قصيدة يفتتح بها حياته، في جرأة لافته، خففت عنه عبء مواجهة الخصوم:

"ممزوجاً بالأنقاض، بكل غبار ..... منثوراً في كون يتفتت بين يدي أعانق يومي ..... أمشي وأرى جسدي خلفي .... وأرى جسدي قدامي أأنا من يتكلم هذه اللحظة؟ شخص آخر يسكن فيَّ؟ بأي خطى أتقدم نحوي وأنا الطالع من إشراق المعنى أجهل حتى وجهي؟" ص (177)

"كل أعدائي كانوا أصدقائي ـ غير أني

شطحت قافلتي وتوغلتُ إلى أعلى وأنأى.

إنني أعجز أن أمشي إلا في جحيم" ص (145)

وقد تأبط عبر مسيرته الطويلة الشائكة ملف المرأة الضخم، تمهيداً لفتح الأبواب المقفلة، وفك قيود المختطفات منذ قرون.:

"كل مكان لا يؤنث

لا يعول عليه ـ ابن عربي ـ

للأنوثة هذه الجرّة لماء الدموع للعُزّى

للات تستضيفُ إيزيسَ في قصر البنت

وسبيلِ الحوريات للسرّ هذه الجرة لهرمس" ص (45 ـ 46)

يبقي الشاعر دوائر الشعر، مفتوحة لنفحات الفكر والفن والتراث المجبول بسحر الأساطير، كما لتأويلات لوحاته الشعرية. وهذا سر انتشاره العالمي.

وفي هذا الكتاب تطالعنا أيقوناته الشعرية الشبيهة بتلك التي نثرها في معمار كتابه الشهير "الكتاب"، حيث ارتفع فوق ذرى الحبر، ليصطاد حروفاً توّجت بالألم، ويلقي على أخرى وشاح الفرح:

"ينبثق من ماء الجوزة نور يمشي في أعضائي ... يشطح فيما وراء الكتف ... عنقي سلّم يتسلق الأفق ورأسي شمس زرقاء." ص (95)

امش فوق رؤوس الأزهار، وامتزج ببراعمها. يداك بنفسج وعلى جسدك يتسلق غبار الطلع. هنا تعرف أن للأيام قشرة أكثر حنانا من اللبّ.

"تمسك يد الزاوية بريشة وترسم الفراغ

ما أحن هذه الأشرعة التي تقبل من السماء" ص (202)

برشاقة وفطنة، حطّت الحروف والرموز السوداء، فوق أوراق الديوان، لتمنح ألوان الطيف الكامنة في بياضه، حرية التأمل والموازنة، دعماً لمواضيع أثارها الشاعر بداية، واحتواءً لأدوات فنية وجمالية تتزايد باطراد مع تأثيرات الحداثة، التي برزت جلية في عمله الأحدث "سياسة الضوء" في قرص مدمج برزت فيه سيميائية محترفة، تجلّت في كل من الصورة والصوت والموسيقى. وتلك خطوة رائدة وموفقة لشاعر ثمانيني، لا زالت قصائده تتبوأ المكانة الأعلى في منابر الشعر.

جريدة الأسبوع الأدبي السورية 21/ 5/ 2011

الفهرس

استهلال ..... (5)

مقدمة ..... (12)

الله محايث للوجود: يتجسد، ويتجلى في صور بلا نهاية ..... (18)

العالم هو أول الجسد ..... (26)

كلام البابا سياسي، أكثر مما هو ديني ..... (29)

القرآن لم يبتكر لغة جديدة ..... (36)

العقل الميت لا يمكن أن تكون لغته إلا ميتة ..... (38)

ليس أمامنا إلا المجهول، وإلا المشكلات ..... (41)

ابن رشد حاضر في الثقافة الأوروبية، أكثر مما هو حاضر في الثقافة العربية..... (44)

لا حتميات في العالم، لا في التاريخ ولا في غيره ..... (47)

الديمقراطية لا تكون إلا في مجتمع مدني ..... (52)

الهوية بعد فكري وليست كينونة ..... (56)

المجتمع المستعبد من الداخل لا يمكنه مقاومة استعباد الخارج ..... (59)

لا شيء يغير إلا العمل ..... (62)

نحتاج إلى زعزعة الأسس التي يقوم عليها المجتمع العربي ..... (66)

تقاس عظمة الدولة بعظمة الثقافة التي تنهض عليها..... (69)

مفهوم الشرق ..... (73)

أنا معجب بإبراهيم الكوني ..... (77)

دمشق مؤهلة لأن تكون بين المدن التي تبني العالم ..... (80)

لا أومن بالملك على أي مستوى ..... (82)

obeikandl.com

أصبحت الاشتراكية الآن أكثر جاذبية ..... (86)
نجد فقرات نازية وعنصرية وضد الإنسان، حتى في بعض الكتب المقدسة..... (90)
الصوفية ثورة معرفية مستقلة داخل الإسلام ..... (96)
الحب عشقياً هو نوع من السفر الحميم ..... (103)
الحجاب مجرد شكل خارجي ..... (107)
نهضة إبداعية نسائية، لا سابق لها في التاريخ العربي ..... (110)
أقف شخصياً، ضد كل من يقف ضد المرأة ..... (114)
على الإنسان أن يصنع بركانه الخاص ..... (118)
كل من يريد الإصلاح، يتنازل عن التفكير وعن حرية التفكير ..... (122)
من يقول لأدونيس من هو ..... (125)
شخصياً كنت محظوظاً، كانت المصادفات إيجابية بالنسبة إلي ..... (131)
لا تستأذن الشمس أحداً لكي تشرق ..... (135)
الهوامش ..... (142)
مقالات في الكتب موضوع الحوار..... (148)
ماذا لو صار الألف الحرف الأخير ..... (149)
الهوامش ..... (156)
طعم الشاعر ..... (157)
الهوامش ..... (163)
أسراب المرايا ..... (164)
الهوامش ..... (183)
نابولي كوميديا أرضية جديدة ..... (184)

obeikandl.com

الهوامش ..... (195)

على ضفاف حيرة اليقين ..... (196)

الإبداع تاريخ لا تاريخ له ..... (202)

المحاضرة الأولى: الثابت والمتحول بعد 40 سنة، كيف كنت سأكتبه اليوم؟ ..... (203)

المحاضرة الثانية: ديوان الشعر العربي ..... (207)

المحاضرة الثالثة: الشعر والفكر ..... (210)

المحاضرة الرابعة: الشعر والهوية ..... (214)

حوارات الشاعر مع الصحافة المصرية ..... (219)

أجنحة الحروف ..... (222)

الفهرس ..... (228)

obeikandl.com